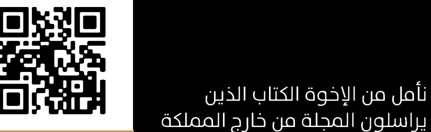

الفيصل
Alfaisal
مجلة ثقافية شهرية - السنة ٣٩ - ذوالقعدة - ذوالحجة ١٤٣٥هـ/ سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٤م
الخزف والزجاج..
جماليات الفن الإسلامي
ماروث ميكلوس:
العالم العربي غافل
ALFAISAL Mag
٤٦١ - ٤٦٢

www.alfaisalmag.com





www.alfaisalmag.com

السنة ٣٩- ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٣٥ هـ/ سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٤م

مجلة ثقافية شهرية، أصدرها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل ضمن إصدارات دار الفيصل الثقافية، وصدر العدد الأول منها في شهر رجب سنة ١٣٩٧هـ/ يونيو (حزيران) ١٩٧٧م.

الإعلانات

هاتف : ١١٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ١١٤٦٤٧٨٥١

ردمد

٠٤١١ - ٨٥٢٠

رقم الإيداع

مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤٢٥٠/٤١

الناشر

دار الفيصل الثقافية

مراسلات التحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية

هاتف : ١١٤٦٥٣٠٢٧ (+٩٦٦) - ١١٤٦٥٢٢٥٥ (+٩٦٦)

ناسوخ: ١١٤٦٤٧٨٥١ (+٩٦٦)

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

contact@alfaisalmag.com - alfaisalmagazine@yahoo.com

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- المواد التي يعتذر عن عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته: يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلساً . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤ جنيهات . السودان ١,٥ جنيه . المغرب ١٠ دراهم . تونس ١,٢٥٠دينار . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٨٠٠ فلس . ليبيا ٨٠٠ درهم . سورية ٤٥ ليرة . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنكاً . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف ٤٨٧١٤١٤(١٠) . فاكس ٤٨٧١٤٦(١٠)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٥٩٠ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢.. سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨ . فاكس ٢١٢٢٥٣٢ .١١.٠٠٩٦٣،تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣ نهج المغرب . ص.ب ٧١٩ . فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٤٢٢٣٩ . ٧١ . ٦١٢٠٠ . قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦١١٢٨٢ . فاكس ٤٦١١٨١٥ . ٠٠٩٧٤، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ . فاكس ٦٣٥١٠٥٢ . ٦ . ٠٠٩٦٢، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢١٥٦٦٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ١٢/١١/٢٤١٧٨١٠ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩١٥، المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٣٢/٢٢٤٠٤٠٣١ . ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢/٢١٩٠١٠٣ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٧/٢٠١٩٠٩

أمير جازان يفتتح
معرض «الفيصل: شاهد وشهيد»

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن ناصر بن عبدالعزيز -أمير منطقة جازان- معرض (الفيصل: شاهد وشهيد) بكلية العلوم في مبنى السنة التحضيرية بجامعة جازان، بحضور صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز - رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية المشرف العام على المعرض.



وتجوّل سمو أمير منطقة جازان داخل المعرض، واطّلع على ما يشتمل عليه من معلومات موثّقة بالصور عن رحلات الملك فيصل، ومواقفه تجاه القضايا المحلية والإقليمية والعالمية، واستمع إلى شرح مفصّل عنها. كما اطّلع سموه على الصور الفوتوغرافية النادرة للملك فيصل، التي تحكي تاريخ حياته المختلفة، إضافةً إلى المشاهد المتحركة، ولقطات الفيديو التي تسجّل المراحل المتعددة من مسيرة الملك الراحل، وبعض المقتنيات الخاصة به، وعدد من المخطوطات والنصوص المكتوبة. كما استمع

سموه إلى خطبة نادرة للملك فيصل، وشاهد عدداً من المخطوطات، والصور الفوتوغرافية، ولقطات الفيديو التي يضمّها المعرض، وتوثّق تاريخ مسيرة الملك الشهيد، وما قدّمه من خدمات للأمتين العربية والإسلامية، إلى جانب مجموعة من خطبه الشهيرة، وعدد من الوثائق المكتوبة والمرئية والصوتية التي تبرز مواقفه إزاء عدد من القضايا المحلية والإقليمية والدولية.



ودوّن صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن ناصر بن عبدالعزيز -في ختام افتتاح المعرض- كلمةً في سجلّ زيارات المعرض، أكّد خلالها أن الملك فيصل بن عبدالعزيز كان رجلاً عظيماً، سعى بكلّ ما يملك إلى وحدة الأمة الإسلامية جمعاء، داعياً الجميع إلى زيارة المعرض، والاطّلاع على سيرة هذا البطل، وتعرّف شخصيته وشخصيات الرجال الذين ساهموا في بناء هذه الدولة وتطويرها وإرساء ركائزها، معرباً عن سعادته بافتتاح المعرض في رحاب جامعة جازان.



وأُقيم بهذه المناسبة حفل خطابي بمسرح كلية العلوم، شاهد من خلاله الحضور عرضاً عن سيرة الملك فيصل، وألقى صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز كلمةً أعرب خلالها عن شكره وتقديره لأمير منطقة جازان على افتتاحه المعرض، وأمله بأن يحظى المعرض الذي يستمر شهراً واحداً بإقبال الجميع، خصوصاً أنه يسلّط الضوء على تاريخ شخصية ملك خدم أمّتيه العربية والإسلامية، وناصر قضاياهما العادلة طوال حياته. واستعرض سموه جوانب مختلفة من سيرة الملك الشهيد في السياسة، والحرب، والسلم، وحياته الشخصية، مقدّماً بعض القصص من بطولاته.

وزيرة الثقافة الفرنسية

لم تقرأ كتاباً منذ سنتين

صُدم المجتمع الفرنسي مما أعلنته فلير بيليرين -وزيرة الثقافة - من أنها لم تقرأ كتاباً واحداً خلال العامين الماضيين، معلّلةً ذلك بأن العمل الحكومي يبقيها دائماً في حالة انشغال، ولا يترك لها أيّ وقت للقراءة.

ولم تستطع الوزيرة الفرنسية أن تجيب عن سؤال وجّهه إليها برنامج تلفازي عن كتابها المفضّل من بين أعمال الكاتب الفرنسي الحائز على جائزة نوبل باتريك موديانو عقب دقائق فقط من تأكيدها أنها تناولت معه الغداء، فقالت: «أقرّ من دون أيّ مشكلة أنني لم أجد وقتاً للقراءة خلال العامين الماضيين»، مضيفةً: «أقرأ كثيراً من البيانات، وكثيراً من الأوراق القانونية، وكثيراً من أخبار الوكالة الفرنسية، لكنني أقرأ قليلاً جداً».

وأحدث هذا التصريح من الوزيرة نشاطاً محموماً على شبكة التواصل الاجتماعي (تويتر)؛ إذ أعرب كثير من المدوّنين عن صدمتهم من كون وزيرة ثقافة لم تقرأ أيّ كتاب خلال سنتين.





مؤسسة الفكر العربي تُعلن أسماء الفائزين بجوائزها

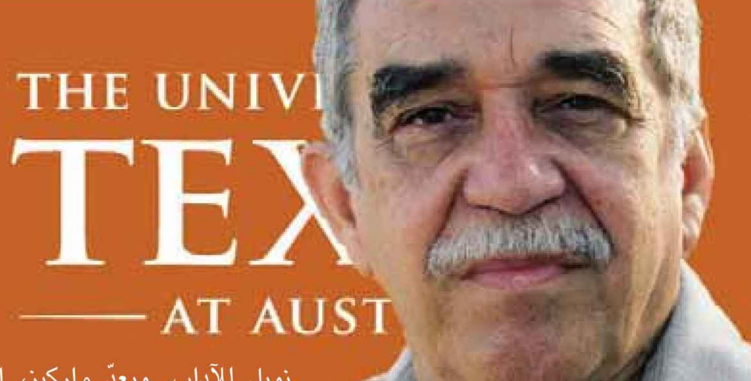
أعلن ريمون عريجي -وزير الثقافة اللبناني- أسماء الفائزين بجائزة الإبداع العربي هذا العام، وجائزة أهم كتاب عربي، في مؤتمر صحفي عقدته مؤسسة الفكر العربي في مقرّها بمنطقة وسط بيروت، كما أعلنت خلاله برنامج المؤتمر السنوي (فكر ١٣)، الذي سيُعقد بتاريخ ١١-١٣ صفر سنة ١٤٣٦هـ/ ٣-٥ ديسمبر ٢٠١٤م في المملكة المغربية تحت عنوان: (التكامل العربي: حلم الوحدة، وواقع التقسيم)، برعاية صاحب الجلالة الملك محمد السادس بن الحسن. وتخلّل المؤتمر كذلك الإعلان عن محتوى التقرير العربي السابع للتنمية الثقافية (العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير: أربع سنوات من الربيع العربي)، الذي ستطلقه المؤسسة في ١٠ صفر سنة ١٤٣٥هـ/ ٢ ديسمبر ٢٠١٤م.

فاز بجائزة أهم كتاب عربي الدكتور خالد عزب (مصر) عن كتابه (فقه العمران: العمارة والمجتمع والدولة في الحضارة الإسلامية)، وفاز بجائزة الإبداع العلمي الدكتور ألفرد نعمان والدكتور عصام خليل (لبنان) عن مشروع (تطوير دواء MM-MTA للعلاجات اللبية)، وفاز بجائزة الإبداع التقني الدكتور مشهور مصطفى بني عامر (الأردن) عن (النظام العلاجي الذكي)، ونال جائزة الإبداع الاقتصادي الدكتور سالم توفيق النجفي (العراق) عن كتاب (سياسات الأمن الغذائي العربي في حالة الركود في اقتصاد عالمي متغيّر)، وحاز على جائزة الإبداع المجتمعي عبدالرحمن محمد السقاف (اليمن) عن برنامج (حضرموت للتمويل الصغير)، وفاز بجائزة الإبداع الإعلامي عبدالسلام محمد هيكل (سورية) عن موقع (اقتصادي دوت كوم)، ونال جائزة الإبداع الأدبي الدكتور نجم عبدالله كاظم (العراق) عن كتاب (نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة)، وفازت بجائزة الإبداع الفني المطربة ريما خشيش (لبنان) عن عملها الفنّي (هوى). كما منحت المؤسسة جائزة (مسيرة عطاء) لمنتدى أصيلة (المغرب)، التابع لمهرجان أصيلة الثقافي الدولي، ممثّلاً بمعالي الوزير المغربي السابق محمد بن عيسى.

وشهد المؤتمر الصحفي، الذي عقدته مؤسسة الفكر العربي بهذه المناسبة، تقديم الدكتور هنري العويط -المدير العام للمؤسسة- عرضاً للأنشطة الثلاثة التي دأبت المؤسسة في تنظيمها مطلع شهر ديسمبر من كلّ عام، وهي: التقرير العربي للتنمية الثقافية، ومؤتمر فكر، وحفل توزيع جوائز الإبداع العربي، وجائزة أهم كتاب عربي. تحدث العويط عن مضمون التقرير العربي السابع للتنمية الثقافية، مؤكّداً أن الواقع الذي عاشته المنطقة العربية منذ ١٤ يناير عام ٢٠١١م، وهو تاريخ مغادرة الرئيس السابق زين العابدين بن علي تونس، والتحوّلات العميقة التي لم يشهد العالم العربي مثيلاً لها في تاريخه الحديث، شغلت العالم بأسره، وأدّت إلى انحرافات خطيرة تنذر بمستقبل قاتم، قد ينال الوجود العربي نفسه؛ لذا رأت مؤسسة الفكر العربي أن من واجبها القيام بمراجعة نقدية شاملة لهذه الظاهرة الاستثنائية؛ لأنها معنية - إلى أبعد الحدود - بأوضاع الدول العربية، وأحوال شعوبها، وتسعى دائماً إلى البحث عن أنجع السبل للتصدّي للتحديات الكبرى التي تواجهها.

وألقى حمد العمّاري -المشرف العام على مؤتمرات (فكر)- كلمةً أعلن فيها برنامج مؤتمر (فكر ١٣)، موضحاً أنه سيتناول هذا العام فكرة (التكامل العربي) على ثلاثة مستويات: التكامل الثقافي، الذي يُعالج الأطر الثقافية العربية المشتركة، ومفهوم الثقافة والهوية العربيتين، والتكامل السياسي، الذي يتناول المسار التاريخي للتحولات الجيوسياسية، والاتفاقات العربية المشتركة، ومستقبل علاقات العرب على المستوى الإستراتيجي إقليمياً ودولياً، والتكامل الاقتصادي، الذي يسلّط الضوء على التحدّيات المستقبلية في الوطن العربي، سواء على صعيد البنى الاقتصادية الراهنة وتنوّعها أم على صعيد النمو الاقتصادي. وأشار العماري إلى أن المؤتمر يجمع نخبةً من المتحدّثين والخبراء من مختلف أنحاء الوطن العربي، منهم: سمو الشيخ محمد صباح السالم الصباح -نائب رئيس مجلس الوزراء، ووزير الخارجية الكويتي السابق- وصاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز -رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - وصلاح الدين مزوار - وزير الشؤون الخارجية والتعاون في المغرب - والدكتور علي أومليل - سفير المغرب في لبنان - والفريق ضاحي خلفان - المسؤول الأمني في إمارة دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة - والدكتور عبدالعزيز بن عثمان بن صقر - رئيس مركز الخليج للأبحاث.

جامعة تكساس
تشتري أرشيف الأديب العالمي ماركيز



حصل مركز هاري رانسوم بجامعة تكساس في أوستن على أرشيف الأديب الراحل جابرييل جارسيا ماركيز، الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٢م، من دون الإفصاح عن ثمن الشراء؛ لتضم هذا الأرشيف إلى أعمال الأدباء: جيمس جويس، وأرنست هيمنجواي، وخورخي لويس بورخيس، ووليام فوكنر، التي تمتلكها. واشتهر ماركيز، الذي توفِّي في إبريل عام ٢٠١٤م عن عمر ناهز الـ٨٧ عاماً، بقصصه الساحرة عن الحب والحنين، التي نجحت في إثارة اهتمام ملايين القراء في كلّ أنحاء العالم بأمريكا اللاتينية، ومن أهم رواياته (مئة عام من العزلة)، التي كانت سبباً في فوزه بجائزة نوبل للآداب. ويعدّ ماركيز، المعروف بين أصدقائه ومعجبيه باسم (جابو)، الكاتب الأكثر شهرةً وشعبيةً في أمريكا اللاتينية؛ إذ بيعت عشرات الملايين من كتبه.

وقال مركز هاري رانسوم: يمتد أرشيف جارسيا ماركيز إلى أكثر من ٥٠ عاماً، ويضم مخطوطات أصلية لعشرة كتب، منها: مئة عام من العزلة، والحب في زمن الكوليرا، وأكثر من ألفي قطعة من المراسلات، بعضها لمؤلفين بارزين، مثل جراهام جرين. وقالت جامعة تكساس: تضم مجموعة جارسيا ماركيز أيضاً سجلات لقصاصات الصحف، وأكثر من ٤٠ ألبوماً من الصور، وآلات كاتبة من نوع سميث كورونا، وأجهزة كمبيوتر استخدمها في كتابة كثير من أعماله. وأكّد بيل باورز –رئيس الجامعة– أن جامعة تكساس استطاعت بخبرتها في أمريكا اللاتينية أن تكون الموطن الطبيعي لهذه المجموعة المهمة.

الأديب الأسترالي فلانجن
يفوز بجائزة «مان بوكر» البريطانية

فاز الأديب الأسترالي ريتشارد فلانجن بجائزة (مان بوكر) البريطانية عن روايته (الطريق الضيق لعمق الشمال The Narrow Road to the Deep North)، وتُقدَّر قيمة الجائزة بخمسين ألف جنيه إسترليني.

وقال آي سي جريلنج؛ رئيس لجنة تحكيم الجائزة: تجمع رواية فلانجن بين قصة حبّ رائعة، ومعاناة الإنسان، وحياة المحاربين، مضيفاً أن أحداث الراوية تجري من خلال بناء خطّ السكك الحديدية في بورما، المعروفة باسم ميانمار، خلال الحرب العالمية الثانية. وأوضح جريلنج أن أعضاء لجنة التحكيم صوّتوا بالإجماع لمصلحة رواية فلانجن بعد مناقشات دامت ثلاث ساعات، مشيراً إلى أن هذه الراوية الرائعة تجمع بين الحب والحرب، وهي مكتوبة بطريقة أنيقة، كما أنها تجمع بين الشرق والغرب، والماضي والحاضر، في قصة تعكس البطولة والإحساس بالذنب.

وأُعلن عن فوز فلانجن (٥٣ عاماً) بالجائزة في قاعة جيليد هول في لندن، وتسلّمها فلانجن من دوقة كورنيول. وتُوفِّي والد فلانجن عن عمر ٩٨ عاماً، وهو سجين ياباني سابق نجا من بناء خط السكك الحديدية البورمية، التي كان يُطلق عليها (سكك الموت)، يوم إتمام فلانجن روايته، وهي الرواية السادسة لفلانجن المولود في ولاية تسمانيا الأسترالية، وهو ثالث أسترالي يفوز بجائزة مان بوكر، بعد أن سبقه إليها توماس كينيلي عام ١٩٨٢م، وبيتر كاري ولوشيندا عام ١٩٨٨م. وكتب فلانجن في صحيفة (سيدني هيراليد مورنيج) أنه أمضى ١٢ عاماً وهو يكتب هذه الرواية، وأنه كتب روايات أخرى خلال هذا الوقت، لكنه أخذ وقته الكافي للوصول إلى النسخة النهائية من هذه الرواية.

ليدي سالفير
تفوز بجائزة جونكور الأدبية الفرنسية

فازت الكاتبة والطبيبة النفسية ليدي سالفير بأكبر جائزة أدبية فرنسية، وهي جائزة جونكور، التي تمنحها سنوياً أكاديمية جونكور، وتُعنى بالأدب المكتوب باللغة الفرنسية، عن كتابها (لا بكاء Pas pleurer)، الذي تدور قصته حول أمها والكاتب الفرنسي جورج برنانوس في أثناء الحرب الأهلية الإسبانية، وقصة الانتفاضة التي بدأت في إسبانيا عام ١٩٣٦م. وكانت القائمة القصيرة للجائزة تضم – إلى جانب سالفير – كلاً من: الكاتب الجزائري كمال داود، والكاتب الفرنسي الأكثر مبيعاً ديفيد فوينكيس.

وُلدت الأديبة والطبيبة البيطرية ليدي سالفير عام ١٩٤٨م، وترعرعت في مدينة تولوز بجنوب فرنسا بعد أن هرب والداها من النظام الديكتاتوري الإسباني، ولها كثير من الأعمال الأدبية، تُرجم بعضها إلى عشرين لغة.

حلقة نقاش عن «تقاليد الحرب في الشريعة الإسلامية» بمركز الملك فيصل



جانب من مداولات حلقة النقاش

نظّم مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية حلقة نقاش عن (تقاليد الحرب في ضوء الشريعة الإسلامية وتطبيقاتها في الصراعات المعاصرة)، بمشاركة عدد كبير من علماء المملكة والعالم العربي والإسلامي، وممثّلي الهيئات والمنظمات الدولية، والجامعات والمعاهد البحثية.

وركّزت الحلقة في موضوعين رئيسين، هما: مصادر الشريعة الإسلامية التي تتضمن قواعد الصراع والعدالة، والاستقصاء عن عدم اتّفاق الدول الإسلامية مع هذه القواعد. وطُرح في إطار هذين الموضوعين عدد من القضايا المهمة، أهمها: تطبيق المعايير الإسلامية في العدالة في المراحل الانتقالية التي تتلو الصراع، وتحديد المعايير الأساسية والأهداف والتشريعات التي تسهم في مواجهة الاستخدامات الذرائعية لمعايير تسوّغ استخدام أشكال متطرّفة من العنف والفظائع التي تحدث اليوم في مختلف أنحاء الشرق الأوسط ووسط آسيا وجنوبها وإفريقية. وتناولت الحلقة معيارية النظام القانوني الإسلامي، ومرونته، وقدرته على التكيّف مع مختلف العصور والسياقات والتحدّيات، مع إبراز القدرة الكامنة في الشريعة الإسلامية لحظر أنواع سائدة من السلوك العنيف، وتوفير التدابير الداخلية لمنع الصراعات والعقاب وتحقيق المصالحة.

وناقش المشاركون في الحلقة كيفية تحقيق عدد من الأهداف المهمة، أهمها: تقديم بعض المصادر داخل القانون الإسلامي والشريعة الإسلامية لتحصين الفترة الانتقالية التالية للصراع والمصالحة، وتأكيد أن قواعد الصراع في الإسلام تُطبَّق في مواضع السلم والصراع والأزمان التي تتلو الصراع لمنع حصول الأذى للناس، وإدراك أن القانون الإسلامي متوافق بشكل عام مع المبادئ الأساسية للقانون الدولي، وحفز الاهتمام إلى إنتاج حوار قويّ بين التقاليد القانونية الإسلامية المتنوّعة والخبراء وقادة الفكر والممارسين لبناء الأساس الفكري الذي يؤكّد قوة الارتباط بين الإسلام والعدل، إلى جانب بناء شبكة من العلماء والممارسين وقادة الفكر في العالم الإسلامي وخارجه من الذين يلتزمون فهم الموارد القانونية الإسلامية في مواضع الصراع وما بعد الصراع.

ومن أبرز المشاركين في هذه الحلقة: الشيخ الدكتور شوقي علّام مفتي الديار المصرية، والشيخ عبداللطيف دريان مفتي الجمهورية اللبنانية، ومن أعضاء هيئة كبار العلماء في



المشاركون في صورة جماعية

المملكة: الدكتور عبدالله المطلق، والدكتور عبدالوهاب أبو سليمان، والدكتور قيس آل الشيخ مبارك، ومن علماء المملكة والعالم الإسلامي: الدكتور عبدالله فدعق المدرس في الحرم المكي الشريف، والشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، والدكتور بدر الحسن القاسمي -نائب رئيس مجمع الفقه الإسلامي (الهند)- والدكتور عبدالرزاق إسكندر -مدير جامعة العلوم الإسلامية (باكستان)- والدكتور محمد يسف -الكاتب العام للمجلس العلمي الأعلى في المملكة المغربية، ومن ممثّلي الهيئات والمنظمات الدولية: السيد إياد مدني -الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي- والأستاذ فيصل بن عبدالرحمن بن معمر -الأمين العام لمركز الملك عبدالله العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات- والدكتور أحمد بابكر - الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي.

وشارك في الحلقة من الجامعات والمعاهد البحثية: كنت سيفريد -مدير جامعة سيراكيوز بالولايات المتحدة الأمريكية- وجيمس أوكونر -المدير التنفيذي للشرق الأوسط والعلاقات الخارجية بالجامعة- وشارلز ميرهيو -نائب رئيس الجامعة للعلاقات الخارجية- والدكتور ويليام بانكس -مدير معهد الأمن القومي ومكافحة الإرهاب بالجامعة- والدكتورة كورين زولي -مديرة الأبحاث في معهد الأمن القومي ومكافحة الإرهاب بالجامعة- والبروفيسور شريف بسيوني -رئيس المعهد الدولي للدراسات العليا في العلوم الجنائية (إيطاليا)- والدكتور روبرت غليف -أستاذ الدراسات العربية في جامعة إكستر بالمملكة المتحدة- والبروفيسور حامد خان -المسؤول الرئيس عن البرامج في معهد الولايات المتحدة للسلام بالولايات المتحدة الأمريكية.

دان براون من معرض الشارقة للكتاب:

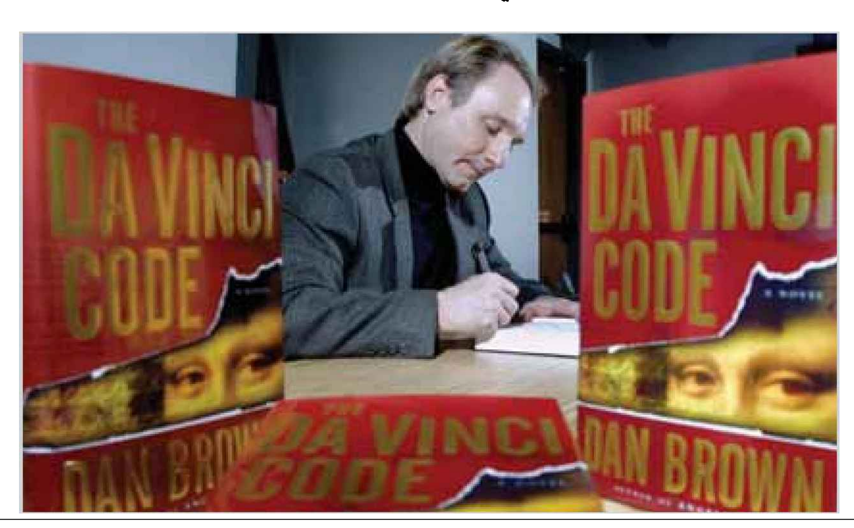
أكبر مأساة أن تكون كاتباً

استضاف معرض الشارقة الدولي للكتاب الروائي الأمريكي العالمي دان براون -نجم أدب الخيال العلمي- في زيارته الأولى لدولة عربية، والتقى قرّاءه العرب والأجانب المقيمين بالإمارات. وتحظى روايات براون الشهيرة التي تُرجمت إلى العربية برواج شعبي كبير؛ إذ أقبل على قراءتها جمهور عربي من أجيال شتى؛ حتى حقّقت رقماً عالياً في المبيعات لم يعرفه كاتب عالمي آخر، ومن أشهر هذه الروايات: الحصن الرقمي، وحقيقة الخديعة، ودافنشي كود، وملائكة وشياطين، والرمز المفقود، والجحيم.

وفجّر دان براون مفاجأةً من العيار الثقيل بإعلانه -خلال أمسية له في الدورة الـ٣٣ لمعرض الشارقة الدولي للكتاب- أن أكبر مأساة في العالم أن يكون الإنسان كاتباً، وأن الأكثر مأساويةً أن يكون شريكك كاتباً، مستدركاً أنه مع ذلك يقدّر كثيراً دعم زوجته له؛ فهي أول من يقرأ أعماله، وهي المحرّر الأدبي لرواياته الستّ التي قرأها ملايين الناس في العالم. وأكّد براون أن من واجب الكاتب التشجيع على الحوار مع الآخر، مع أن الكتابة ليست بالمهنة السهلة، مستدلا على ذلك بمقولة الكاتب الإنجليزي الشهير جورج أورويل: «تأليف كتاب هو صراع مهلك، مثل مقاومة مرض مهلك». وحذّر براون من أن العالم يعيش اليوم حقبةً مثيرةً؛ فالخيط الذي كان يفصل بين الدين والعلم بدأ يختفي، وأصبح العلماء يتدخّلون في كلّ شيء من دون قيود، نافياً تفكيره في الوقت الحالي في كتابة رواية عن الإسلام أو المنطقة العربية.

وكان دان براون قد استبق سفره إلى دولة الإمارات العربية المتحدة للمشاركة في فعاليات معرض الشارقة الدولي للكتاب بإجراء عدد من الحوارات مع بعض الصحف العربية، من خلال اتّصال هايد لانج -مديرة مكتبه الإعلامي- ببعض الصحف العربية مقترحةً إجراء حوارات معه بهذه المناسبة عبر إرسال الأسئلة من خلال الإنترنت، وإجابته عنها عبر الإنترنت أيضاً.

وسألته صحيفة (الحياة) خلال هذه الحوارات عن رواياته وعالمه الذي يجمع بين التاريخ والتوثيق والخيال العلمي، وبعض الظواهر البارزة في مسيرته الأدبية، فأكّد أنه لا يكتب سوى الروايات التي يحبّ قراءتها، ويسافر دائماً إلى البلدان والأمكنة التي يكتب عنها؛ لأنه يرى المكان شخصيةً من شخصياته، مضيفاً أن رواياته تعالج موضوعات تاريخية قديمة؛ لذا لا بد من الدقة عند كتابتها. وأشار براون إلى أنه يعمل بجدية كاملة؛ فينهض باكراً، ويبدأ عمله كلّ يوم من الرابعة فجراً إلى الظهر، مؤكداً أن الثروة لم تغيّر حياته؛ فهو يتبرّع للمؤسسات الخيرية كثيراً، ويسهم في الأعمال الإنسانية، ولا يحبّ السيارات الفخمة، ولا اليخوت الفاخرة؛ فما يهمّه هو التعلّم والكتابة والإبداع، وهي أمور لا تتطلّب مالاً كثيراً حسب قوله.



عبدالله الكويليت



ماروث ميكلوس:

العالم العربي غافل وبعيد من مجرى الحضارة العالمية

الدكتور ماروث ميكلوس -نائب رئيس أكاديمية العلوم المجرية- عالم مهتم بالحضارة العربية الإسلامية، التقته (الفيصل) في أثناء وجوده بالرياض لإلقاء محاضرة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وتطرّق الحوار إلى موضوعات ذات طابع أكاديمي، إضافةً إلى بعض القضايا العامة المتعلقة بالوضع العربي؛ من أجل الوقوف على رأي مثقّف أوربي له اهتمامه العميق بالعالم العربي. وقد أدلى الدكتور ميكلوس بآرائه من دون تحفّظ، وكان من الواضح متابعته الدقيقة لما يجري في الساحة العربية من أحداث لها سخونتها.

● أبدأ بسؤال تقليدي يكون منطلقاً للحوار: تبدو سيرتكم الأكاديمية حافلةً ومتنوعةً. كنتَ في بودابست، وفيينا، وموسكو، وبوسطن، ودرست في جامعات عريقة، مثل: الجامعة الكاثوليكية، وجامعة هارفارد، وجامعة بغداد، ومعهد الدراسات في موسكو، وتخصّصت في اللغة الإغريقية واللاتينية، وهو ما يقودني إلى أن أسأل: لماذا الشرق؟ ما الذي دفعك إليه؟

الجواب بسيط جداً. أنا درست في مدرسة ثانوية للرهبان الكاثوليك، وكان عندنا أستاذ للدين الكاثوليكي، قال لنا: إن الفلسفة والعلوم اليونانية أخذهما العرب من اليونانيين، ثم بعد ذلك أخذها الأوربيون باللغة اللاتينية، وهذه الحلقة حلقة واحدة. الفلسفة الأساسية؛ أي: الفلسفة المدرسية اللاتينية، التي تتبناها الكنيسة الكاثوليكية، تعود إلى أرسطو وابن سينا والفارابي وغيرهم، ثم وصلت إلى توماس أكويناس (توما الأكويني). إذاً، العرب والحضارة العربية عنصر مهم جداً في الدين الكاثوليكي.

● هذا الأمر يعني أن حرصك على الاطلاع على الحضارة العربية وارتباطك بالشرق كانا من منطلق ديني في البداية؟

طبعاً، الإنسان عليه أن يؤمن بالله، أو لا يؤمن به، وما رآه أبداً، أهو موجود أم ليس موجوداً. أرسطو بنفسه قال: إن هذا السؤال من أصعب الأسئلة التي يمكن الحصول على جواب لها. الإنسان دائماً يفتّش عن معنى حياته: لماذا أعيش هنا؟ هل هناك حياة أخرى غير هذه الحياة؟ يجب أن أتسلّى هنا أم هناك؟. هذه أسئلة أساسية في حياة الإنسان. كما أنه على كلّ إنسان أن يعرف التاريخ، ويجب أن نعرف من نحن. أنا إذا نظرتُ إلى نفسي بوصفي مجرياً أجد أن الشعب المجري جاء أساساً من الحدود الشرقية الشمالية للصين، وهذا الأمر يعني أنهم ذهبوا شمالاً من جبال الأورال، ووصلوا إلى أوربا، ونزلوا إلى المروج الروسية، حتى وصلوا إلى المجر. ذلك تقريباً من خمسة آلاف سنة، ونحن لم نفقد لساننا. إلى اليوم أتكلم عن أن هناك مصادر عربية مهمة جداً كُتبت عن الشعوب في المروج الروسية، ومن خلال المصادر العربية يمكن لنا أن نعرف تاريخنا؛ فالتقاليد السياسية في أوربا تعود إلى اليونان والروم. وأنا - بوصفي مواطناً مجرياً لي حقّ الانتخاب - يجب أن أعرف نفسي، ويجب أن أعرف تاريخي، وغير ذلك من الأساسيات، ولا يمكن ذلك إلا من خلال معرفة النصوص الكلاسيكية كاليونانية واللاتينية، كما يجب أن نعرف الإسلام الذي علناً ؛ أو كما يقال -فوق الطاولة- تحارب مع المسيحيين، لكن سراً -تحت الطاولة- تعاون علماء الطرفيين. دائماً هناك تعاون من تحت الطاولة، وأضرب لك مثالاً على ذلك: توماس أكويناس هو مَن أسّس الفلسفة الكاثوليكية، وأظنه أشار إلى ابن سينا ثلاث مرات مع إدانته له، وأشار ٢٥٠ مرة إلى فيلسوف يوناني آخر، لكن إذا نظرتَ إلى كتبه وجدت مصطلح (واجب الوجود). هو قبل كل شيء قد أخذه من ابن سينا، لكنه علناً أدانه، وسراً أخذ منه كل شيء!. وتوماس أكويناس يسأل: هل العالم أبديّ أم خلقة الله؟ اخترتُ هذا التعبير المعقّد متجنباً المصطلح، هو يقول في نصّه باللاتينية: (نوفيتاس موندي)، هذا التعبير ليس له معنى باللاتينية قط؛ أي: لا تفهم ماذا يقصد، لكن إذا ترجمته إلى العربية: هدف العالم، أصبح كلّ شيء واضحاً، فمن أين أخذ توماس أكويناس هذا المصطلح؟! أكيد من العربية. أكيد من الممكن أن نقول نحن الكاثوليك: نحن نُدين الإسلام، ولا نؤمن به، لكن هذه ليست الحقيقة؛ فعلى سبيل المثال: ماذا يقول العربي عن الأخلاق الطيبة؟ ما أُسسها؟ وكذلك: الحكمة، والعدالة، والعفة، ماذا يقول الكاثوليك عنها؟ الحكمة، وجبروت العدالة، والعفة. هل هي موجودة في القرآن؟ ليست موجودة. هل هي موجودة في الكتاب المقدس؟ ليست موجودة. أنتم تقرؤون القرآن، وتفسّرونه بمساعدة الفلسفة، ونحن نقرأ الكتاب المقدس، ونفسّره بالفلسفة، ونصل إلى النتيجة نفسها. هذا



ماروث ميكلوس في حواره مع رئيس التحرير

الفلسفة المدرسية اللاتينية التي تتبنّاها الكنيسة الكاثوليكية تعود إلى أرسطو وابن سينا والفارابي وغيرهم

الكلام ينطبق في نظرة المسلمين التي يرونها للفضيلة؟: الوسط بين الشرَّيْن، والكاثوليك كذلك؟ الفضيلة وسط بين الشرَّيْن؛ إنما هل هذا موجود في القرآن أو في الكتاب المقدس؟ الإجابة: لا ليست موجودة. ولكي نكمل الفكرة: دائماً نقول في أوربا هم يقرؤون القرآن، ونحن نقرأ الكتاب المقدس، لكن تفسيرنا مختلف مع الإسلام. أنتم تقرؤون القرآن، ونحن نقرأ الكتاب المقدس، نتفق في التفسير، لكن ليس دائماً، وإنما في معظم الحالات.

- **قرأتُ أن أول من ترجم الأدب المجري هو الأسقف جاليرت Gellért؟**

هو في الأصل ليس مجرياً، وإنما جاء من شمال إيطاليا، وكان المبشّر الأساسي، والمدرِّس الأول للملك المجري، لكن الكاثوليك قتلوه، ورموه في نهر الدانوب. لم يكن هو أول من ترجم الأدب المجري، لكن كان أول من كتب عن الأغاني التي سمعها.

- **تحدثت قبل قليل عن هجرة المجريين من حدود الصين مروراً بروسيا، ويبدو أن هذه الهجرة لا تخصّ المجريين وحدهم، وإنما تخصّ أيضاً الفنلنديين؛ لأن اللغة المجرية والفنلندية من جذر لغوي واحد؟**

نعم، ذهبنا معاً إلى سيبريا وآسيا، ووصلنا معاً شعباً واحداً، لكنهم ذهبوا شمالاً، ونحن ذهبنا إلى الجنوب، وبعد ذلك تطوّرت اللغة المجرية من الأصل المشترك؛ فقد اختلطنا أولاً بالشعوب الإيرانية، وبعد ذلك بالشعوب التركية، وبعد ذلك وصلنا إلى المجر.

- **لماذا اختلطتم أولاً بالشعوب الإيرانية؟**

لأننا كنا جيراناً؛ فنحن عشنا في المنطقة نفسها، والشعوب القريبة منا تكلّمت بلغات إيرانية مختلفة. بعد ذلك ذهبنا إلى شمال منطقة القوقاز، وكنّا في بلاد الخزر، وعشنا مع الشعوب التركية، لكن بوصفنا شعباً مستقلاً. نحن لم نكن جزءاً من المملكة الخزرية، لكن كنّا متحالفين معها، وقد أخذنا كلمات من اللغة الإيرانية؛ فعلى سبيل المثال: ألِفْ بالمجرية أزار، وبالفارسية هزار، وبالمجرية سبعة تعني هييت، وبالفارسية هيفت. هناك كلمة أخذناها ثلاث مرات من الإيرانيين: أولاً مباشرةً منهم، (باشار) تعني: السوق، ثم أخذناها عن طريق التركية (بازار)، وهي تعني (ممتاز)، ثم أخذناها مرةً ثالثةً من جديد من التركية، وذلك بعد قرون: (بازار)، وتعني السوق، وهي كلمة إيرانية وصلت ثلاث مرات إلى المجرية بطرائق مختلفة. كما أخذنا كلمات من اللغة التركية؛ فعلى سبيل المثال: (الثور) بالمجرية يعني: اكر، وبالتركية: اكز، وهناك فارق بسيط مع اللغة التركية، ونحن أخذنا كلمات (الفلاحة) من اللغات السلافية، وبعد ذلك اعتنقنا الدين المسيحي، وأخذنا الكلمات المسيحية من اللاتينية.

- **يُقال: إن جاسبار كارولي Gaspar Karoli هو أول من ترجم العهد الجديد، ويقال: إن ترجمته لم تكن الفضلى بين الترجمات؟**

جاسبار كان بروتستانتياً، وكانت هناك ترجمتان: إحداهما الترجمة الكاثوليكية، والثانية البروتستانتية، وتوجد دعاية كبيرة لترجمة جاسبار، بينما لم تحصل الترجمة الكاثوليكية على الشهرة نفسها.

- **لماذا؟**

الكاثوليك لا يهتمون بالكتاب المقدس كما يهتم به البروتستانت، الذين يعتمدون على الكتاب المقدس بالدرجة الأولى، بينما نحن نعتمد على الفلسفة. نحن أيضاً نقرأ – إلى حدٍّ ما – الكتاب المقدس، لكن لا نبالغ في ذلك، بينما البروتستانت يقرؤون يومياً في الكتاب المقدس؛ فهم مثل السلفيين المسلمين. والبروتستانت بالمجرية تعني (المجدّدين للدين الأصلي، وتنقيته من كلّ ما ترسّب عليه من شوائب). وكما يؤمن السلفيون بأهمية القرآن والحديث النبوي فإن البروتستانت يؤمنون بأهمية الكتاب المقدس.

- **من الملاحظ أن شعوب أوربا الشرقية، التي خرجت من سيطرة الاتحاد السوفييتي، أكثر تديّناً من بقية الأوربيين؟**

السبب بسيط جداً؛ فالأموال أكثر دماراً من الأيديولوجية؛ فهم في الغرب الأوربي في حالة رخاء، ويتوهمون أنهم ليسوا بحاجة إلى الله، ونحن بمآسينا بحاجة إلى الله؛ فعلى سبيل المثال: عندما أصبحت ممثّلاً للمجر في الاتحاد العالمي للأكاديميات، ومقرّه في بلجيكا، ذهبت –بصفتي كاثوليكياً مخلصاً– في أول يوم وصلت فيه إلى بلجيكا إلى الكنيسة بالقرب من الفندق لكي أعرف متي يُقام القُدّاس، وكان ذلك في يوم أحد في نحو الساعة التاسعة صباحاً، فظننتُ أن هذا وقت ممتاز؛ إذ يمكنني الذهاب في العاشرة إلى الأكاديمية، وعندما وصلتُ إلى الكنيسة وجدتها خاليةً، رجعتُ فوجدتُ بطاقةً صغيرةً توضح أن هناك قداساً سيقام في غرفة ما، ولم نكن نزيد على الثلاثة، بينما في المجر تكون الكنيسة ممتلئةً، وأذكر أنني ذهبتُ مرةً إلى كنيسة أخرى (في بلجيكا)، فوجدتني الشخص الوحيد الأبيض الذي جاء، وكان بقية الحضور من الأفارقة السود.

- **الآن، إلى أين تتّجه أوربا، ومنها المجر طبعاً؟**

هناك هجوم مستمر على رئيس مجلس الوزراء المجري؛ ففي مقدمة الدستور الذي وافق عليه المجريون قصيدة مجرية تطلب من الله أن يبارك المجر؛ أي أن الكلمة الأولى في الدستور هي الله. هذا كان موضوع النقاش؛ فهناك نصّ دائم يقول: إن الحجر الأســاسي للمجتمع العائلة، والعائلة تتشكّل من رجل وامرأة، وكانت مشكلة كبيرة. قبل أن أحضر إلى الرياض حضرتُ لقاءً للسيد رئيس الوزراء المجري مع السفراء العرب في بودابست، قال لهم فيه: إنه قام بزيارة تركيا، وقابل الرئيس أردوغان، الذي اشتكى له من أنهم في تركيا دقُّوا باب الاتحاد الأوربي منذ زمن طويل، لكنّ الأوربيين لم يفتحوا الباب، فقال له رئيس الوزراء المجري: إذ قُلْتَ ثلاثة أشياء فتحوا لك الباب في الحال، أولاً: الله ليس موجوداً، وثانياً: العائلة ليست مهمة، والشيء الثالث: إنني أخجل لكوني تركياً؛ أي: لا أنتمي إلى جنس أو شعب معيّن. هذه الأشياء هي الممنوعة: الله ممنوع، والعائلة ممنوعة (وعلق ضاحكاً: خصوصاً إذا كانت زوجتك امرأة)،

كما أنه ممنوع أن يكون لديك شعور وطني. أنا قرأتُ مقالاً ممتعاً جداً كتبه الأمير الأردني حسن بن طلال، وقال فيه: الأسس الرئيسة للسياسة الأوربية التي تسوّغ السلطة هي الانتخابات، لكن الشعوب في أوربا تنتخب حكومات بحقوق محدودة؛ لأن معظم الحقوق تمارسها الفئات الاقتصادية التي لا نعرفها؛ أي: التي ليست عليها مسؤولية شخصية؛ لأننا لا يمكن أن نثبت أن هذا القرار جاء من هناك؛ فهؤلاء ليسوا معروفين، ولا يتحمّلون المسؤولية، بينما هم يتصرّفون في كلّ شيء، وهذا يعني أن هناك أزمةً كبيرةً.

- **تضجّ أوربا من الأجانب، بينما الوظائف الدنيا لا يقبل بها الأوربيون، والمفارقة أن أحد الألمان قال لي: هناك هجرة معاكسة؛ فمثلاً: الأتراك أصبحوا يعودون إلى بلدهم بعد أن لمسوا حجم التطور فيه، بينما بعض الدول الأوربية تعاني اقتصادياً، فكيف ترى الأمور بوصفك مراقباً؟**

قبل مدة معينة اشتغلتُ في الاتحاد العالمي للأكاديميات فتاة مغربية، هي عربية بالطبع، لكنها وُلدت في الولايات المتحدة الأمريكية، وتربّت في بلجيكا، وكانت مسلمةً، ولم تكن تتكلم العربية، فذهبتْ إلى دورة خاصة لكي تتعلم العربية، وبحكم علاقتي بالعربية كان هناك تواصل بيننا. في المؤتمر العالمي للأكاديميات جاءت الفتاة وهي تربط منديلاً على شعرها، بينما كان لبسها قصيراً، فلاطفتها، واستنتجتُ أن هذا رمز فقط. هذه الفتاة درست الفلسفة في جامعة بلجيكية، وتخصصت في الفيلسوف كانط، سألتها ذات مرة: أنت عربية مسلمة، فمن المفروض أن تتزوّجي عربياً، لكنك لا تتكلمين اللغة العربية، ولا تعرفين كثيراً عن الحضارة العربية، وأنت أوربية الثقافة، فكيف ستجدين زوجاً؟!. ردّت بقولها: إنها تأمل أن تجد زوجاً مثلها تربّى في بلجيكا، وله ثقافة أوربية، فقلتُ لها: أنا تربّيت في دولة مفتوحة، وكان بإمكاني أن أختار أيّ فتاة، وقد وجدتُ فتاةً واحدةً بصعوبة. هذا المثال أسوقه لتوضيح أن هناك مشكلةً حقيقيةً للمهاجرين؛ فمنهم من يعيش في أوربا بجسده، لكنه يعيش بروحه مع موطنه؛ فهو يتواصل مع بني جلدته في المسجد مثلاً، وفي أمكنة تجمّعاتهم، ولا يخرج عن هذه الدائرة الضيقة، ومنهم من يتكيّف مع الوضع في أوربا، ويندمج مع المجتمع الذي يعيش فيه، ولديه شعور وطني. هناك إحصائية في إنجلترا أوضحت أن ٨٠٪ من المسلمين الذين استقروا هناك، ولديهم جنسية إنجليزية، يرفضون كثيراً من الأشياء في المجتمع. هناك حديث مستفيض ومكرور عن تعدّد الثقافات، وهو كذب؛ فمثلاً: الدولة المجرية النمساوية متعددة الثقافات؛ لأنه كانت هناك ثقافة مجرية وطنية، وثقافة نمساوية وطنية، وثقافة تشيكية وطنية، وغير ذلك، لكن كانت هناك ثقافة مشتركة لنا في الموسيقا والفن، وكانت القيم مشتركة، وكان هذا الممرّ من شعب إلى شعب آخر. وتحت هذه الثقافة المشتركة، والقيم المشتركة، كانت الحضارات الوطنية. هل هذا الممرّ موجود في أوربا؟ الإجابة بالنفي؛ فهناك أتراك يعيشون في ألمانيا، ويتكلمون التركية، ويعيشون في أحياء معينة، والمدرسة تركية، والإدارة المحلية تركية، لا يربطهم أيّ شيء بالحيّ الآخر حيث يعيش الألمان؛ أي: ليس هناك شعور مشترك أو تعاطف، إذا خسر الفريق الجزائري أمام مصر -على سبيل المثال- أحرقوا مرسيليا.

الجيش النمساوي والمجري أخذ طفلاً عربياً يتيماً، فأصبح مرشداً له، ثم صار مسؤولاً عن الخيول، فقائداً كبيراً في الجيش، وهو مدفون هناك في المعسكر الذي كان قائماً



البرلمان المجري

هذا الوضع صعب جداً ما لم يتكيّف الأجانب مع المجتمعات التي انتقلوا إليها. هناك تجربة في هولندا، تتمثّل في أنهم يعطون الأجانب مساعدات إذا تكلّموا الهولندية؛ لذا من الضروريّ أن يكون للأجانب القيم نفسها التي لدى السكان المحليين، أو عليهم أن يعودوا إلى بلادهم. ففي المجر -مثلاً- بعض القبائل المجرية حين وصلت إلى المجر، وصحبت معها شعوب من الشرق، يتكلمون الإيرانية، وبعضهم عرب، وكانوا حراساً للملوك المجريين، جنّدوهم في شمال إفريقية، لكنهم ذابوا في المجتمع المجري، وأصبحوا مجريين، وهذا الأمر يعني أنه لا يمكن أن تكون هناك أقلية مدةً طويلةً ولا تذوب في المجتمع الذي تعيش فيه.

الأدب المجري زاخر بالأسماء الكبيرة، وكانت هناك مجلات ثقافية لها شأنها في إبراز الواقع الثقافي المجري، ماذا بقي من هذه المجلات؟

المجلات ليست مهمة، المهم الأدباء؛ فعندما يجتمعون تزدهر المجلات، وعندما يخفت صوتهم تتوارى المجلات. الأدب المجري غنيّ جداً، خصوصاً الشعر، ويقال: إن أغنى دولتين في الشعر هما: السويد، والمجر. لكن ما يُؤسف له أنه لا يمكن أن نترجم القصائد المجرية بسبب خصوصيات اللغة المجرية، إضافةً إلى ضعف الدعاية للشعراء المجريين؛ فهي ليست مثل الدعاية التي يجدها الشعراء والكتاب الإنجليز، ومع ذلك يكاد يكون الأدب الإنجليزي أدب أطفال، والأدب الفرنسي أغنى بكثير. الأدب المجري ليس معروفاً مع أنه جميل وقويّ جداً. والأدباء أدّوا دوراً كبيراً؛ فهم الذين أيقظوا الوعي الوطني، وعلّموا الشعب معاني الوطنية، فكان أن أثْرَوا الحياة الاجتماعية، وهذا الدور مُفتقد حالياً، وهناك انحطاط في الحياة الأدبية المعاصرة، وفي الفنون عامةً، مع أن الفنّ مهم جداً؛ إذ يمكنه أن يوحّد الشعب، ويمكنه أن يخلق ذلك الممرّ الذي سبق أن أشرتُ إليه؛ فهو ذو دور إيجابي في حياة الشعوب، لكن هذه سنة الحياة؛ فالأدب يتقدم ويزدهر في عصر ما، ويتقدم العلم ويزدهر في عصر آخر، ونحن الآن في عصر العلوم.

> يجب على الأوربيين مثلي أن نعرف الإسلام الذي حارب المسيحيين علناً، وتعاون مع علمائهم سراً

من خلال زيارتي بودابست شاهدتُ عمارة ما قبل الحداثة، وعمارة عصر الباروك بقوة؛ فالمجر من الدول الأوربية التي حافظت على كثير من تراثها العمراني، كما أن فنونها المتمثلة في الأوبرا والمسرح والشعر وغيره كانت قوية، هل أثّرت ثقافة العصر بإيقاعها السريعة في الواقع الثقافي المجري؟

نحن تخلّفنا كثيراً، بل إن العرب أفضل منا؛ فعلى سبيل المثال: في سورية يمكن أن تشتري أشرطة الشيخ الفلاني وأسطواناته شاملةً الخطب التي ألقاها، بينما نحن أصررنا على الوسائل القديمة، ومن الغريب -مثلاً- أن الولايات المتحدة الأمريكية يأتي منها أساتذة لتجنيد الطلبة؛ لأن الطلبة المجريين مستعدون للاجتهاد. وفي أسبوع الكتاب السنوي يشتري المجريون كميات كبيرة من الكتب، لكن نحن نشعر بأننا تخلّفنا؛ لأننا لا نستفيد من الوسائل والإمكانات الجديدة بالقدر المطلوب؛ فالناس يذهبون إلى المسرح، وإلى الحفلات الموسيقية، ومع ذلك يمثّل التلفاز نقلةً حضاريةً كبيرةً؛ لأن برامجه سهلة الاستهلاك، مع أن الذوق فيها منخفض. نحن في عصر التحولات، ولا نعرف إلى أين تتّجه بنا هذه التحولات التي من معالمها تصارع القديم التقليدي والجديد المعاصر.

هذا الأمر يبدو واقعاً عالمياً؛ ففي الماضي كنت تشاهد في وسائل النقل العامة -كالمترو- الناس يقرؤون الكتاب، بينما الآن يستخدمون الوسائل الحديثة؟

نحن نحاول تربية الأبناء من خلال الأسرة، لكن الآن التربية تتمّ عن طريق الأفلام الأمريكية. خبراء الدعاية توصّلوا إلى أنه إذا أردت الدعاية لسلعة ما فلا يجب أن تركّز في السلعة ذاتها، لكن في أسلوب الحياة الذي تمثّل السلعة جزءاً منه. أذكر أن إعلان نوع شهير من السجائر كان يظهر فيه ممثّل معروف في شكل راعي بقر يتميّز بالقوة والعنفوان وهو ينفث دخان هذه السيجارة، والرسالة: إذا كنت تريد أن تبدو قوياً فعليك أن تستخدم هذه السيجارة، وأقول: هذا الممثّل مات بالسرطان. نحاول تربية الشباب من خلال الأسرة، والواقع أن التربية من خلال النماذج التي تقدّمها الأفلام أقوى تأثيراً؛ فالجميع يسعون إلى أن يكونوا ذلك الجميل الغنيّ.

الفيلسوف الفرنسي اليساري ريجيس دوبريه له كتب تُعنى بكيف يفكر التلفاز نيابةً عنا، وكيف يشكّل الثقافة الشعبية، ونحن الآن مقبلون على ثورة جديدة تتمثّل في تزاوج التلفاز والإنترنت، فهل نحن بصدد مواطن كوني يفكّر بأسلوب واحد؟

هذا السؤال صعب جداً؛ لأنه في السابق كان للمثقف ولاء لشعبه، وولاء للمثقفين الآخرين مهما كانت جنسيتهم. نحن يقترب بعضنا من بعض عن طريق الإنترنت والحضارة المتشابهة في كثير من الجوانب، لكن تبقى أنت عربياً،

أرسطو

على الدكتوراه من الجامعة، بعد ذلك أصبحتُ مرشّحاً لتدريس العلوم في الأكاديمية، وبعد ذلك دكتوراً في الأكاديمية. بعد عام ١٩٩٠م حوّلنا النظام، ورجعنا إلى النظام الأوربي العادي؛ بمعنى أن هناك درجة دكتوراه بعد الجامعة، لكن حافظنا على شبكة مؤسسات البحوث في الأكاديميات. إذاً، الأكاديمية لها دور ومقرّ للشيوخ الذين كانوا علماء سابقاً، وهي تُشبه وزارة للعلوم، وبعد ذلك أصبحت شبكةً للبحوث. نحن لا نريد أن نغيّر هذا النظام؛ لأن في كل البلدان توجد شبكة لمعاهد البحوث؛ لذلك يجب أن أقول: الآن الأكاديمية أصبحت أفضل من السابق؛ فقد تمّ إلغاء العوامل السياسية عند انتخاب الأعضاء، وأصبح


ابن رشد

توما الأكويني

وأبقى أنا مجرياً، ونتفاهم معاً بسهولة أكثر مما مضى.

● لنعُدْ إلى الجانب الأكاديمي؛ فقد كان إستيفان سزيشيني مَن تشكّلت أكاديمية العلوم المجرية على يديه، وشهدت تطوراً كبيراً، والسؤال: هل لا تزال الأكاديمية تحتفظ بمستواها الذي كانت عليه في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي؟

الأكاديمية تأسّست دفاعاً عن اللغة المجرية؛ لأن اللغة الرسمية للمجر لم تكن المجرية إلى عام ١٨٤٤م، وإنما كانت اللغة اللاتينية. الصفوة من المجريين كانوا يتكلمون معاً باللاتينية، وكان الحديث مع العامة –كالفلاحين والعمال– بالمجرية، وكانت لغة البرلمان اللاتينية أو الألمانية؛ بسبب الدولة المشتركة؛ لذا رأى إستيفان سزيشيني وزملاؤه أن من الواجب تأسيس أكاديمية لتطوير اللغة المجرية، والدفاع عنها. وبالفعل بعد مرور ٢٠ عاماً على تأسيس الأكاديمية جاؤوا بقانون يحول اللغة الرسمية من اللاتينية الى المجرية، وكان هو الدور الأساسي للأكاديمية. طبعاً، بعد تأسيس الأكاديمية انتخب آخرون إلى جانب الأدباء والشعراء، فتطورت العلوم المجرية مع النمسا؛ لأن المجر والنمسا كانتا دولةً واحدةً، وقامتا بإصلاح الدراسات العليا عام ١٨٥٥م، فطبّقوا النظام الألماني، وقبل ذلك كان النظام من القرون الوسطى، وكان متخلفاً جداً، وبقينا على تقليد الألمان إلى الحرب العالمية الثانية، وبعد الحرب صرنا نقلّد السوفييت، الذين قلّدوا الفرنسيين السابقين: بيتر الأول الذي أسّس بطرسبورج، وبعد ذلك لينينجراد أسّس الأكاديميات، لكن لم يكن لديه جامعة؛ لذلك دعا فرنسيين؛ لأنهم أصحاب معرفة بالأكاديمية، لكنهم قاموا باحتجاج ضده، فطردهم وهو في غضبه، وأسّس الجامعات. النظام الفرنسي أقدم من النظام الألماني، والمبدأ أن الجامعة تدرّس مثل المدرسة الثانوية، وبعد أن تتخرّج في الجامعة تذهب إلى المؤسسات الأكاديمية ومؤسسات البحوث، وتبدأ تبحث وتحصل على الدرجات العلمية في الأكاديمية. إذاً، نحن قلّدنا السوفييت بعد الحرب العالمية الثانية، واندمجنا مع النظام الألماني القديم، وحصلتُ

ماروث ميكلوس في سطور

- حصل على شهادة البكالوريوس في اللغات القديمة/ الكلاسيكية (اللاتينية، واليونانية)، وفي فقه اللغة السامية (العربية)، عام ١٩٦٧م.
- حصل على درجة الدكتوراه، وكانت رسالته بعنوان: (آسيا الوسطى في مراجعة الخوارزمي لجغرافيا بطليموس)، عام ١٩٧٠م.
- حصل على درجة الدكتوراه في علوم اللغة، وكانت رسالته بعنوان: (العرب والنظرية الوصفية التقليدية)، عام ١٩٨٨م.
- رئيس قسم اللغات والآداب في أكاديمية العلوم المجرية (٢٠٠٥-٢٠٠٨م).
- نائب رئيس الاتحاد الأكاديمي الدولي (٢٠٠٦-٢٠٠٧م).
- نائب رئيس أكاديمية العلوم المجرية (٢٠٠٨-٢٠١٤م).
- عضو في أكاديمية العلوم والفنون الأوربية في سالزبيرج، عام ٢٠١٠م.
- الرئيس الفخري للاتحاد الأكاديمي الدولي، عام ٢٠١٠م.
- حصل على الميدالية الذهبية من أكاديمية الفنون المجرية عام ١٩٩٧م.
- حصل على وسام صليب الجمهورية المجرية عام ١٩٨٨م.
- حصل على وسام المواطنة الفخرية لبيونس آيرس بالأرجنتين عام ٢٠٠٩م.
- حصل على ميدالية ابن سينا الذهبية من جمهورية إيران الإسلامية عام ٢٠٠٩م.

الأساس النتائج العلمية فقط. في زمن الشيوعية، كان الطموح أن يُعطى كلّ واحد عملاً؛ لذلك كان عدد الباحثين في الأكاديمية أكثر من عشرة آلاف باحث، بعد ذلك تخلّصوا من سبعة آلاف باحث، وبقي ثلاثة آلاف فقط، وكان إنتاجهم العلمي أكبر من إنتاج عشرة الآلاف، وبعد ذلك بدأ يزداد عدد الباحثين، ويزداد الإنتاج، لكن الدولة المجرية دخلت مرحلة أزمة اقتصادية، وأزمة بحوث أيضاً. الآن نخرج تدريجياً من هذه الأزمة السياسة والاقتصادية التي يشتمونها في أوربا الغربية، لكن رئيس الوزراء المجري يقول: يمكن أن يشتموه، لكنه ناجح، ويشتمه الذين أخفقوا، وهذا الأمر يعني أن ميزانية الأكاديمية تزداد من عام إلى آخر، لكن الجامعات فقيرة. التدريس في مرحلتي البكالوريوس والماجستير جيد، لكن في مرحلة الدكتوراه تحكمه ظروف خاصة تتعلق بالأستاذ وارتباطاته بجامعات أجنبية ومعاهد البحوث؛ أي: في هذه المرحلة يجب أن يعرف الباحث إلى أين يذهب. كما قلتُ هناك تحسّن، في هذه المرحلة الحكومة انتخبت لأربعة أعوام مقبلة، وهي تريد إصلاح الجامعات، وهذا الأمر يعني دعمها مالياً ومعنوياً. إذاً، هناك تحسّن، وإن كان نسبياً.

● ما طبيعة العلاقة بين أكاديمية العلوم المجرية ومؤسسة آنا ليند؟

نتعاون مع المؤسسة في بعض البرامج، لكن العلاقة شكلية أكثر من أن تكون مرتبطةً بالمضمون؛ فالمؤسسة تُعنى بالشباب ومناقشتهم، ولا تدعم البحوث.

● تشكون من عدم تفاعل العرب مع المؤسسات والمعاهد المعنية باللغة العربية وقضايا العالم العربي، فما أسباب شكواكم؟

المشكلة أن الفرس يهتمون بالعلوم العربية اليوم أكثر من العرب، ولا أدري السبب في ذلك. الإنجليز ينتظرون منك أن تدرس اللغة الإنجليزية فقط، والفرنسيون يدعمون الدراسات الفرنسية في كلّ العالم، والأتراك كذلك يدعمون الدراسات التركية، بينما العرب غافلون حتى في بلادهم؛ فعلى سبيل المثال في سورية ومصر: القوى المثقفة الناجحة هربت، وذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وغيرهما، وتركت البلاد، وصعب أن تجد عناصر يمكن أن تتعاون معها. مشكلتنا مع العرب أنهم مشغولون بثوراتهم، وصعوباتهم الداخلية والسياسية. إذا تكلمنا عن الحضارة العربية نجد أن العرب لديهم بعض الخرافات، وصعب أن ترى هذه الخرافات وتبقى مؤدباً وصامتاً. أذكر أنني تعرّفت إلى سفير عراقي -يؤسفني أنه شُنق في أيام صدام- وقلت له: إن ابن سينا كان فارسياً، فردّ: مستحيل، وكان برهانه الخارق أن تمثاله موجود في بغداد. بعضهم لا يصدق أن ابن سينا مات منتحراً، ثقافته العربية والإسلامية طاغية ومؤثرة، لكن جذوره من آسيا الوسطى، هذا الأمر لا يعيبه، ولا يعيب غيره من الذين أثْرَوا الحضارة العربية الإسلامية. تحدثتُ مع أستاذ يهودي في المجر، وسألته: لماذا تطلقون مصطلح (الفلسفة العربية)، بينما الفلاسفة في الأغلب فرس، وقلما نجد فيلسوفاً عربياً؟ فقال: إن العرب هم الذين أوجدوا الإطار، وأوجدوا الحضارة التي في ظلّها وجد هؤلاء العلم ليعملوا ويشتهروا. ونحن في المجر لا ننظر إلى جذور الإنسان على سبيل المثال؛ لذلك ننظر إلى الكاتب إيمري كيرتيشا -الحاصل على جائزة نوبل- على أنه مجري ما دام يعيش في ظلّ الدولة المجرية بغض النظر عن كونه يهودياً. أنا أتبنّى هذه الفكرة، ابن سينا أصله فارسي، لكنه فيلسوف عربي. والتصنيف لم يهتم به هؤلاء الفلاسفة أنفسهم؛ لأن انتماءهم كان للدولة الإسلامية.

● تأثّر الشاعر المجري تشكوناي ميهاي أيضاً بالأدب العربي، هل له كتب؟

علّق ضاحكاً: أنا أعددتُ محاضرة الليلة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية من غير أن أشير إلى هذا الشاعر؛ ثقةً بأنه غير معروف. ليس تشكوناي ميهاي فحسب، بل هناك آخرون في الأدب المجري، خصوصاً في نهاية القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، اتّجهوا إلى الشرق، وقلّدوا الأدباء الشرقيين؛ بسبب الوعي المجري الذي أيقظه العلماء في ذلك الحين، وأدرك الشعب المجري أن جذوره جذور شرقية؛ لذلك اتّجه


أكاديمية العلوم المجرية

دول أوربية صفّت حساباتها عبر ليبيا بحجة حماية حقوق الإنسان، ثم ذهب كلّ قائد إلى بيته، والليبيون اليوم يقتل بعضهم بعضاً

كثير من الشعراء إلى الشرق، كما أن ذلك كان موجةً عالميةً، ليس تشكوناي فيتز ميهاي فحسب، بل جوته في ألمانيا كذلك، وغيرهما، وهو ما نسمّيه **Orientalism**، وهناك فارق بين **Orientalism** و**Orient study**، وقد لاحظتُ أن العرب يخلطون بينهما. ما أودّ أن أقوله: إن التوجّه إلى الشرق كان موجةً عالميةً شملت المجر.

● **سبق أن قرأتُ أن هناك أحد النبلاء المجريين أتى إلى شمال الجزيرة العربية؛ أي: المملكة العربية السعودية حالياً، وتاجر بالخيل، لكن لا يحضرني اسمه الآن؟**

الجيش النمساوي المجري جاء إلى المنطقة لشراء الخيول، ويقال: إنه وصل إلى سورية؛ لذلك فالخيول المجرية أصلها خيول عربية. هناك حكاية إضافية تقول: إن طفلاً عربياً يتيماً كان واقفاً في الميناء، ويبدو أنه لم يكن يهتم به أحد، فأخذه الجيش معه، فأصبح مرشداً له، ثم صار مسؤولاً عن الخيول، فقائداً كبيراً في الجيش، وهو مدفون هناك في المعسكر الذي كان قائماً حينذاك.

● **ندخل إلى الوضع العربي الراهن، مع أنني لا أريد أن أثقل عليك بإطالة الحوار مع أنه شائق، الربيع العربي أو العالم العربي كيف تشاهده أنت من الخارج؟**

مع الأسف، أنا أشعر أن الدول الأوربية ارتكبت جرائم كثيرة ضد الشعوب العربية؛ لذلك أندهش -في بعض الأحيان- من أن العرب مثلك مستعدون للكلام مع أوربي مثلي. التقيت السفراء العرب في معيّة السيد رئيس الوزراء، الذي سألني: ما رأيك: أيفهم الأوربيون القضية العربية أم لا؟ فأجبته بعبارتين: الأولى لا يفهمونها، ولا نريد أن نشتم رؤساء الدول حتى لا نغضبهم، هم يريدون فرض قيمهم على العرب. الجملة الثانية: حقبة الصين كانت حقبة طويلة جداً في أوربا، نحو ٧٠ سنة، لماذا؟ لأننا صدّرنا كل الحروب الأوربية إلى الشرق الأوسط؛ فالحرب الإسرائيلية العربية هي حرب أوربية، وعلى سبيل المثال ما جرى في ليبيا؛ ففي البداية اهتموا بحقوق الإنسان عندما كان القذافي على قيد الحياة؛ لذلك ذهبت الدول الأوربية إلى المساعدة على وقف الدماء، ثم بعد ذلك سمعت في ألمانيا أن هذا كان دوراً ألمانياً فرنسياً؛ لأنه كانت عندهم تصفية حسابات، وبعد أن قاموا بذلك ذهب كلٌّ إلى بيته؛ فمن يهتم الآن بحقوق الإنسان في ليبيا، الليبيون يقتل بعضهم بعضاً، وهو أمر لا يهم أوربا؛ لأن المشكلة الأوربية حُلّت خارج أوربا. النظام الاقتصادي الأمريكي نظام جيّد ومعقّد، لكن الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع أن تعيش أكثر من عشر سنوات من دون صناعة حرب. في السنوات الأخيرة كانت الحرب العراقية الإيرانية، وحرب أفغانستان. طبعاً نحن لنا حصة الأسد في العالم؛ فالترسانة الأمريكية الآن هي: الزيت هو الحرب. هذه هي المشكلة؛ فالآن إيران هي المسؤولة عن كلّ شيء، إيران تريد العدوان، وتمتلك قنبلةً ذريةً، من يقول هذا هما الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل؛ أي: قبل خمس سنوات بادروا إلى الحرب. متى بادرت إيران إلى الحرب؟ أكثر من ٥٠٠ سنة مرّت من دون مبادرة إيرانية إلى الحرب؛ لأن الشيعة الاثني عشرية تقول: إن الإمام هو الشخص الذي له السلطة كاملة، والآخرون لهم سلطة محدودة. السلطة الكاملة تعني أنه هو الشخص الوحيد الذي يمكن أن يبادر بالحرب. إذاً، الدولة الإيرانية الرسمية لا يمكن أن تبادر إلى الحرب، لكن يمكنها أن تدافع عن نفسها. ومع ذلك، فكلّ العالم يقول: إن الإيرانيين عدوانيون، وتقول الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل: إنهما تخافان، وأنا أخاف من خوفهما؛ لأنهما وجدا فكرة **prevent a war**، أي: لهم الحق في أن يبادرا إلى الحرب ما داما يخافان. ماذا حدث في سورية؟ إيران دولة كبيرة؛ أي: لا يمكن احتلالها، فكأنهم بضرب سورية يحذّرون الإيرانيين، والسوريون يدفعون ثمن هذه المغامرة. الموضوع السوري أكثر تعقيداً؛ لأن النظام بوليسي فاشي في الأصل. طغيان النظام ليس حُجّةً، بل تسويغ؛ لأنه يصعب وجود نظام عربي وفق المفاهيم الأوربية. لكن المصالح المؤقتة هي التي تدفع إلى مثل هذا السلوك الأوربي؛ ففي سورية، وفي مواطن الحرب الأخرى، يتم تهجير المسيحيين على يد الأوربيين. لم تكن المشكلة دينية في الأساس؛ فنحن الأوربيين أوجدنا المشكلة.

● **السعودية بلد غنيّ، وتصرف على منظمات عالمية كثيرة، فهل حاولتم الاتصال بالجامعات هنا؟**

لم نحاول؛ لأن العرب -حسب تجربتي- مستعدون لأن يعطوا أموالاً لأهداف علمية في أمكنة لها مكانة مظهرية عالية **prestige**؛ فالدول الإسلامية أسّست معهداً للبحوث في كامبريدج، وأظنّ أن السعودية تموّل كرسياً للدراسات العربية في موسكو؛ فهم يعطون الأموال ولا يهتمون بالمتابعة بعد ذلك!. هناك اهتمام من المجر بالدراسات الشرقية، ولم توظّف هذه الدراسات في التوغل في الشرق كما فعلت غيرها من الدول، مع ذلك لا تهتم الدول الإسلامية بها. إيران يمكن أن تهتم بذلك، لكن -من المؤسف- أن لها أهدافاً أخرى. زوجتي أستاذة في اللغة الفارسية، وترى أن الإيرانيين يرشّحون من يمثّل المذهب الشيعي، وبصرف النظر عن الدين فإن لإيران أهدافاً سياسيةً، وهي الدولة الوحيدة المستعدة لإرسال مساعدات إلى المجر، بينما العرب لا اهتمام لهم بها.

● **هل هناك شيء تودّ إضافته؟**

أودّ أن أعبّر عن أسفي لعدم مشاركة العرب في الحياة العلمية العالمية حسب وزنهم العلمي؛ فهم غافلون. هذا ليس مهماً بالنسبة إليهم؛ لذلك نرى أن جدول الأعمال في اتّحاد الأكاديميات ينقصه الموضوعات الإسلامية والعربية، لذا نحن - الأوربيين- نقوم بالبرامج التي تبرز الإسهام الحضاري العربي والإسلامي. الشيء نفسه ينسحب على الفرس؛ إذ نقوم بإعداد القاموس الكبير للإيرانية الوسيطة من دون مشاركة الفرس؛ أي: يقوم الإنجليز والإسرائيليون والإيطاليون بنشر النصوص المنقوشة على الصخور. هذا أمر مؤسف جداً؛ فالدول الإسلامية صرفت اهتمامها إلى مشكلاتها الداخلية. لا أعرف السبب، لكنهم لا يريدون التعاون العلمي، ولا يريدون أن ينتسبوا إلى العائلة الثقافية الكبيرة؛ لأنهم لو انتسبوا لكان من الصعب أن ترسم لهم صورة الوحوش، وأنهم لا حضارة لهم، أو أنه يجب أن نفرض عليهم ديمقراطيتنا بوصفها النظام الوحيد.

سيد الجعفري | هيئة التحرير

وُلدت في حفل تخرّج لتثور على الظلم

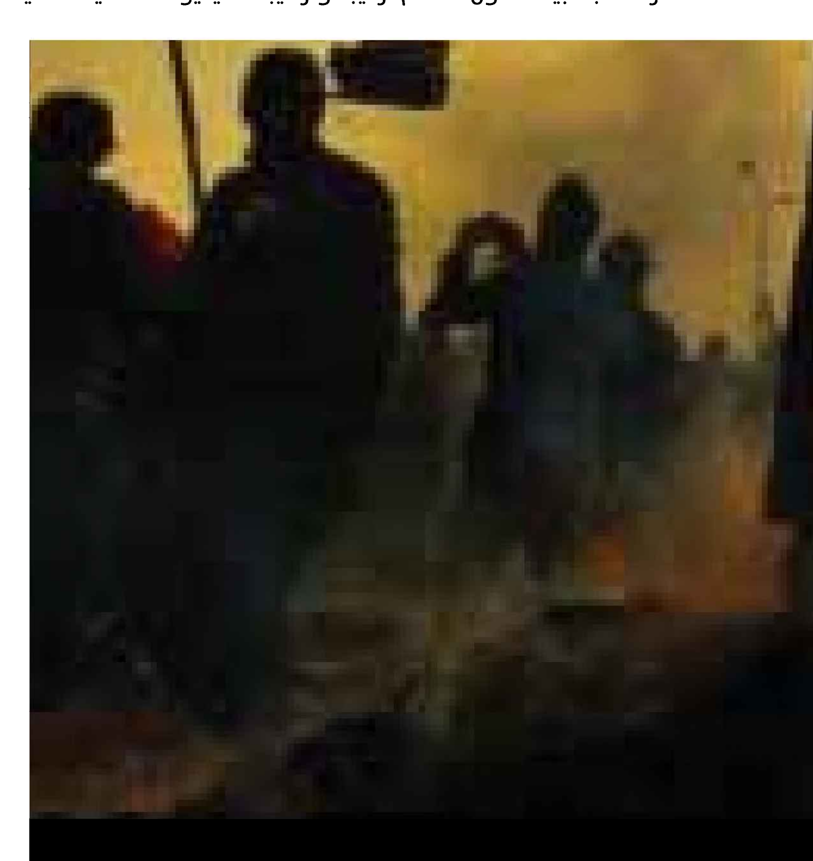
«سوف نبقى هنا»

أنشودة مشهورة قصتها مجهولة



سـوف نبقـى هنا كـي يـزول الألـم
سـوف نحيـا هنـا سوف يحلو النغم

بهذه الكلمات الرقيقة الثائرة، التي تنتفض صموداً وتشبّثاً بالأرض والوطن، استهلّ الطبيب الشاب عادل المشيطي أنشـودته (سـوف نبقى هنا)، التي صدح بها للمرة الأولى في حفل تخرّجه في كلية الطب البشري بجامعة العرب الطبيـة في مدينة بنـي غازي الليبية عام ٢٠٠٥م، عندما طلب منه زملاؤه كتابة قصيدة ينشـدونها في حفـل تخرّجهم، فكانت فرصته الأولى للتحدث إلى الشعب الليبي بعد معاناة قاربت عشر سنوات من المنع والحبس والآلام، فحاول أن يوهم آذان النظام الطاغية، وأعينه المراقبة فـي قاعـة الاحتفـال، بأنها مجرّد كلمات خرجت من طالب سـعيد بمناسـبة التخرّج، يودّ أن يشـكر والديه، متمنياً أن يُدرك الحضـور المعاني الأخرى التي قصدها من وراء كلماتها. ولا ندري أهو من سوء حظ الطبيب الشاعر أم من حُسنه أن كلا الطرفين فهم مغزى القصيدة، فتبنّاها الشعب، واستخدمها شعاراً لغضبه، بينما حاول النظام ترغيبه وترهيبه لكي يوظّف قصيدته في خدمة النظام.



بداية الحكاية

عادل إدريس المشيطي طبيب ليبي وُلد عام ١٩٧٣م في مدينة بني غازي الليبية، ويعيش حالياً في ألمانيا، ويعمل طبيباً في مجال العناية المركّزة والتخدير، ومستشاراً طبياً في إحدى شركات أغذية الأطفال العالمية، ويدرس في مرحلة الدكتوراه. التحق المشيطي بكلية الطب البشري في جامعة العرب الطبية بمدينة بني غازي الليبية عام ١٩٩١م، وشارك في الأنشطة الطلابية المناهضة لنظام القذافي، إلى أن اندلعت المواجهات المسلحة مع النظام عام ١٩٩٥م، فقدّم المساعدات الطبية، وأجرى العمليات الجراحية لمصابي هذه المواجهات من الشعب، بعيداً من أعين النظام، وكان وقتها طالباً في السنة الرابعة بالكلية، إلى أن اعتقل بداية عام ١٩٩٦م، وأُودع سجن (أبو سليم) المعروف بقسوته ستّ سنوات إلى عام ٢٠٠١م. كان التضييق يلازم المشيطي حتى داخل سجنه، بعد أن جعل صوته وسيلةً لتسلية السجناء والتخفيف عنهم، ومنحهم شعوراً بأن أعمارهم لم تذهب هباءً، بل قدّموها نصرةً لدينهم وبلدهم، وكان مما





أنشد لهم قصيدته (غرباء ولغير الله لا نحني الجباه)؛ فعوقب على ذلك أكثر من مرة بالحبس الانفرادي، والحرمان من الطعام، والضرب والتوبيخ.

أُفرج عن المشيطي أواخر عام ٢٠٠١م، ومُنع من استكمال الدراسة والعمل والسفر، وسُلبت كلّ حقوقه المدنية، وعمل نظام القذافي على طمس أناشيده وتغييبها؛ إدراكاً منه لتأثيرها في نفوس الشعب الليبي.

عاد المشيطي بعد طول معاناة إلى مقاعد الدراسة، لكن بشروط قاسية، فكان عليه أن يحضر محاضراته، ثم يغادر الجامعة فوراً من دون أن يحتكّ بالطلبة، أو يمارس أيّ نشاط ثقافي بكتابة القصائد أو المقالات في صحف الجامعة أو الصحف الرسمية، إلى أن تخرّج في عام ٢٠٠٥م.

صرخة مدوّية

نظّمت جامعة العرب الطبية بمدينة بني غازي الليبية حفل تخرّج دفعة كلية الطب البشري الـ٢٨ عام ٢٠٠٥م، وطلب زملاء عادل المشيطي الخرّيجون من زميلهم أن يكتب لهم قصيدةً ينشدونها معه في حفل تخرّجهم، فكتب لهم قصيدة (سوف نبقى هنا)، وأنشدها مع بعض زملاء دفعته في حضور ما يقرب من ألف طالب وطالبة وزائر، فأبكى الجميع، حتى إنه اضطرّ إلى توجيه عينيه نحو سقف القاعة حتى لا يبكي هو تحت تأثير دموع الحاضرين.

كانت القصيدة فرصة المشيطي الأولى للتحدث إلى الشعب الليبي بعد منع ومعاناة قاربت عشر سنوات؛ فالقصيدة -كما يقول صاحبها في حوار هاتفي أجرته معه صحيفة (فلسطين) اليومية السياسية الشاملة الصادرة في مدينة غزة- كُتبت بمداد من الدم والدموع؛ فهي حصيلة كفاح أكثر من عشر سنوات، وغُنِّيت أمام اللجان الثورية وأعوان نظام القذافي الذين كانوا في الجامعة، فأبكت كلماتها الحاضرين بعد أن فهموا ما يرمي إليه الشاعر، مع أنه غلّف قصيدته بقالب الطالب الفرح بتخرّجه، لكن الكلمات التي خرجت من القلب ما كان لها إلا أن تصل إلى القلوب، وتنفذ إلى الأعماق.

حملت قصيدة (سوف نبقى هنا)، بعيداً من فرحة صاحبها بتخرّجه، وشكره والديه، وسهره طلباً للعلم، وسعادته بقَسَم المهنة، معاني ثائرةً كثيرةً، منها: تشبّثه بموطنه ذي الإباء كي يزول ألمه، وأن موطنه ملك له هو، وحديثه عن النقم والهمّ وكيد العدا، ودعوته إلى الثورة السلمية على رأس الهرم: فلنقم كلنا بالدواء والقلم، نبتغي صيد المعالي، نبتغي رأس الهرم. توقّع المشيطي، الذي ذاق مرارة الاعتقال في سجن (أبو سليم) الشهير، ولم يعرف لبلاده منذ ولادته حاكماً سوى القذافي، أن تتوقّف حياته بعد أن ينشد قصيدته؛ لذا ترك لنفسه مساحةً يبرّئ بها نفسه أمام أيّ تحقيق يخضع له، فغيّر وبدّل كلماتها كثيراً في أثناء كتابتها. لكن التورية في كلمات القصيدة لم تُنقذ صاحبها؛ ففي اليوم التالي لحفل تخرّجه توجّه إلى بيته ممثّلو اللجان الثورية يحذّرونه من العواقب التي ستلمّ به بسبب هذه القصيدة. ثم قامت انتفاضة عام ٢٠٠٦م في ليبيا، واستخدم الثوار القصيدة شعاراً لها، فسُجن المشيطي ١٣ يوماً، تبعها تحقيق سُئل فيه عن كلمات القصيدة لفظاً لفظاً، وعمّا يقصده بكلّ كلمةٍ فيها. وصحب التحقيق ترغيب بمبالغ مالية، و(فيديو كليب) يتم تصويره في لبنان إذا أعاد كتابة الكلمات بما يتوافق مع أفكار النظام، والمشاركة بالأغنية الجديدة في مهرجان الأغنية المصوّرة بشرم الشيخ في مصر، مع ترهيبه من تبعات رفضه هذا العرض، لكن المشيطي رفض الترغيب والترهيب معاً، وقال للمحقّقين: إنه يقصد بـ(العدا والنقم) الأمراض والأوبئة، وبـ(رأس الهرم) الإبداع الذي يتربّع على قمة هرم احتياجات الإنسان، لكنهم فهموا مقصده، ولم تنطلِ عليهم تفسيراته، فاتّهمته أجهزة الأمن الليبية بالانتساب إلى القاعدة، قبل أن يتمّ الإفراج عنه لاحقاً.

محطات القصيدة

انتشرت أنشودة (سوف نبقى هنا) مع أن المشيطي لم ينشرها عبر الأشرطة والتسجيلات كحال أيّ أغنية أخرى، بل وجدت طريقها إلى

الإنترنت، فتناقلها الناس عبر هواتفهم المحمولة، ولم يتمكّن النظام من وقفها مع أنه فعل كلّ ما في وسعه لذلك. وبعد شهرين من إلقاء المشيطي قصيدته في حفل تخرّجه اشتعلت في فبراير عام ٢٠٠٦م انتفاضة ليبية تعرّضت للقمع، وكان من أبرز شعاراتها أنشودة المشيطي هذه. ثم أعاد المشيطي تصوير أنشودته مرةً أخرى، وأهدى (الفيديو كليب) إلى غزة بعد صمودها أمام العدوان الإسرائيلي في نهاية عام ٢٠٠٨م؛ إذ يرى المشيطي أن المقاومة في ليبيا وفلسطين واحدة، وأن قصيدته شعار للمقاومة، وباعث للإصرار على البقاء، وحبّ الوطن، والانتماء إليه، وخدمته في كلّ مكان. ثم اندلعت ثورة ١٧ فبراير عام ٢٠١١م ضد نظام العقيد الليبي معمر القذافي في إطار ثورات الربيع العربي التي اجتاحت أكثر من دولة عربية، وألهبت القصيدة حناجر ثوّار ليبيا وهم يصدحون بها في تظاهراتهم قبل أن تتحوّل الثورة السلمية إلى ثورة مسلّحة، ولقّب الثوار المشيطي بـ(منشد الثورة).

بين إنشاد القصيدة في عهد القذافي وفي عهد الثورة فرق شاسع؛ ففي عهد القذافي لم يكن المشيطي يتوقّع سوى القتل أو الاعتقال، لكنه أصرّ على إنشادها؛ إدراكاً منه لمدى تأثير الأغنية في الشعب العربي، وما سيكون لها من أثر حتى وإن قُضي عليه بسببها؛ فقد رأى البوح بها كلمة حقّ في وجه سلطان جائر. أما في عهد الثورة، فمشاعر المشيطي وهو يتبادل كلمات الأنشودة مع جموع الليبيين المنتصرين على القذافي في الساحة الخضراء بوسط العاصمة الليبية طرابلس عام ٢٠١١م لا يمكن وصفها ولو اجتمع كلّ شعراء الأرض كما يقول المشيطي نفسه، حتى إنه شعر بأن قدميه لا تحملانه من الفرحة. ويزداد بريق الأنشودة وتأثيرها حينما نعلم أن حسن المريمي -المناضل المعروف في ليبيا بعبارته الشهيرة «مطلبنا الحرية»، الذي تزيّن صورته اليوم المدن الليبية، يصف هذه الأنشودة بأنها هزّت مشاعره عندما ضاقت به ورفاقه الأرض، واشتدّ حصار الكتائب عليهم، وأن أناشيد المشيطي كانت عاملاً مؤجّجاً للثورة ضد القذافي، وأنه أقسم حينما استمع إلى أنشودة (سوف نبقى هنا) بأن يدفع حياته ثمناً لخلاص مدينته الزاوية وحريتها.



سوف نبقى هنا
عادل المشيطي

سوف نبقى هنا ... كي يزولَ الألمْ
سوف نحيا هنا ... سوف يحلو النغمْ
موطني موطني ... موطني ذا الإباءْ
موطني موطني ... موطني يا أنا

***

رغم كيد العدا ... رغم كلّ النِّقمْ
سوف نسعى إلى ... أن تعمّ النعمْ
سوف نرنو إلى ... رفع كلّ الهممْ
بالمسير للعلا ... ومناجاة القممْ
فلنقُمْ كلُّنا ... بالدواء والقلمْ
كلُّنا عفو على ... من يصارع السَّقمْ
فلنواصل المسير ... نحو غايات أهمّ
ونكون حقاً ... خير أمة بين الأممْ

***

سوف نبقى هنا ... كي يزولَ الألمْ
سوف نحيا هنا ... سوف يحلو النغمْ

***

كم سهرنا من ليالي ... للصباح لا ننمْ
كم عراقيل كسرنا ... كم حفظنا من رزمْ
كم جسور قد عبرنا ... كم ذرفنا من حِممْ
نبتغي صيد المعالي ... نبتغي رأس الهرمْ
نقضي ساعات طوال ... نستقي علْم العجمْ
نستهين كلّ غالي ... كي نحقّق الحُلُمْ
إن سئمنا لا نبالي ... فلنسِر للأملْ
إن قمة الجبال ... تستحقّ لا جَرَمْ

*** *** ***

سوف نبقى هنا ... كي يزولَ الألمْ
سوف نحيا هنا ... سوف يحلو النغمْ

***

فضلُكم يا والديّ ... عمّني حتى اللجمْ
كلّ همٍّ قد أصبنا ... زادكم بالطبع همّ
إن كلّ ما جنينا ... من جهودكم نَجَمْ
والدي يا خير عون ... كان لي عند المحنْ
أنتِ يا من تملكين ... جنةً تحت القدمْ
كلّ ألفاظ لساني ... كلّ شكرٍ قد رُهِنْ
اجمعوا كل المعاني ... من عرابٍ أو عجمْ
لا توافي شكركنّ ... لا تجاوزُ العدمْ

***

سوف نبقى هنا ... كي يزولَ الألمْ
سوف نحيا هنا ... سوف يحلو النغمْ

***

هذي فرحة الأهالي ... لا يساويها رقمْ
حين يشهدون حالي ... بالسرور أبتسمْ
إذ أقلّد اللآلي ... والشهادة أستلمْ
فرحتي وصرختي ... تكاد تُسمع الأصمّ
يا نجوم السماء ... يا عبائق النَّسمْ
يا سحائب الرجا ... يا طيور الحرمْ
يا رعود الشتاء ... يا جميع الأنامْ
اشهدوا هذا المساء ... أنني قلتُ القسمْ
اشهدوا هذا المساء ... أنني قلتُ القَسمْ

***

سوف نبقى هنا ... كي يزولَ الألمْ
سوف نحيا هنا ... سوف يحلو النغمْ



فن أبو ظبي..

حيث يتحدث العالم لغة واحدة

اشـتمل فنّ أبو ظبي في دورته السادسـة، التي أقيمت في المنطقة الثقافية بالسـعديات في المدة من (٥-٨ نوفمبـر ٢٠١٤م)، علـى كثير من الفعاليات الثقافيـة والفنية، وقامت بتنظيمه هيئة أبو ظبي للسـياحة والثقافة تحت رعاية الفريق أول سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبو ظبي.

واسـتقطب (فـنّ أبو ظبي ٢٠١٤م) المؤسسـات والهيئات الثقافيـة المرموقة والمعروفة عالميـاً، منها: المتحف البريطانـي، ومتحف اللوفر، ووزارة الثقافة الفرنسـية، واتّحاد المتاحف الوطنية- جران باليه، ومدرسـة اللوفر، والمركز الوطني للفنون والثقافات (مركز بومبيدو)، ومتحف تيت مودرن في لندن، ومؤسسة سولومون آر جوجنهايم، ومؤسسة الشارقة للفنون، وغيرها.



متحف لوفر أبو ظبي صُمِّم ليكون مقراً للتعبيـرات الجمالية لمختلف الحضـارات والثقافات التي نشـأت منذ فجر التاريخ إلى وقتنا الحاضر

السعديات.. ملتقى فنون العالم

نبدأ جولتنا في دهاليز فنّ أبو ظبي بالتعريف بالمنطقة الثقافية في السعديات؛ فهي منطقة متكاملة تُعنى بالاحتفاء بالثقافة والفنون، أقيمت لتكون مركز إشعاع للثقافة من خلال تنظيم المعارض المتفرّدة، وتقديم مجموعات فنية دائمة، واستضافة عروض الأداء، إضافةً إلى كثير من الفعاليات الثقافية الأخرى. ويعدُّ متحف زايد الوطني من أهم الصروح الثقافية في السعديات، وهو يمثّل المتحف الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة، ويروي سيرة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله- وتوحيده الدولة، وتاريخ المنطقة، وعلاقاتها الثقافية بالعالم.

أما متحف لوفر أبو ظبي، فقد صُمِّم ليكون مقراً للتعبيرات الجمالية لمختلف الحضارات والثقافات التي نشأت منذ فجر التاريخ إلى وقتنا الحاضر. والمتحف نتاج اتفاقية تعاون بين حكومتي الإمارات العربية المتحدة وفرنسا، ويضم أعمالاً فنيةً، ومخطوطات، وموضوعات تتميّز بأهميتها التاريخية والثقافية والاجتماعية، وتتلاقى فيه التجربة الإنسانية المشتركة التي تتجاوز حدود الجغرافية والأعراق والتاريخ. ويسهم معرض جوجنهايم أبو ظبي في تعميق هذا البعد الإنساني من خلال مجموعته الدائمة من الأعمال الفنية، والمعارض، والمطبوعات المتخصّصة، والبرامج التعليمية.



ساعات وألوان

من أهم برامج فنّ أبو ظبي، ويُعنى بتقديم لحظات فنية أدائية تثري تجربة الزائرين، وتجعلهم يعيشون لحظات فنية ممتعة مع محتوى تفاعلي يرتبط بدقات الساعة. ويشمل البرنامج أعمال فيديو تركيبية، واستكشافات إبداعية صوتية، وعروض أداء بمشاركة كلّ من: نيلز فراهم، وأمالا ديانور، وموسى سار، والفنانة باتي سميث.

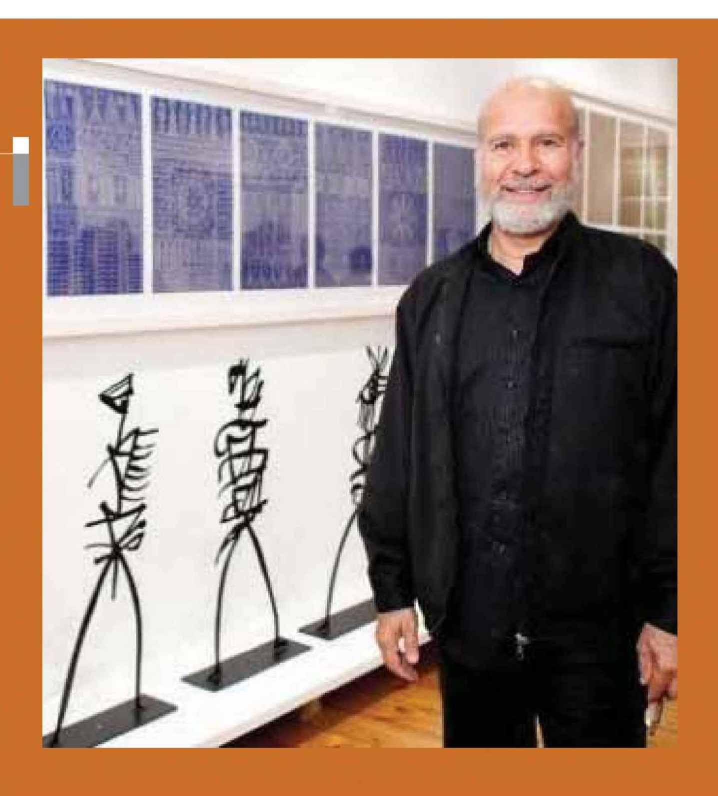
واستحضرت فعالية (دروب الطوايا)، التي نُظِّمت بالتعاون مع مؤسسات ثقافية وإبداعية محلية وعالمية، عوالم رواية (حي بن يقظان) لابن طفيل، وضمّت أعمال عدد من الفنانين، منهم: جو نامي، وسيفديت إيريك، وتيم إتشيلز، إضافةً إلى التعاون بين ويليام كيندريج -أحد أعلام الفنون البصرية- والملحن فيليب ميلر.



متحـف زايد الوطني من أهم الصروح الثقافية في السعديات، ويمثّل المتحف الوطنـي لدولة الإمارات العربية المتحدة، ويروي سيرة الشيخ زايد بن سلطان

القريشي.. فنان عربي عالمي

وُلد رشيد القريشي في عين البيضا بالجزائر عام ١٩٤٧م، وهو يعيش ويعمل في تونس وفرنسا. درس القريشي في معهد الفنون الجميلة والمدرسة الوطنية العليا للفنون في الجزائر، قبل أن ينتقل إلى فرنسا؛ ليتابع دراسته في المدرسة الوطنية لفنون الديكور، وفي كلية الدراسات العمرانية في باريس. تشتمل التجارب النحتية للقريشي على مجموعة كبيرة من الوسائل والمواد؛ فتتضمّن تركيباته السيراميك، والأقمشة، والمعادن المختلفة، وأعمال الرسم على الحرير والورق والقماش، وتتألّف أعماله من رموز وأشكال وأحرف مستمدة من مجموعة متنوّعة من اللغات والثقافات مختلفة، كما يستلهم التراث الجزائري، والخط العربي. تمّ اقتناء أعماله في كثير من المعارض الدولية والمجموعات الفنية الخاصة والعامة الكبرى في العالم، مثل المتحف البريطاني.



اشتمل فن أبو ظبي على عرض «جوجنهايم أبو ظبي» تحت عنوان: أبعاد مضيئة، وتناول ١٦ فناناً معاصراً

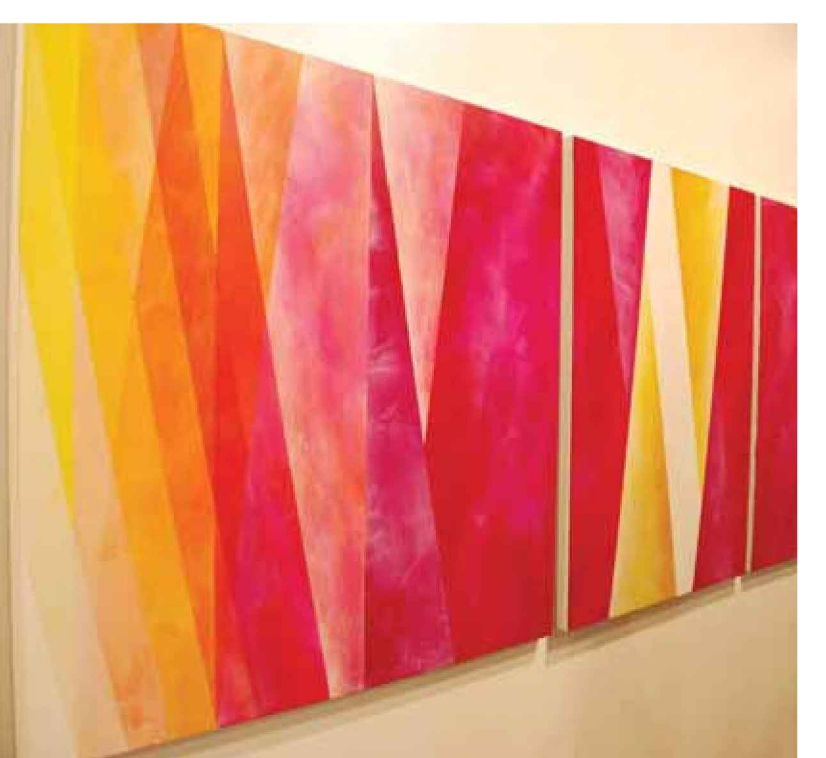




حوارات «فنّ أبو ظبي»

تضمّن (فن أبو ظبي) -حسب ما أفصحت عنه اللجنة المنظّمة- المنتدى اليومي الذي يهدف إلى تعريف الجمهور بشخصيات بارزة تشكّل مجتمع الفنّ العالمي ممّن يشاركون في الدورة السادسة من الحدث لإثراء الحركة الإبداعية الفنية الإماراتية. استلهم برنامج هذا العام فعالياته من (حياة المتاحف الحديثة)، بما في ذلك المتاحف العالمية التي ستُفتتح في جزيرة السعديات، وتمثّل فضاءات للمعرفة والفنون الأدائية والتجربة الإبداعية.

وفي هذا السياق، عُقدت سلسلة (اللوفر أبو ظبي: حوارات الفنون) بمشاركة أسماء لامعة من أمثال: جان نوفيل، وإيرنستو نيتو، وفينست بومارید، وتناولت (المتاحف: وجهات لتجارب جديدة)، مع محاضرة أدائية قدّمها مارتن كريد بعنوان: (ما هو الفنّ؟). والتقى الجمهور فنانين كباراً، مثل ريتشارد لونج - أحد مؤسّسي حركة (فن الأرض)، كما شارك في الحوار حسن حجاج، وجوب سميتس من (ستوديو جوب)، اللذان تجسّد أعمالهما رؤيتهما المختلفة لمفهوم الثقافة الشعبية. وعُقدت جلسة حوارية عامة لتعريف الجمهور بثلاثة من الفنانين المشاركين في المعرض، هم: أنجيلا بولوك، ورشيد قريشي، وشيرازه هوشياري.



أبعاد مضيئة

اشتمل (فن أبو ظبي) على عرض (جوجنهايم أبو ظبي) تحت عنوان: (أبعاد مضيئة)، وتناول ١٦ فناناً معاصراً، أمثال: أنجيلا بولوك، وبهارتي خير، وهاينز ماك، قدّموا أعمالاً استخدم كلّ منهم ثيمة (الضوء) في إنتاجها، وتمّ توزيعها حسب تقنياتها الضوئية إلى خمسة أقسام، هي: الضوء المحرّك، والضوء الإدراكي، والضوء السماوي، والضوء المنعكس، والضوء المطليّ، وقُدّمت وفق رؤًى وتجارب متنوعة: متحركة وساكنة، مشعّة وغير مشعّة. وفي الجانب الثقافي قدّم هذا الجناح المحاضرات والجلسات الحوارية، والورش التي تستهدف كلّ الشرائح والفئات العمرية المختلفة.

الصالات المشاركة

من الصالات (الجاليريات) المشاركة هذا العام صالة أثر من السعودية، وجاليري أيام، وويه بي جاليري، وجاليري آردنت،

شارك في (فن أبو ظبي) ٥٠ صالة فنية من ٢٠ دولة، وقدّمت ٦٠٠ عمل لنحو ٤٠٠ فنان من مختلف بقاع العالم.

توزّعت المشاركات على خمسة أقسام، هي: (صالات الفن الحديث والمعاصر)، و(قسم إمضاء)، الذي منح كلّ صالة فرصة عرض عمل لفنان ناشئ تمثّله، و(قسم بداية)، الذي يتيح الفرصة لإحدى صالات العرض الناشئة لتعزيز مكانتها على الساحة الفنية العالمية، واختار هذا العام صالة تيمور جراين من نيويورك، و(قسم آفاق)، الذي يعرض الأعمال الفنية التركيبية والنحتية الضخمة التي تحتاج إلى فضاء عرض واسع، وقسم (الفنان والإبداع)، الذي يفتح المجال لمختلف المواهب، وضم أعمال فنانين من صالات غير مشاركة في المعرض. وضمّ (فن أبو ظبي) أعمال الفنانين: محمد العجلان وعبدالعزيز عاشور في (بارك جاليري)، وأعمال الفنانين: أيمن يسري ديدبان، وبسمة فلمبان، ودانة عورتاني، في صالة (أثر).

وجاليري المرسى، وجاليري زلبرمان، وجاليري تانيت، وهوراتش موبا، وكاميل مينور، وأكتوبر جاليري، وسلوى زيدان، والخط الثالث، وغيرها من صالات العرض العربية والعالمية، التي بلغت نحو ٤٠ صالةً، منها صالات اعتادت المشاركة في الدورات السابقة، وصالات تشارك أول مرة، وهو ما يُثري الثقافة الفنية من خلال عدد كبير من الأكاديميين، والمتخصّصين، والقائمين على هذه الصالات.

منذ اليوم الأول ومحبّو اقتناء الأعمال الفنية يجدّون في الشراء؛ فقد باعت صالة بول كاسمن لوحةً للفنان إيفين نافارو بمبلغ

من الأعمال المميزة عمل للفنان الجزائري رشيد قريشي، دُمجت فيه المنمنمات بالحرف العربي عاكساً ما كان يحيط به من زخارف ومفروشات وآنية

استحضرت فعالية (دروب الطوايا)، التي نُظِّمت بالتعاون مع مؤسسات ثقافية وإبداعية محلية وعالمية، عوالم رواية (حي بن يقظان) لابن طفيل



١٠٠ ألف دولار، وصالة تاديوس روباك باعت لوحةً للباكستاني عمران قريشي بمبلغ ٤٨ ألف دولار، أما لوحة (مكة) للفنان فيصل بغريش فقد بيعت بأكثر من ١٠ آلاف دولار، كما بيعت لوحة للخطاط السوري خالد الساعي من صالة كاشيا هيلدبراند بمبلغ ٣٥ ألف دولار، واشترى مقتنٍ مقيم بالسعودية عملاً للفنان محمود حمداني بمبلغ ١٦ ألف دولار.

حضور عربي

يُذكر أن من الأعمال المميّزة عمل للفنان الجزائري رشيد قريشي، المولود في عين البيضاء عام ١٩٤٧م، وهو يمثّل تمثالاً من البرونز دُمجت فيه المنمنمات بالحرف العربي عاكساً ما كان يحيط به من زخارف ومفروشات وآنية. وقد سبق لقريشي -وهو ابن لفنانة معروفة- أن فاز بجائزة جميل للفنّ الإسلامي عام ٢٠١١م، وقيمتها ٢٥ ألف جنيه إسترليني عن عمل سمّاه (اللامرئيات).

تركي بن إبراهيم القهيدان | السعودية



منشآت أشيقر الحجرية..

أسئلة وإجابات منتظرة

تعدُّ أُشَيْقِر -في نظري- من المراكز الحضارية في جزيرة العرب، التي تزخر بها الجزيرة العربية، وقد أكّدت الأبحاث أنها رحم نجد وعاصمتها العلمية قبل الدعوة، وبها أقدم وثيقة نجدية، وهي تقع شمال محافظة شقراء -بميل نحو الغرب- على بُعد ١٢كم بخط مستقيم. أما شقراء، فتقع شمال غرب الرياض، وتبعد منها ١٧٠كم بخط مستقيم. وقد قمتُ بعدة زيارات ميدانية إلى بلدة أشيقر للبحث والدراسة[1]، فألفيتُ منطقتها جميلةً تستحق الزيارة.



الدائرة الجنوبية بداخلها مصلًى، وعلى محيطها دوائر وبقايا منشآت صغيرة



منظر من قرب لكومين من الحجارة يظهر أنهما دائرتان متهدّمتان



منظر من قرب للمحراب

رجم الغويرا بقايا منشأة حجرية أعيد استخدام حجارتها على شكل رجم، وقد اتّخذه سكان أشيقر مقياساً لرصد كمية هطل الأمطار

خلال جولة الباحث الميدانية في المنطقة تمّ الكشف عن كثير من الدوائر والمنشآت الحجرية المتنوعة الأحجام والأشكال[٢]، وهي منشآت حجرية موغلة في القدم شبيهة بالمنشآت في جزيرة العرب، ويمكن لنا أن نصف نماذج لبعض الأمكنة التي تمّ الوقوف عليها على النحو الآتي:

جال أشيقر

تظهر فوق قمم جبل أشيقر الشمالي مجموعة من المنشآت الحجرية، وسنتحدث هنا عن نمطين منها بشيء من التفصيل:

- توجد منشآت حجرية في أعلى قمة جبل السُّلَيْم، الواقع شمال مسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بميل لا يُذكر نحو الغرب على بعد ٢.٥كم، وتحديداً على الجانب الغربي من الخطّ المسفلت المتّجه نحو المجمعة، وإحداثيات الموقع هي: ٥٦١، ٢١، ٢٥ درجة، و٩٤٨، ١٠، ٤٥ درجة. ويمكن وصف هذه المنشآت من الجهة الشرقية نحو الجهة الغربية على النحو الآتي: بقرب الحافة تظهر دائرة بقطر مترين، وارتفاع متر واحد تقريباً، وعلى بعد نحو ١٥م تظهر دائرة حجرية بقطر ١٢م، وبارتفاع متر واحد تقريباً، وكذلك على بعد نحو ١٢٠م تبدو ثلاثة رجوم -بلا شكّ عندي- أنها حديثة، وكذلك على بُعد يقارب ٢٥٠م من الرجوم يوجد في قمة الجبل كوم من الحجارة بقطر ٥م. أما ارتفاعه، فهو بقدر قامة الرجل. وفي الجهة الشرقية منه -أي: بين الكوم والرجوم- رأيتُ أحجاراً جيريةً ذات أشكال متميزة، وهي حبيبات كروية الشكل بقدر حجم حبة البندق، بعضها التصقت معاً بمادة لاحمة كلسية.

- دائرتان حجريتان فوق قمة الجبل المطلّ على سدّ شعيب المنحنَى من الجهة الشمالية الشرقية، وتحديداً الواقع شمال غرب مسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على بعد ٢.٧كم، وإحداثيات الدائرة الجنوبية هي: ٣١١، ٢١، ٢٥ درجة، و٩٣٠، ٩، ٤٥ درجة، وتبلغ المسافة بين الدائرتين ٢٠٠م، ويمكن وصفهما على النحو الآتي:

- **الجنوبية:** تقع عند حافة الجال المقابل لسد شعيب المنحنى، وهي دائرة قطرها نحو ١٣م، في داخلها مصلى، ويحتوي محيطها من الجهة الجنوبية على دائرة بقطر ١.٥م، وارتفاع ١.٥م، بجوارها كوم من الحجارة بقطر نصف متر. أما محيط الدائرة الغربي، فيمتد على شكل جدار بمحاذاة الحافة، أقرب ما يكون إلى بقايا دوائر صغيرة متلاصقة، وفي جهتها الشمالية الشرقية كومان حجريان، قطر



منظر من قرب يوضّح الدقة الهندسية التي استُعملت في بناء جدار محيط الدائرة

جانب من جدار الدائرة الشمالية، ولاحظ الدقة في صقل الكتل الحجرية

بعد المسح الميداني لأعالي شعيب الغويرا، وتحديداً قرب روضة الغويرا تمّ الكشف عن منشآت أقرب ما تكون إلى بقايا مدينة أثرية

خلال مسح المنطقة في أعالي شعيب الخليف تم الكشف عن دائرة حجرية بداخلها دائرة أخرى مجوّفة كالفرن، يندر أن نجد لها مثيلاً في المنطقة

الواحد منهما ١.٥م، بارتفاع يراوح بين متر واحد و١.٥م، وأقرب ما يكونان إلى جدارين يلتقيان معاً بزاوية قائمة على شكل معطف باب، أو حرف (لـ)، بطول ٦م.

وبعد أن تفحّص الدارس تلك الدائرة تبيّن له أن الطريقة التي استخدمها العاملون في صفّ صخور محيط الدائرة لم تكن بالآلية المتّبعة القريبة من النمط الهندسي البيضاوي، المذكورة في أبحاثنا، بما يغني عن التكرار، فهل أخطأ الفنان في حساباته؟!. أقول: يبدو لي أن الفنان بارع، ومن المستبعد أن يكون أخطأ في حساباته، خصوصاً أن الدوائر الأخرى تؤكّد إبداع المهندسين، ودقة صفّهم الصخور، وليس لديّ أدنى شكّ في أنه لو استمر في عمل الدائرة هندسياً لأزال جانباً منها، أو سقط من حافة الجبل، ولعل طبيعة تعرّج الحافة هو الذي أجبره على عدم الرجوع بما يكفي نحو الخلف لإكمال الدائرة هندسياً كما في الدوائر الأخرى.

● **الشمالية:** يبلغ قطرها نحو ٩م، وارتفاع بقايا جدرانها ٢م، ويظهر على محيطها ثلاث دوائر حجرية، وكومان حجريان، قطر الواحد منهما نحو ٢م، يبدو أنهما أحد الاحتمالين: بقايا جدار مرتفع، أو بقايا دائرة صغيرة متهدّمة.

أكوام من الحجارة في الدائرة الشمالية تؤكّد كثرتها أنها بقايا منشآت مرتفعة

وادي الهوبجة

عند مسح منابع وادي الهوبجة عثرتُ على دائرة حجرية بقربها صخور مبعثرة، وهي تقع شمال غرب مسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في أشيقر على بعد ١٥.٦كم، وإحداثيات الموقع هي: ٨٧٨، ٢٣، ٢٥ درجة، و٥٨٨، ١، ٤٥ درجة. وجنوب شرق هذا الموقع على بعد نحو ٥٠٠م عثرتُ على دائرتين حجريتين، يبلغ قطر إحداهما ٧م، والأخرى قطرها ٤.٥م تقريباً. وبقربهما ذيل يمتد باتجاه الشرق، يبلغ طوله مئة متر أو نحوها. هذه المنشآت يشاهدها من يسير في الفرغ بين الحافة الصخرية ونفود السر في الوقت الحاضر (رملة جرد قديماً) على ارتفاع ٨٢٥م فوق سطح البحر، وإحداثيات الموقع هي: ٦٦٩، ٢٣، ٢٥ درجة، و٧٩٧، ١، ٤٥ درجة.

شعيب الغُويرا

- رجم الغويرا:

يقع رجم الغويرا غرب مسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في أشيقر على بعد ٥.٧كم، وإحداثيات الموقع هي: ٤٧٥، ٢٠، ٢٥ درجة، و٧١٦، ٧، ٤٥ درجة. ويظهر لي أنه بقايا منشأة حجرية أعيد استخدام حجارتها على شكل رجم، وقد اتّخذه سكان أشيقر مقياساً لرصد كمية هطل الأمطار؛ فعندما تحجب نقط المطر رؤية الرجم بشكل واضح يقومون بتنظيف مجاري الأودية والشعاب بأسرع وقت ممكن.

- المدينة الأثرية:

بعد المسح الميداني لأعالي شعيب الغويرا، وتحديداً قرب روضة الغويرا الواقعة غرب مسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في أشيقر الحديثة على بعد ١٠.٥كم، تمّ الكشف عن منشآت أقرب ما تكون إلى بقايا مدينة أثرية. ولأهمية هذا الموقع سأفرد له حديثاً خاصاً.

شعيب الخليف

عندما صعدت إلى قمة تلّ غار الخليف شاهدتُ مجموعةً من المنشآت الحجرية فوق قمم الجبال المشرفة على امتداد ضفتي الوادي، ولفتت نظري



نمط لبقايا قاعدة (شبه منحرف) مبنية بثلاث صخور كبيرة



الغرض من المنشآت الحجرية

هنـاك عدة احتمالات واردة تفسّـر لنا الغرض من هذه المنشـآت الحجريــة، والحقيقة أن الغـرض من المنشـآت الحجرية موضـوع خاض غماره عدد كبير من الباحثين اختلفوا بشـأنه أيّما اختلاف، وممـا يـراه الباحث مؤخـراً أنهـا مدافـن جاهليـة للعظمـاء والصالحين أُنشـئت على قمـم الجبـال، وأُحيطت بالحجـارة لحفظها مـن الحيوانات التـي تنبـش القبور كالضبـاع، وبعد ذلـك اتُّخذت معابد، ثـم تحوّلت إلى أمكنـة يحـجّ الناس إليهـا؛ فتعظيم القبور، وتشـييد المسـاجد فوقها، وتقديـس الصالحيـن منهـم، كان موجـوداً منـذ عصـر الفراعنـة، وعنـد اليهـود والنصارى، قال النبي صلى الله عليه وسـلم: «لعنة الله على اليهـود والنصـارى، اتخـذوا قبـور أنبيائهـم مسـاجد» (مسـلم، ٨٢٦). وفـي أثناء زياراتي إلى الشـام رأيتُ عدداً من المسـاجد، في كلّ واحد منها قبر لرجل صالح، كما نقل لنا شـيخ الإسـلام معلومةً تفيد بأن قبور المخلوقيـن تُحجُّ كمـا تُحجُّ الكعبـة(*). أما الغرض من وضعهـا في أمكنة مرتفعة وبارزة بجوار الحافة، فجعلها أعلاماً يشـاهدها سـالك الطريق مـن بعد؛ فيسـهل الوصول إليهـا لمن يرغب فـي زيارتها، وأشـير هنا إلى أن الشـيخ الفاضل عبدالله الشـايع -حفظه الله- يرى أن هذا النمط من المنشـآت أعلام طرق، وهو احتمال وارد ونقدّره. ومما سـبق ذكره يتبيّن لنا جلياً أن الموقع مهم، ويحتاج إلى دراسـات دقيقة، ومجسّـات تميط اللثام عنه.

(*) ابن تيمية، منهاج السنة، ج١، ص٤٧٦.



منظر من قرب يوضِّح جانب من جدار محيط الدائرة الكبرى، تبرز فيه الدقة الهندسية التي استُخدمت في صقل الكتل الحجرية بطريقة رائعة، كما يظهر في أعلى الصورة الذيل المُسنن



نمط لبقايا قاعدة (شبه منحرف) مبنية بصخرتين كبيرتين إلى اليمين منهما تأثَّرت بعوامل التجوية الميكانيكية



نمط لبقايا قاعدة (شبه منحرف) مبنية بصخرة كبيرة بطول ٢م، وعرض متر واحد تقريباً، وقارن حجمها بغلاف الكاميرا

أسئلة تنتظر الإجابة

من أبرز المشاهدات بين موقعي المنشآت الحجرية قرب منابع شعيب الخليف والمدينة الأثرية في أعالي شعيب الغويرا آلاف من الطيور الجارحة أقرب ما تكون إلى العقاب، وهي تقع جنوب غرب أشيقر، وتبعد منها ٧،٥كم، وتحديداً في منطقة رمي النفايات (المحرقة)، وإحداثيات الموقع هي: ٢٠٩، ١٨، ٢٥ درجة، و٦٤٢، ٧، ٤٥ درجة. والسؤال هنا: ما الأطعمة التي تتغذّى عليها طيور بهذا الحجم، وبهذه الكثرة؟! ولماذا تركّزت في هذا المكان؟! وهل هي مهاجرة أم مقيمة بهذه المحرقة؟! وهل لمخلّفات مشروعات الدواجن لحلّ مشكلة الدجاج النافق دور في ذلك؟! هذه كلها أسئلة تحتاج إلى إجابة.



نمط لبقايا قاعدة (شبه منحرف) مبنية بصخرتين كبيرتين، وقارن حجمهما بالسجل، وإلى اليسار يظهر جانب من الدائرة



الجانب الأخير من الذيل المُسنّن ممتداً بمحاذاة الحافة الصخرية






قارن حجم صخور قاعدة شبه المنحرف بالحقيبة، وفي أعلى الصورة الدائرة الكبيرة

يُشاهد في الجانب العلوي من الصورة الذيل المُسنّن المنطلق من الدائرة الكبرى بمحاذاة الحافة الصخرية

واحدة منها تقع فوق قمة الجبل المشرف على منابع الوادي من الجهة الجنوبية، وتحديداً في الجهة الجنوبية الغربية من الغار على بعد ١كم، وهي تعدّ من أجمل المناظر التي شاهدتها من هذه المنطقة، خصوصاً ذيلها المسنّن بطريقة بارعة. ولأهمية هذا النمط من الدوائر سنتحدث عنها هنا بشيء من التفصيل.



نمط قاعدة (شبه منحرف) أساسه مبنيّ بصخور كبيرة





خلال مسح المنطقة في أعالي شعيب الخليف، في جهته الجنوبية المطلة على المنطقة السهلية المستوية (البرق)، تم الكشف عن دائرة حجرية بداخلها دائرة أخرى مجوّفة كالفرن، يندر أن نجد لها مثيلاً في المنطقة، وهي تقع جنوب غرب أشيقر، وتبعد منها ١٠كم، وإحداثيات الموقع هي: ٥٠٥، ١٦، ٢٥ درجة، و٨٢٠، ٦، ٤٥ درجة، وهي دائرة حجرية بقطر ٥٠م تقريباً، مبنية بصخور كلسية مجلوبة من البيئة المحيطة، ويأخذ محيطها شكلاً بيضاوياً مسنّناً شبيهاً بعقد مسبحة متباعدة الفصوص؛ فمحيطها يتألف من أكوام من الحجارة المتراكمة المختلفة الأبعاد، أقرب ما تكون إلى أبراج أو قبب متهدّمة. وكثرة الأحجار المتناثرة على هذه المنشآت تؤكّد أن ارتفاعها كان عالياً، ويفصل بين كلّ مجموعة وأخرى مسافة تظهر في بعض الأمكنة على شكل جدار يصل ارتفاع المتبقّي منه ١.٠٦م، وهو مبنيّ من الحجارة المهذبة المصفوفة صفاً محكماً، تبرز فيها الدقة الهندسية التي استُخدمت في صقل الكتل الحجرية بطريقة رائعة.

ويظهر في داخل محيط الدائرة الكبرى (٥٠م) دائرتان: إحداهما بقطر ٤م، وتقع في مركز الدائرة (٥٠م)، ولا يزال بعض أجزائها يحتفظ بما لا يقلّ عن المتر ونصف المتر ارتفاعاً، وعندما تفحّصتها لفت نظري أنها مجوّفة من الداخل كالفرن البيضاوي بقطر متر واحد، ولها باب صغير يأخذ شكلاً مربعاً يبلغ طول ضلعه ذراعاً واحدة أو يزيد، واللافت للنظر أنه يفتح إلى الجهة الجنوبية الشرقية، والسؤال هنا: هل لهذا الموقع علاقة بطلوع الشمس؟!. ولاحظتُ أيضاً أنها تعرّضت للتدمير والتخريب المتعمّد من جراء البحث عن بقايا أثرية؛ إذ نتجت من ذلك حفرة في قلب الموقع الأثري، وتمّ نبش الموقع بهدف البحث عن قطع أثرية ثمينة. أما الدائرة الأخرى، فهي تقع أمام باب الدائرة المجوّفة في الجهة الجنوبية الشرقية منها؛ أي: بين محيط الدائرة ومركزها. ويُلاحظ أنها على شكل كوم من الحجارة أصغر حجماً من الأولى، مع أن قطرها ٦م؛ لأنها أقلّ ارتفاعاً. ولاحظتُ أن جلّ حجارتها ذات لون أسود، فتبادر إلى ذهني هذا السؤال: هل لهذا التخصيص شيء نجهله؟!. أقول: بعد مسح المنطقة تبيّن لي أن اللون



الباحث والمرافق البسيمي يتفحّصان الجانب الآخر من الدائرة المجوّفة في مركز الدائرة الكبرى



جانب من الدائرة الحجرية الكبرى بقطر ٥٠م، ويُلاحظ أن محيطها مُسنّن بأكوام من الحجارة، يربط بينها في بعض الأمكنة جداران مبنيّان بصخور مصفوفة، تبدو بقاياها كأنها لشكل معين، وإلى اليسار بقايا دائرة بين مركز الدائرة الكبرى ومحيطها جلّ حجارتها ذات لون أسود



جانب من محيط الدائرة الكبرى مبنيّ بحجارة كلسية مهذّبة مرصوصة رصاً جيداً مجلوبة من البيئة المحيطة، والمرافق بسام داخل الدائرة

لا علاقة له بشيء؛ فالصخور تُجلب من أقرب منطقة؛ لذا تكثر الصخور ذات اللون الأسود في النصف الجنوبي من الدائرة الكبرى، أما نهاية ذيل الدائرة فصخورها حمراء، وهي تحمل لون صخور منطقتها نفسه.

وإذا أمعنت النظر في محيط الدائرة الكبرى، والمنشآت الملاصقة، فسيتبيّن لك أن الجدار بُني بطريقة هندسية رائعة لغرضين: الأول محيط للدائرة الكبرى، والثاني يمثّل جانباً من جدران الدوائر الصغيرة. ومما يلفت الانتباه أيضاً نمط محيطها المسنّن؛ إذ يتكرّر فيها شكل دائرتين متجاورتين، يعقبهما جدار مجوّف على شكل تابوت، ثم دائرتان، وهكذا. ويمكن لنا أن نصف محيط الدائرة، مبتدئين من أمام باب الدائرة المجوفة في مركزها، ومتّجهين نحو الشرق على هذا النحو: هناك دائرة قطرها ٦م، بارتفاع متر واحد، وعلى بعد ١.٥م تظهر دائرة أخرى بقطر ٣م، ثم كوم من الحجارة بقطر ٢م، بعده دائرتان قطر الواحدة منهما نحو ٣م، ثم أكوام من الحجارة على شكل جدارين بعرض متر واحد، طول الأول ٧م، وطول الثاني ٥م، بقاياهما توحي بأنها جدران مجوّفة على شكل تابوتين. وبعد ذلك تظهر دائرة بقطر ٤م، وفي الجهة الشمالية الغربية من محيط الدائرة توجد دائرتان كبيرتان متجاورتان، قطر الواحدة منهما ٦م، بارتفاع ١.٨م، ويظهر لي أن الأولى مجوّفة. ثم شاهدتُ جداراً بطول ٨م، وسمك متر واحد، ويبدو أنه مجوّف على شكل تابوت كسابقه. وبعد ذلك تظهر أيضاً دائرتان متجاورتان، قطر الواحدة منهما ٥م، وبالقرب منهما ينطلق ذيل الدائرة، ثم يظهر في الجهة الجنوبية جدار بطول ٨م، وعرض ١.٥م، وارتفاع متر واحد، لكن هذا الجدار يأخذ شكل أكوام حجارة يصعب الحكم عليها.

ومن أبرز ما رأيتُ في هذه الدائرة أن لها ذيلاً مسنّناً ينطلق من الجهة الجنوبية الغربية من الدائرة نحو الشمال الغربي على شكل قوس متعرّج بمحاذاة الحافة الصخرية بطول ٤٠٠م تقريباً، لكنه في بعض الأمكنة ينقطع بشكل مفاجئ، وبعد المسح الميداني تبيّن لي أن سبب ذلك هو تراجع الحافة الصخرية نحو الخلف؛ بسبب عوامل التعرية، فنتج من ذلك نحت التربة وما عليها من أجزاء الذيل، وهذا الأمر يؤكّد أن زمن المنشآت أقدم من تاريخ حدوث التعرية. هذا الذيل أكوام من الحجارة تبدو للوهلة الأولى على شكل مثلثات حجرية، لكن بعد أن أمعنتُ النظر فيها تبيّن لي أنها بقايا منشآت حجرية متفاوتة الأحجام، رائعة في تصميمها الهندسي، وذات منظر جميل؛ فكلّ واحد منها يأخذ شكلاً هندسياً (شبه منحرف)، ويبلغ ارتفاع جدرانه المتبقية بين المتر ونصف المتر، وفي المتوسط يبلغ طول ضلع شبه المنحرف باتجاه الدائرة نصف متر أو نحوه، ثم ينطلق منه جداران، طول الواحد منهما خمسة أمتار؛ حتى يلتقيا بقاعدة طولها متر ونصف المتر تقريباً. والمثير للاهتمام أن بعض القواعد مبنية بصخور كبيرة، يراوح طولها بين متر واحد ومترين، بارتفاع متر واحد تقريباً، ويفصل بين كلّ شبه منحرف والذي يليه مسافة تراوح بين نصف المتر أو أقلّ والمتر ونصف المتر. ويمكن لنا وصف هذا الذيل من الدائرة على هذا النحو: يظهر ٤١ شكلاً، ثم ينقطع مسافة ٤٥م، وبعد ذلك تظهر ثلاثة أشكال، ثم ينقطع مسافة ٦م، بعدها يبدو شكلاً واحداً، ثم ينقطع مسافة ٣٠م، وأخيراً تظهر ٦ أشكال، وبذلك يصبح عددها ٥١ شكلاً، وإذا كان مجموع المسافة المتقطعة ٨١م، وهي تعادل ١٤ شكلاً تقريباً؛ لذا نقدّر مجموع أشكال الذيل بـ٦٥ شكلاً (شبه منحرف).

الجدير بالذكر أنه سبق أن شاهدتُ هذا النمط من الأذيال في منشأة حجرية شبيهة كلّ الشبه بما ذكرتُ آنفاً في أرض القصيم، وهي تقع جنوب غرب

الشبيكية على بعد ٥.٧كم، ووقفتُ أيضاً على نمط لمنشأة حجرية تأخذ شكلاً هندسياً (شبه منحرف)، وهي تقع جنوب شرق ضرية على بعد ٦كم[٣]، والسؤال هنا: ما الغرض من هذه المنشآت الحجرية؟!.

أخيراً، تتبادر إلى أذهاننا الأسئلة الآتية: هل الدائرتان في وسط الدائرة الكبرى مدفنان لأسرة: أحدهما للأب، والآخر للأم؟! وهل الدوائر الصغيرة على محيط الدائرة الكبرى مدافن الأبناء؟! وهل الشكل (شبه المنحرف) في الذيل يمثّل توابيت الأحفاد؟! وهل تفاوت الأحجام بسبب أن الصغير للطفل، والكبير للرجل؟! وإذا كان من المعلوم أن بعض العرب كانت تعبد الشمس فهل اتّجاه باب الدائرة المجوّفة الذي يفتح إلى جهة طلوع الشمس يشير إلى طقوس دينية ما؟! وهل ذيلها يشير إلى مغيب الشمس؟! وهل القصد من وقوعها في أمكنة مرتفعة إضفاء طابع التقديس على المدافن، ولكي تكون قريبةً من القمر والنجوم والكواكب التي تعبدها العرب؟! هذه كلها أسئلة تحتاج إلى إجابة.

بين الخليف والغويرا

عندما كانت السيارة تركض بي بمحاذاة الحافة الصخرية في منتصف المسافة بين الخليف والغويرا، أو أقرب إلى الأخير، شاهدتُ منشآت



منظر جويّ التُقط من فوق قمة تل غار الخليف، والسهمان يشيران إلى مُنشأتين حجريتين فوق قمة جبل يُشرف على الشعيب في الجهة الشمالية من الدائرة المُسنّنة



الأرقام تشير إلى: (١) دائرة حجرية تُشاهد في الجهة الجنوبية الغربية من قمة تل غار الخليف، (٢) ذيل مسنّن بطول ٤٠٠م ينطلق من الدائرة، (٣) إبل، وقارن حجمها مع الذيل



السهمان يشيران إلى مُنشأتين حجريتين كما تُشاهدان فوق قمة تل غار الخليف



أحجار جيرية وحبيبات كروية الشكل، بعضها التصق معاً بمادة لاحمة كلسية



دائرة حجرية (ق ١٢م)، ويظهر في أعلى الصورة الخط المسفلت المتّجه نحو المجمعة



حجرية، وخلال مسح المنطقة في أعالي الحافة المطلّة على المنطقة السهلية (البرق) تمّ الكشف عن دائرة حجرية كبيرة بداخلها دائرة أخرى، وهي تقع غرب أشيقر، وتبعد منها ١٠كم، بميل نحو الغرب، وإحداثيات الموقع هي: ٣١٢، ١٨، ٢٥ درجة، و٩٢، ٥، ٤٥ درجة، وهي دائرة حجرية ذات شكل بيضاوي، بقطر ٦٥م أو نحوها، مبنية بصخور كلسية مجلوبة من البيئة المحيطة. واللافت للنظر أن شكل محيط هذه الدائرة يتألف من نمطين: الأول بمحاذاة الحافة الصخرية الشديدة الانحدار، يأخذ محيطها شكلاً بيضاوياً شبيهاً بعقد مسبحة متباعدة الفصوص؛ فمحيطها يتألف من أكوام من الحجارة المتراكمة المختلفة الأبعاد، أقرب ما تكون إلى أبراج أو قبب متهدّمة، وكثرة الأحجار المتناثرة على هذه المنشآت تؤكّد أن ارتفاعها كان عالياً، ويفصل بين كلّ مجموعة وأخرى مسافة تظهر في بعض الأمكنة على شكل جدار يصل ارتفاع المتبقي منه إلى متر ونصف المتر. والنمط الثاني محيط الدائرة باتجاه سطح الكويستا (يميل ببطء شديد مع اتجاه ميل الطبقات)؛ أي: المقابل للجانب المحاذي للحافة، ويتميز هذا الجانب بأن جداره يكاد يكون مستوياً مع سطح الأرض، وتصعب مشاهدته في بعض الأمكنة. وقرب وسط هذه الدائرة الكبرى، بميل نحو الغرب، دائرة أخرى صغيرة، وبمحاذاة الحافة ينطلق جدار أقرب ما يكون إلى ذيل ينطلق من الدائرة بمحاذاة الحافة الصخرية.

ومن أبرز ما رأيتُ في هذا المكان منشأة قرب الدائرة الكبرى؛ أي: خارج الدائرة، وهي شكل هندسي لا يزال بعض أجزائه يحتفظ بما لا يقلّ عن المتر ونصف المتر ارتفاعاً، وعندما تفحّصتُهُ لفت نظري أنه قريب من الشكل المستطيل، أطواله ٤×١٠م، وبقايا جدرانه تؤكّد أنه مبنيّ من الحجارة المهذبة المصفوفة صفاً محكماً، وتبرز فيها الدقة الهندسية التي استُخدمت في صقل الكتل الحجرية بطريقة رائعة.

المنشآت الحجرية مدافن جاهلية للعظماء والصالحين أُنشئت على قمم الجبال، وأُحيطت بالحجارة لحفظها من الحيوانات



جانب من كوم الحجارة (ق ٥م) في قمة الجبل الغربية، والأرقام تشير إلى: (١) الرمح الشمالي في نفود الوشم (لا يحمل الاسم)، (٢) الرمح الأوسط يُشرف على روضة الرمحية، (٣) طريق المجمعة، (٤) بداية المنشآت في الجهة الشرقية (دائرة ق ٢م)، (٥) دائرة (ق ١٢م)، (٦) رجوم


ثلاثة رجوم شمال مسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على بعد ٢،٤كم



الأرقام تشير إلى: (١) الرمح الجنوبي في نفود الوشم (عريق البلدان)، (٢) عميد السليم، (٣) طريق المجمعة، (٤) بداية المنشآت في الجهة الشرقية (دائرة ق ٢م)، (٥) جانب من الدائرة (ق ١٢م)


جانب من الشكل المستطيل مبنيّ من الحجارة المهذبة مصفوفة صفاً محكماً



في الأسفل دائرة صغيرة، وفي الأعلى جانب مُسنّن من محيط الدائرة الكبرى



الباحث يتفحّص الذيل



جانب من محيط الدائرة بمحاذاة الحافة الصخرية

جانب آخر من المستطيل ٤×١٠م، تبرز فيه الدقة الهندسية التي استُخدمت في صقل الكتل الحجرية بطريقة رائعة



الهوامش والمراجع

(١) في يوم الأربعاء ٩ شوال سنة ١٤٢٤هـ، أعقبتها زيارة أخرى في ٢٥ شوال سنة ١٤٣٢هـ، ثم زيارة ثالثة في ١٠ رجب سنة ١٤٣٣هـ، وزيارة رابعة في ١٥ من المحرم سنة ١٤٣٤هـ، وزيارة خامسة في ٢٥ ربيع الأول سنة ١٤٣٤هـ، وزيارة سادسة في ربيع سنة ١٤٣٥هـ، وقد صحبني مشكوراً خلال زياراتي الميدانية إلى بعض المواقع، وأوقفني عليها، عبدالله بن بسام البسيمي، وهو باحث له خبرة في المخطوطات وأسماء الأمكنة، كما رافقنا مشكوراً في إحدى الزيارات ابنه بسام.

(٢) سبق أن نشرتُ هذا الكشف في حلقة خاصة في صحيفة الجزيرة، عدد ١٤٢٨٣، في ١٠ من ذي الحجة سنة ١٤٣٢هـ، تحت عنوان: (الكشف عن نقوش ثمودية ودوائر حجرية مجوّفة بأشيقر عاصمة نجد العلمية قبل الدعوة).

(٣) لمزيد من التفصيل اقرأ ما قلتُهُ في كتابي الموسوم بـ(القصيم: آثار وحضارة)، ج٢، ص٥٦٣، ٥٩٣. كما تحدّثتُ عن مثيلات ما رأيتُ من أنماط الدوائر بما فيه الكفاية، وبما يغني عن إعادة ذكره، فارجع إلى المرجع السابق الذكر إن أردتَ.



سلمى

خرجت أم جميل إلى نزهتها اليومية الإجبارية؛ فقد أمرها الطبيب بالمشي كلّ يوم ساعةً كاملةً من الزمن؛ لأن الشحوم نسبتها عالية في دمها. بدا الأمر صعباً في البداية، وكاد اليأس يقعدها في البيت، لكن بالصبر، والأمل الأخضر، وتتابع المشوار، صار المسير أحبّ إليها من كلّ الزيارات؛ فقد أسعدتها ترانيم العصافير، وسُرّت بالورق الأصفر المتكدّس على الأرصفة على إثر نسمة خريفية، وفُتنت بالأرض يعانقها أول شعاع شمس، وصارت ترتاح في حديقة الحيّ القريبة، تبتسم لسرب السنونو الذي اصطفّ على أسلاك الكهرباء كأنه يرتاح مثلها. السماء، والشجر، ونافورة المياه في البركة، جعلت دواء المشي لأم جميل عسلاً بعدما كان علقماً.

وفي صباح إبريلي فاتن سرحت أم جميل ببصرها مع هذا الشريط المعروض أمامها: زهر فوّاح، وجمال مُباح، ومرج بديع، وذوق رفيع. كادت أم جميل تقرض شعراً. وفجأةً، من دون مقدّمات، تعالت أصوات صاخبة، وملأ المكان هرج شديد. يا إلهي، هل هم غزاة من كوكب آخر؟!. يا للفاجعة، إنهم سرب من الأطفال المعوّقين. هكذا تنطق صورهم، طفل ضخم طويل، يداه على جانبيه تتدلّيان كالمطاط المرخي، لعابه يسيل بشكل دائم، يدفع أقرانه فيسقطهم أرضاً من دون إحساس بالمسؤولية. وذاك أصفر اللون باهت النظرات، وتلك فتاة شقراء الشعر، قذرة الثياب والوجه، شعرها منكوش، في عينيها حزن وتيه. قالت أم جميل لنفسها: أعوذ بالله، قلبي لا يحتمل رؤية أولئك الأطفال في مثل تلك الحال، وتركت الحديقة، وتركت الأطفال مع المشرفات، وصورهم لا تزال تلاحق عقلها. دخلت بيتها، طالعتها صور أولادها مع أولادهم، قالت بلهجتها الشامية العتيقة: تقبروني! الحمد لله على عافيته، الحمد لله كثيراً، ولا تزال صور الأطفال في الحديقة تلاحقها من غرفة إلى غرفة سائر اليوم.

في اليوم التالي كان على أم جميل أن تتابع رحلة سيرها. تعمّدت ألا تدخل الحديقة؛ فهذا موعد حضور الأطفال من المعهد القريب، وآثرت أن تنظر إليهم من خلف الأسوار. هي لا تريد أن تعذّب نفسها بعذاباتهم، ولا أن تجرح روحها بجراحاتهم؛ فوقفت ترقبهم من بعيد، وفجأة، وفي ثوان، كانت هناك يدان هلاميتان بضّتان تلامسان في سرعة فائقة وجه أم جميل، إنهما تبرزان من وراء سور الحديقة، ثم يا إلهي وجه غريب مكشر عن أسنان صفراء، وبسمة لا ملامح لها، ونظرة شبحيّة جعلت أم جميل تبتعد مترنّحةً مرتجفةً. إنها فتاة من فتيات المعهد كانت مختبئةً تحت السور مستلقيةً على الحشائش، وسرعان ما حضرت إحدى المشرفات على الأطفال، فاعتذرت من أم جميل عن تصرّفات الطفلة، ثم جلبتها وطلبت منها الاعتذار عما بدا منها. جثت الفتاة على ركبتيها، وراحت تقبّل عباءة أم جميل، وتهمهم بأشياء غير مفهومة، ثم انسحبت إلى أصدقائها وصديقاتها، فاستراحت أم جميل لانسحابها أكثر من راحتها لاعتذارها. قدّمت المشرفة إلى أم جميل شيئاً من الماء لتستردّ سكينتها، وأخذت تحدّثها عن الفتاة التي أطلقوا عليها اسم: سلمى. إنها يتيمة، وقد شخّص الطبيب حالتها بـ(التوحّد). سألت أم جميل بخوف: هل هو مرض معدٍ؟. قالت المشرفة: لا، لا، أبداً؛ فالطفل حين تتعسّر الولادة بأمه ينقص الأكسجين الواصل إلى دماغه، فيزرقّ لونه، وتتعطّل لديه بعض الحواسّ أو أكثر، وهذه سلمى سمعها ضعيف، ولا تنطق نتيجةً ذلك، كما أنها لا تندمج مع محيطها، ونحن نحاول جاهدين إعادة تأهيلها لتكون فتاةً طبيعيةً، وهذا أمر صعب جداً، وأحياناً نقترب من اليأس، وهي -إضافةً إلى ذلك- لا تعتني بنظافتها ولا بشعرها، ولا تهتمّ بالحرّ والبرد، تمشي هائمةً كأنما نسجت لنفسها شرنقةً تقيم داخلها، أو لكأنما تقيم داخل خيمة بعيداً من بيوت القرية. قالت أم جميل حزينةً: يا حرام، يتيمة في العاشرة متوحّدة، لم أسمع في حياتي عن هذا المرض، أعرف السلّ والكوليرا، لكن التوحّد!! هذا مرض حديث والعياذ بالله.

كثر تردّد أم جميل على الحديقة، وصارت تعرف موعد قدوم الأطفال، فصارت صديقةً للمشرفات عليهم، وكثيراً ما جلبت لهنّ القهوة من بيتها القريب. أحسّت بمعاناتهن وصبرهن الجميل على أولئك الأطفال، سمعت حكاية كلّ طفل، ذاك متوحّد، وذاك منغولي، وما هذا أيضاً؟ سألت أم جميل، وقالت المشرفة: هو مرض ينجم عن زواج الأقارب غالباً؛ فالمريض

رأسه كبير، وعيناه جاحظتان، وجبهته واسعة، ويشبه سكان منغوليا، وهي صحراء كبيرة في الصين، ثم إن هذا الطفل يكون أقرب إلى البلاهة منه إلى الفهم والذكاء. سبحان الله!! قالت أم جميل، وراحت تتابع الأطفال من كثب، وراحت رهبة اللقاء الأول تزول، واعتادت عيناها على منظرهم المحزن، واقتربت سلمى أكثر فأكثر من أم جميل، تقبّل عباءتها كلما سنحت لها الفرصة. صارت أم جميل تحمل كلّ يوم كيساً مملوءاً بما يحبّ الأطفال: حلوى، وقطع شوكولاتة، وأكياس بطاطا، فكانوا يلتفّون حولها بفرح وصخب. وأقبل الشتاء ببرده ومطره، وأقفرت الحديقة من العصافير، ومن أولئك الأطفال ومشرفاتهم الطيبات، وافتقدت أم جميل -الأرملة ذات الستّين- ذلك التعاطف الرقيق، وتلك المشاعر الإنسانية، وتلك الإطلالات الحزينة التي تقرع رأسها دائماً بالحمد؛ لأنها ومَن تحبّ في صحة وعقل ونعمة. ألحّ عليها قلبها: أريد رؤية الأطفال، وتجرّأت فراحت إلى المعهد تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى، وطلبت مقابلة المديرة المسؤولة. رشفت أم جميل فنجان القهوة في غرفة المديرة، وأبرزت من حقيبتها سماعةً طبيةً لأذني سلمى؛ لعلّها تساعدها على السمع. بعد أسبوع صار للأطفال أرجوحة كبيرة وثمينة، ولم يعُدْ يؤنس أمّ جميل سوى صلاة خالصة لربها، وزيارة يومية إلى معهد الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصّة. إنها امرأة ثرية، ووحيدة، أولادها منتشرون في الخليج يلاحقون أرزاقهم الوافرة. طلبت أم جميل أن تكون لها جلسات منتظمة مع سلمى؛ لعلّها تدخل الجنة بجواز السفر هذا. وافقت المديرة وهي تقول في سرّها: سرعان ما ستملّ أم جميل، ويضيق صدرها، لكن هيهات؛ فأم جميل امرأة عنيدة، ربّت أولادها السبعة في ظروف قاسية، وهاهم ذي الآن رجال أعمال ناجحون.

بدأت العجوز القويّة مهمّتها بحماس ونشاط، وأحضرت معها عدّة الشغل: أكياساً من الحلوى، وفرشاة شعر، وشرائط حريرية ملوّنة، وأقلام تلوين، ومرآة، ودفاتر، ومنشفة مطرزة، وصابوناً، وصوراً زاهيةً، وكثيراً غيرها. وجدت أم جميل نفسها في أول الأمر مع هذه الغابة العذراء المتوحشة، الخالية من كلّ معالم الحضارة. يا الهي، من أين نبدأ؟!. وما إن وضعت أم جميل رأسها داخل حقيبتها الكبيرة لتخرج شيئاً منها حتى قفزت سلمى بسرعة، وراحت تفتح باب الغرفة وتغلقه بشدة وعنف، ثم تُوقع نفسها على الأرض، ثم تقوم بتكاسل وتعرض على أم جميل فنوناً من الحركات، ثم تضع وجهها على الحائط، وتظلّ متسمّرةً كذلك وقتاً طويلاً. أمسكت أم جميل بكتفي سلمى، وأجلستها بقوة على الكرسي، وراحت تسرّح لها شعرها الهائج. كان المشط يجد مقاومةً شديدةً مع شعر سلمى؛ فهو ملبّد، ومعفّر بالتراب، ولا بد أن أحدهم أوقعها في حوض النباتات. قاومت سلمى بشدة فكرة التسريح، لكن قطعة سكر كانت كفيلة بإسكاتها. عملت لها أم جميل ضفيرتين زيّنتهما بشرائط حريرية حلوة، ثم رفعت المرآة مقابل وجه الفتاة التي راحت تقبّل تلك الشرائط، وتصدر أصواتاً عالية. يبدو أن التسريحة أعجبتها يا أم جميل. في كلّ يوم كانت الفتاة تتعلّم شيئاً جديداً سرعان ما كانت تنساه في اليوم التالي، وكاد اليأس ينال قسطاً من أم جميل، لكن، لا أيتها المرأة الحديدية؛ فقد تعلّمت في المسجد القريب في دروس التجويد طريقة تهجئة الحروف: صفاتها، ومخارجها، وسلمى صار سمعها جيداً بالسماعة الجديدة؛ فلم لا تطبّق تلك الدروس على الفتاة؟!. لكن سلمى متعبة جداً حقاً، كيف سأنطق لها حرف الفاء؟!. سأحضر شمعةً أشعلها ثمّ أنفخ عليها: أف، أف، أف، وبالوناً ملوناً جميلاً أنفخ فيه: أف، أف، أف، والحاجة أم الاختراع يا أم جميل. ما كان أصعب من حروف الحلق!! كانت تستخرجها بوضع مصّاصة على لسان الفتاة، وتضغط عليه: خ، خ. سنتان كاملتان، شهور وأيام، ونطق الحجر: أ، أ، أم، أم، ماما، ماما. يا إلهي، أخيراً نجحنا، حقاً ما بعد الصبر إلا الفرج، وسارعت أم جميل إلى معانقة الفتاة: شكراً، شكراً يا إلهي، قالت الفتاة: ماما، إنها أروع وأثمن وأغلى من كلّ ماما سمعتها من أولادها، كان فيها طعم الانتصار. سرعان ما حضرت المديرة والمشرفات ليحضرن ولادة إنسان جديد، وعوداً حميداً لمهاجر طالت غربته. لقد استطاعت أم جميل إعادة الفتاة إلى عالم التكييف والدمج مع أن التقدّم بدا بطيئاً إلى حدٍّ مؤلم. صارت سلمى مرتّبة الشعر، نظيفة الوجه، لا تبلّل ثيابها الداخلية، تعبّر عن حاجاتها بالكلام. أدركت أم جميل أن المعوقين ليسوا معتوهين، إنما لهم حظّهم من الذكاء والجدارة، وأن الضمّة والبسمة أفضل من الماء والهواء.



عبدالله بن أحمد الفيفي | السعودية

عطرها

«إلى: ف. ش»





صَـوْتٌ ثَرِيٌّ يُعِيـدُ الخَلْقَ فـي النَّطَفِ
ويَسْـتَرِدُّ جُنـونَ النَّخْـلِ للسَّـعَفِ

فها هو الشِّـعرُ فـي أَصْفَـى بيارِقِهِ
وهـا هـو اللؤلـؤ الرَّيَّانُ فـي الصَّدَفِ

وأنـتِ يـا مَلَـكاً يُوحِـي إلـيَّ شَـذَا
مـا يَكتبُ القلـبُ مِن يائـي إلى أَلِفي

عَمَّـدتِ رُوحِـي بحُـبٍّ مُمْعِـنٍ أبـداً
في الصفو من كوثر التَّحنانِ والشَّغَفِ

يـا طلعةً رَفَّ منها الخُلْدُ في شَـفتي
واستلهمتْ من سـناها أنجُمُ السَّدَفِ

ناجتْ: سَكَنْتُ بحَرْفِ الشِّعر؟ في طَرَبٍ
قولي: سَـكَنْتُ فـؤادَ الشـاعر الدَّنِفِ؟

قالـتْ: سَـكَنْتُكَ يـا كُلِّي، فكيـف تَرَى
فينوسَ فيكَ؟ جَنَى قلبي.. مُنَى كَلَفِي!

فـي المهـدِ أنـتَ كطفلـي لا أفارقُهُ
والـروحُ مسـرحُكَ المنـداحُ بالتُّحَـفِ

أجُـسُّ فـي الـرُّوح ألحانـاً مُرَتَّلـةً
مُـذْ آدم صاغَها الرحمنُ في سَـلَفِي!

فقلـتُ إذ لوَّحَـتْ بالوجـدِ فاتنتـي:
يفديـكِ مـا أبـدعَ التاريـخُ مـن صُحُفِ!

يـا أفْـقَ ودِّيَ إنِّـي شـاعرٌ بِدَمِـي
عِشْـقُ البداوةِ زادي، وهْـوَ مُزدَلَفِي

وفيـكِ مِـنْ لَـذَّة الصحـراءِ أنضجُهـا
وفِيـكِ مِـنْ فِضَّـةِ التَّمديـن والتَّـرَفِ

هـل تذكريـنَ نَـدَاكِ يـومَ حَـفَّ فَمِي
فبَرْعَمَ الشِّعْرُ من أصلي إلى شَرَفِي؟!

يـا أنـتِ، لسـتِ مـن الإنـسِ، ولا صِلَـة
لـكِ برَغْـوَةِ هـذا النَّهْـر فاعترفِـي!

قالـتْ: أُعيذُكَ مِـن جِنِّي! فـوا كبدي
إنِّي أنا أنتَ، في حِلْفِي وفي حَلِفِي!

عانقتُ في عطرها وَرْدَ الشـآم وشِـيْـ
حَ البِيدِ إذْ هَتَفَتْ: قد أسْفَرَتْ شُرَفِي!

ودَّعْتُهـا وبصـدري نَفْحَـةٌ شَـهَقَتْ:
عُـودِي إلـيّ، وإلا فاحملـي حَتَفِـي!

تلـكَ الأمُومَـةُ فـي أشْـهَى بيادرها
هـذا الحنيـنُ بشـمس الليل للشَّـعَفِ

يمشي على رفْشِـها قلبي وتحملُهُ
فـي رحْلَـةٍ مـا ابتـدتْ بَعْدُ ولـم تَقِفِ

بي تَعْرَقُ الشـمسُ من ركضٍ بقامتِها
كيمـا يَلُوح جَبيـنُ الماء في السَّـعَفِ

كأسـي دِهاقٌ وراحي مِنْ مراشِـفِها
لـم يَخْلُـقِ اللـهُ ثَغْرَيْـنِ لمُرْتَشِـفِ!



السينما السعودية

مقبلة

«السينما السعودية مقبلة».. هذا ما صرّح به حمزة الغبيشي -مدير تنظيم الإعلام المرئي والمسموع بهيئة الإعلام المرئي والمسموع في فرع مكة- وهو يجيب عن سؤال مباشر تقدّم به الإعلامي عبدالله المديفر، الذي أدار الجلسة الأولى في ملتقى الإعلام المرئي الرقمي (شوف)، الذي اختُتم مؤخراً، مشيراً إلى أن هناك دراسة جادة تتم خلال المدة الحالية لعدد من العروض التي تقدّم بها مستثمرون لإنشاء صالات سينما داخل المملكة.

وكان الملتقى قد استعرض التجارب الإعلامية الناجحة في مجال الإعلام المرئي الرقمي، وناقش عدداً من القضايا الإعلامية التي تهمّ الشباب والمستثمرين في القنوات الإلكترونية والمتفاعلين مع هذا الإعلام المرئي الرقمي.

وتناولت الجلسة الأولى موضوع (القنوات التلفزيونية: تأثير منصات البثّ الجديدة)، وتناول فيها ثامر الصيخان تجربته في إنتاج البرامج اليوتيوبية والتلفازية، وتطرّق عبدالرحمن الطريري -مستشار مدير قنوات روتانا لشؤون الإعلام الجديد- إلى المنصات الرقمية في روتانا الخليجية، وقدّم حمزة الغبيشي -مدير تنظيم الإعلام المرئي والمسموع بهيئة الإعلام المرئي والمسموع في فرع مكة- رؤية الهيئة العامة للإعلام المرئي والمسموع لتطوير قنوات اليوتيوب ودعمها، ونظام الإعلام المرئي والمسموع، وملاحظات الهيئة على قنوات اليوتيوب، والحلول المقترحة. وتحدث رامي دمنهوري -المدير العام للتسويق في مجموعة mbc- عن قناة (شاهد)، ودوافع إنشائها، والخط الزمني للقناة، وتجربتها، ومحتواها، وبيان توزيع متابعيها، ومدى استفادتها من شبكات التواصل الاجتماعي.

وجاءت الجلسة الثانية عن موضوع (منصة اليوتيوب: الابتكار طريق الوصول)، وأدار الجلسة عبدالرحمن الحسين - مقدّم البرامج في قناة الإخبارية السعودية - وتحدث فيصل السيف عن برنامج (تيك بيلز)، متسائلاً: لماذا يوتيوب؟ وتناول أهمية البرنامج ومنفعته، كما تحدث علي الحميدي - مقدم برنامج (أشكل) - على قناة (صباحي) عن برنامجه، متناولاً التحوّل المفاجئ من الإعلام التقليدي إلى عاصفة من برامج الإعلام الجديد، وتأثيره السريع، وانتشاره، وإسهامه في ظهور قنوات متخصّصة ذات رأس مال وعمل احترافي، وتحدّثت جواهر الحيدر -صاحبة قناة (حياتي سكر) على اليوتيوب- عن تجربتها.

وتمحورت الجلسة الثالثة حول موضوع (منصة الإنستجرام: القيمة الإبداعية للمحتوى)، وأدار الجلسة عبدالله المنقور؛ الإعلامي بقناة (العرب)، وتحدث فيها تركي الضفيان؛ مؤسس حساب (مطعم)، وتناول محمد الرشيد مشروع (وجبات ١٥ ثانية)، مستعرضاً فكرة الحساب ومسيرته. وقدّمت نجود الحريقي -صاحبة شخصية بخيتة- فكرة الشخصية، وتحدثت إسراء عسيري -المتخصّصة في الإعلام المرئي الرقمي- عن (إنستجرام)، متناولةً بداياته قبل أربع سنوات، وهدفه، وأدواته، وآلياته، وإفرازاته. وقدّم فهد العتيبي في ختام الملتقى تقريراً عن كيفية إنشاء قناة ناجحة على اليوتيوب، وأجاب بدر الحمود عن سؤال: كيف تنمّي موهبتك في الإعلام الرقمي؟ وألقى سعد الخضيري أضواءً على تسويق المنتجات عبر الإعلام الرقمي.

طائرات حكومية أمريكية

ترصد بيانات مستخدمي الهواتف المحمولة

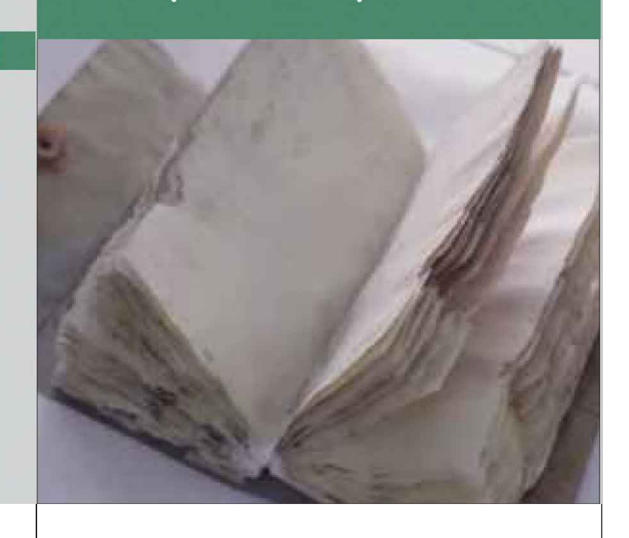
أوردت صحيفة (وول ستريت جورنال) الأمريكية أن الحكومة الأمريكية تجمع بيانات من ملايين الهواتف المحمولة باستخدام طائرات تحلّق في سماء الولايات المتحدة الأمريكية مزوّدةً بمعدات خاصة بهذا الغرض. وقالت الصحيفة: إن الحكومة تستخدم أجهزةً تسمى (ديرت بوكس، أو صندوق القاذورات) تحاكي أبراج إرسال الهواتف النقالة، يجري من خلالها نقل بيانات عن موقع المستخدم وهويته الخاصة. وتنقل تلك الأجهزة بيانات جميع الأشخاص الذين تستجيب هواتفهم للإشارة التي ترسلها أجهزة جمع المعلومات، ولا يقف الأمر عند أجهزة المشتبه بهم.

وقالت وول ستريت جورنال: إنها حصلت على معلومات من مصادر مطّلعة على البرنامج أكّدت أن طائرات من طراز سيسنا مجهزة بمعدات (ديرت بوكس) كانت تنطلق من خمسة مطارات أمريكية على الأقل. وتطلق أجهزة (ديرت بوكس) إشارات مماثلة لتلك التي تنقلها أبراج الهاتف النقال التي تستخدمها شركات الاتصالات، وتلتقطها الهواتف بصورة عادية. وعندما يحدث ذلك فإن الهواتف ترسل بيانات حول معلومات التشغيل الخاصة بالشخص، ومكان وجوده. وفي الوقت الذي تستخدم فيه هذه العملية لمراقبة شخص، أو مجموعة صغيرة في منطقة معينة، فإن جميع الهواتف الموجودة في تلك المنطقة تخضع للمراقبة. ويشبه هذا البرنامج برنامجاً آخر تستخدمه وكالة الأمن القومي الأمريكية لجمع تسجيلات الهواتف المحمولة من ملايين الأمريكيين من أجل العثور على شخص أو عدد قليل من الناس.



دفتر عمره مئة عام

يحكي قصة اكتشاف القطب المتجمد



توفّي روبرت فالكون سكوت -مستكشف القطب الجنوبي المتجمّد- عام ١٩١٢م خلال رحلته في القارة المتجمدة، لكن قصة رحلة الاستكشاف لن تندثر قريباً؛ إذ عُثر -حسب سي إن إن CNN- على مذكرات في الجليد تعود إلى أكثر من مئة عام.

وتعود ملكية المذكرات التي عُثر عليها إلى جورج ليفيك، الذي رافق سكوت في رحلته الاستكشافية بين عامي ١٩١٢ و١٩١٣م، وتحوي المذكرات ملاحظات مكتوبة بقلم رصاص وصف فيها ليفيك صوراً التقطها عام ١٩١١م في القطب. وقد حاول معهد **Antarctic Heritage Trust** الاحتفاظ بالمعلومات وخزنها بعد أن عثر على الدفتر الذي تحلّل جزئياً عند ذوبان الجليد من حوله عندما اكتشف في يناير عام ٢٠١٣م، وتمّت إعادة تخييط الدفتر بعناية بعد تصويره رقمياً.

واشتهر سكوت وبعثته خلال المدة التي كانت تُسمّى بالاستكشاف البطولي للقارة المتجمدة، وقد وصل إلى القطب الجنوبي في يناير عام ١٩١٢م؛ ليكتشف أن فريقاً نرويجياً سبقه بأكثر من شهر إلى النقطة التي كان يحاول الوصول إليها، وقد مات هو وأعضاء رحلته خلال رحلة العودة.



الدكتور قاسم القصبي

مستشفى الملك فيصل التخصّصي وجوجل

يسعيان إلى الاكتشاف المبكر للسرطان

نجح مستشفى الملك فيصل التخصّصي ومركز الأبحاث بالرياض مؤخراً في إنتاج ثلاثة مركبات صيدلانية تُستخدم في مجال الطب النووي لتشخيص بعض أنواع الأورام السرطانية.

وأوضح الدكتور قاسم القصبي -المشرف العام التنفيذي في المستشفى- أن المستشفى تمكّن من إنتاج هذه المركبات بجودة عالية تتماشى مع المعايير الدولية، وتمّ الاستفادة منها في تشخيص المرض بواسطة التقنيات المتطورة لقسم الطب النووي بالمستشفى، مشيراً إلى الاستخدامات المتعددة لهذه المركبات في تشخيص حالات الأورام السرطانية؛ كأورام الدماغ والرئة والبروستات والعظام، ومتابعتها. وأضاف القصبي أن ذلك خطوة جوهرية في سبيل إيجاد طرائق تشخيصية جديدة بالغة الدقة لم تتوافر في المستشفى سابقاً، مشيراً إلى أن إمكانية استيراد هذه المركبات من خارج المملكة لم يكن متاحاً؛ لقصر مدة فعالياتها الإشعاعية التي لا تتجاوز الساعتين.

وأوضح الدكتور محمد بن حسين القحطاني -كبير علماء الأبحاث، ورئيس الفريق المنتج لهذه المركبات بقسم السايكلترون والصيدلانيات المشعة بمركز الأبحاث- أن إنتاج هذه المركبات الصيدلانية المرقمة بالفلورين المشع F-18 مرّ بعدة مراحل، شملت توفير التجهيزات والمواد الأساسية اللازمة، وتدريب الفنيين والاختصاصيين، وإجراء الاختبارات الدقيقة والمستفيضة للتأكّد من مطابقة المنتجات الجودة المطلوبة لمثل هذا النوع من المواد. وأشار إلى أن المركبات التي أنتجها مستشفى الملك فيصل التخصّصي شملت مركب الصوديوم فلورايد المرقم **Na18F**، وصرّحت به هيئة الغذاء والدواء الأمريكية **FDA**، ويستخدم في المجالات التشخيصية عالمياً، وتحديداً في التشخيص المبكر لأورام العظام، وتحديد مدى انتشارها في الهيكل العظمي، وتقويم وجود مضاعفات مثل الكسور والضغط على الحبل الشوكي، إضافةً إلى رصد الاستجابة للعلاج. أما المركبان الآخران، وهما: ميثايل الكولين **Fluoromethylcholine 18F**، والفلورثيميدين **Fluorothymidine 18F**، فيُستخدمان تشخيصياً بوصفهما مركبات بحثية لأمراض الأورام السرطانية المختلفة في الدماغ والرئة والبروستات بواسطة التصوير الطبقي البوزيتروني **PET**. وضمّ الفريق العلمي، الذي عمل على إنتاج هذه المركبات الصيدلانية، عدة تخصّصات هندسية وكيميائية وصيدلانية وبيولوجية.

وعلى الصعيد العالمي، تعمل شركة جوجل على توفير تقنية تستعين بتكنولوجيا النانو لاكتشاف أمراض السرطان، والأزمات القلبية المحتملة، أو السكتات الدماغية، والأمراض الأخرى، في مرحلة مبكرة مقارنةً بما هو متاح حالياً. وتعكف الشركة على تطوير فكرة إدخال قرص مزوّد بأجهزة استشعار إلى مجرى الدم، يرسل إشارات إلى جهاز يرتديه الشخص حول معصمه. وتهدف الفكرة إلى رصد أيّ تغيرات طفيفة تحدث في الكيمياء الحيوية لجسم المريض، يمكن أن تعمل نظاماً للإنذار المبكر للإصابة بالسرطان في أعضاء الجسم المختلفة. وتطمح جوجل إلى مراقبة الدم باستمرار لرصد آثار السرطان، والسماح بتشخيص مبكر جداً قبل ظهور أيّ أعراض جسدية. وتعكف وحدة البحوث لدى الشركة (جوجل إكس) على تنفيذ المشروع، وهي وحدة متخصّصة في إجراء بحوث على أفكار تمثّل ثورةً علمية. ويمثّل هذا المشروع اقتحاماً جديداً من الشركة للقطاع الطبي في أعقاب صناعة عدسات لاصقة ذكية لقياس مستويات الجلوكوز في دموع مرضى السكري، واستحواذها أيضاً على شركة طوّرت ملعقةً ذكيةً لمساعدة من يعانون الارتعاش نتيجة إصابتهم بمرض باركنسون، أو ما يُعرف بالشلل الرعاش. كما اشترت جوجل في وقت سابق أسهماً في شركة (كاليكو)، وهي شركة أبحاث لمكافحة الشيخوخة، وشركة (٢٣ آند مي)، التي تقدم وسائل إجراء اختبارات وراثية شخصية.



ترفع شعار «الرياضة خير من العلاج»

جُنَّة منصة رياضية تفاعلية لشابين سعوديين

أطلق المدوّن فؤاد الفرحان، وشريكه المهندس سامي الحصين، مؤخراً في مدينة جدة منصّةً جديدةً باسم (جُنَّة)، وهي منصّة صحية ورياضية عربية تقدّم برامج تدريب علمية إلكترونية للوقاية من الأمراض الشائعة في المجتمع العربي، مثل مرض السكري، وترفع جُنة شعار (الرياضة خير من العلاج).

وأوضح الفرحان أنه سيتم تطوير البرامج وإنتاجها وتقديمها بالتعاون مع جهات صحية ذات العلاقة تحت إشراف أطباء مختصين، ويقوم بالتفاعل اليومي مع المشتركين مدرّبون صحيون معتمدون. وأضاف أن التدريب الصحي الإلكتروني في منصة جُنَّة يعتمد على أسلوب تفاعلي مُمتع عبر منصة متقدمة الخصائص والميزات، ذات قابلية عالية للاستخدام، وجميلة المنظر.

وقال المهندس سامي الحصين: إن مبادرتهما بإطلاق (جُنَّة) تهدف إلى المساهمة في رفع مستوى الوعي الصحي في المجتمع السعودي خاصةً، والمجتمع العربي عامةً، والمساهمة في تطوير آليات الوقاية الصحية التي تتسبّب في انخفاض نسبة المصابين بالأمراض. وأشار الحصين إلى أن محتوى جُنَّة متنوّع، ويوظّف التقنيات ذات القيمة التفاعلية العالية، ويتكوّن هذا المحتوى من مقاطع فيديو قصيرة مُنتجة بأسلوب فني جذاب تُنشر بشكل أسبوعي، وتشمل شروحات ورسوماً توضيحية تسهل فهم المادة المصوّرة والتجاوب معها، كما أن هناك محتويات نصّية تفاعلية، إلى جانب اختبارات تقيس مدى فهم المتلقي المادة العلمية المقدمة وتفاعله معها، مع تكليفه بمهامّ عمل يقوم بأدائها، ويتم تقويمها لاحقاً بشكل دوري. كما تتيح جُنَّة توثيق الوجبات اليومية بتفاصيلها الدقيقة؛ لمعرفة السعرات الحرارية، إضافةً إلى وجود مسابقات وتحدّيات تُرصد آلياً؛ لقياس مدى مثابرة المشتركين، مع إتاحة تطبيقات رياضية كثيرة عبر الأجهزة الذكية.

يُذكر أن (جُنَّة) هي المبادرة الثانية المشتركة للمؤسِّسَيْن بعد (رواق)، وهي منصة مفتوحة للتعليم الإلكتروني قاما بإطلاقها في سبتمبر عام ٢٠١٣م، وهي الأولى من نوعها عربياً التي تطبّق مفهوم الموك MOOC، وقد حقّقت نجاحاً كبيراً في الوطن العربي من خلال إقبال المستخدم العربي على المحاضرات المرئية التي تنشرها المنصة، مع منح شهادات للمتلقين الذين يتفاعلون معها. وكانت بداية رواق بأربعة كورسات، ووصلت خلال عام إلى ٤٠ برنامجاً تعليمياً في حقول متعددة، يقدمها محاضرون مختصّون من عدة دول عربية.

وعلى المستوى الشخصي، تعدُّ (جُنَّة) هي الشركة الرابعة للفرحان بعد إطلاق المعلومات الذكية عام ٢٠٠٩م، وشبكة فريقي الرياضية التي أسّسها مع الريادي عصام الزامل عام ٢٠١٠م، ورواق عام ٢٠١٣م. كما أن جُنَّة هي المشروع الثالث للحصين بعد متجر المورد للكتب الإلكترونية الفائز بجائزة مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، ورواق.



شبكة الإنترنت عام ٢٠٤٠م:

ثلاث وجهات نظر

طرح كريس بارانيوك -المحرّر العلمي في بي بي سي BBC- سؤالاً عن: كيف ستبدو شبكة الإنترنت عام ٢٠٤٠م؟، وأورد تقريراً موسّعاً عن الموضوع جاء فيه: قبل ٢٥ عاماً، وتحديداً في مارس عام ١٩٨٩م، كتب السير تيم بيرنرز لي مذكرةً أدّت في النهاية إلى ولادة الشبكة العنكبوتية، وبالعودة إلى الثمانينيات كان من الصعب استيعاب فكرة ربط الوثائق معاً بتلك الطريقة المتشعبة.

ويطرح كريس نظرتين متناقضتين حيال مستقبل الإنترنت: إحداهما قاتمة، والأخرى مشرقة، ولكلّ منهما جمهورها وأنصارها، وهو ما يتّضح جلياً من خلال إلقاء نظرة على الآمال والمخاوف الكبرى للناس تجاه المستقبل الرقمي. يقول كريس عن النظرة المشرقة: صباح أحد أيام الصيف عام ٢٠٤٠م، الإنترنت تحيط بك من كلّ جانب، وكلّ ما تعتزم القيام به خلال اليوم واضح، ومن السهل عليك القيام به بفضل تدفّق المعلومات عبر الإنترنت. المعلومات عن مواعيد المواصلات العامة وطرقها من بيتك إلى المدينة تتغيّر باستمرار طبقاً لحالة الازدحام لكي تتجنّب التأخير، وشراؤك الهدية المناسبة لعيد ميلاد أطفالك أمر في غاية اليسر؛ لأن المعلومات المتوافرة عنهم تمكّن خدمة التسوق الخاصة بك من معرفة الهدية التي يرغبون فيها، ويرجع الفضل في بقائك حياً بعد الحادث المميت الذي تعرّضت له الشهر الماضي إلى وصول الأطباء في قسم طوارئ المستشفى إلى سجلّك الطبي بسهولة. ويرى كريس أن هذا المستقبل يعتمد فيه دوران عجلة الحياة على المعلومات، وهي الفكرة التي يعمل مخترع الشبكة العنكبوتية على تحقيقها منذ زمن كبير، مؤكداً أن الخدمات الذكية التي تستخدم الذكاء الصناعي لمساعدتنا على القيام بأعباء العمل ستساهم في خلق عالم أقلّ تشويشاً، وأكثر انسيابيةً، تكون فيه رسائل البريد الإلكتروني المتكدّسة، وازدحام المواعيد شيئاً من الماضي. ويوضّح كريس أن المخاوف المعاصرة من انتهاك الخصوصية ستنحصر بحلول عام ٢٠٤٠م في أضيق نطاق طبقاً لما يتوقّعه خبير أمن المعلومات بروس شنيار.

وينتقل كريس من النظرة المشرقة إلى الكوابيس المتخيّلة، فيقول: في إحدى أمسيات شتاء عام ٢٠٤٠م المعتمة، الإنترنت تساعد على الجريمة الإلكترونية؛ إذ يستحيل الدخول إلى الإنترنت من دون أن تعرّض حسابك البنكي للسرقة، أو المجازفة بسرقة تفاصيلك الشخصية السرية. القراصنة سيطروا على مواقع التواصل الاجتماعي، وأسعار الإنترنت أصبحت لا تُطاق، وتمّت تجزئتها، حتى إن المقتدرين مادياً وحدهم هم من يستطيعون الدخول الى المواقع المفيدة المواكبة للزمن. في بعض البلدان، تقوم أجهزة الأمن السرية بمراقبة أيّ حركة للمواطنين باستخدام أدوات استشعار، أو محادثات، أو مراسلات تمّت عبر الإنترنت، وحتى لو كنت وقتها تستطيع الدخول إلى الإنترنت فهل ستكون راغباً في ذلك حقاً؟!. هناك إشارات إلى احتمال وقوع كارثة رقمية تجد صداها في كلّ أنحاء العالم؛ فقد ذكرت صحيفة (نيويورك تايمز) أن بحثاً صدر عن مركز أبحاث بيو الأمريكي عن أوضاع الإنترنت بعد عقد من الآن احتوى على كلمة (تهديد) أكثر من أربع مرات، مقارنةً

بالقدر الذي وردت فيه كلمة (أمل). المشكلات المحتملة كثيرة، منها: ازدياد الخدمات المعتمدة على المعلومات التي تشعر بعض الناس بالقلق من مستقبل يحدّد لهم فيه الآخرون أسلوب عيشهم، مقلّصين قدرتهم على أن يختاروا ما يريدون بمحض إرادتهم، والقلق من أن يصبح الدخول إلى المعلومات شأناً للنخبة فقط، وإبقاء من لا يستطيعون الدخول إلى المعلومات في الدرجات المجتمعية الأدنى، أو كما ذكر ميتا فيلتر –مدير العمليات في شبكة التواصل الاجتماعي– في تقرير مركز بيو: ستزيد الإنترنت الأغنياء ثراءً، وستصبح أداةً لتهميش الفقراء، أو الذين يعانون أمراضاً عقليةً أو إعاقات، إضافةً إلى زيادة المشكلات الأمنية التي يمكن أن يتسبّب بها المجرمون، وزيادة استخدام أجهزة مراقبة الأطفال، التي تمكّن الآباء والأمهات من مراقبة صغارهم من غرف أخرى داخل البيت.

ويتجاوز كريس بارانيوك التفاؤل والتشاؤم، فيطرح وجهة نظر ثالثة متوازنة، لا يشعر معها بالقلق؛ لأن شبكة الإنترنت مكان متوازن بفعل النيات المتعددة والمتنوعة المشارب لمستخدميها، مؤكداً «كلّ الناس يستخدمون الفضاء الإلكتروني، الشمس تشرق على الحق والباطل، كلّ الناس (الطيبون، والأشرار) يقودون سيارات، ويأكلون في المطاعم، ويبعثون رسائل عبر البريد الإلكتروني، فما المشكلة في ذلك؟!».

ويرى كريس أنه من الصعب الاعتقاد بأن شركات معينة ستقفز لتتصرف بطريقة أخلاقية في الأوقات الاقتصادية الحرجة؛ لأن الشركات العملاقة تتصرف دائماً بطريقة غير أخلاقية، إضافةً إلى أن الأسواق تعني أنه مسموح للناس محاسبة هذه الشركات عندما تخطئ، أو عندما تتصرف بطريقة غير مقبولة.

ويستدرك كريس قائلاً: لكن ذلك لا يعني أن كلّ مصائبنا ستتلاشى؛ فالشبكة العنكبوتية العالمية عام ٢٠٤٠م يُتوقّع أن تكون مختلفةً، لكن يمكن لنا أن نكون واثقين من شيء واحد، هو أن شبكة الإنترنت ستبقى متنوّعةً لتعكس تنوّع الجنس البشري.

تنظيم الدولة الإسلامية
ينهب الآثار لتعزيز موارده

أوردت صحيفة التايمز تقريراً لمراسلها أوليفر مودي عن بيع تنظيم الدولة الإسلامية القطع الأثرية المسروقة من سورية والعراق للغرب، وحمل تقرير الصحيفة عنوان: (تنظيم الدولة الإسلامية يعزّز موارده العسكرية ببيع القطع الأثرية المسروقة للغرب).

يقول المراسل في تقريره: «إن تنظيم الدولة الإسلامية يبيع القطع الأثرية التي تُقدَّر بملايين الدولارات مباشرةً إلى جامعي التحف في الغرب بحسب تصريحات ويلي بروجيمان؛ ضابط شرطة رفيع المستوى يعمل على مكافحة هذه التجارة. وأكّدت الشرطة أن كثيراً من هذه القطع الفنية والأثرية بيعت لبريطانيين بطريقة غير قانونية». وأضاف: «إن جامعي القطع الأثرية يستخدمون عادةً وسيطاً لشراء هذه القطع الأثرية المسروقة، لكنهم الآن على اتصال مباشر مع تنظيم الدولة الإسلامية»، مشيراً إلى أن التنظيم يستخدم شبكة علاقاته للوصول إلى الزبائن مباشرةً. وأوضح التقرير أن تنظيم الدولة الإسلامية استولى على عدد كبير من القطع الأثرية والفنية من الكنائس والمدن العراقية والسورية. ويُقدم عناصر التنظيم على استخدام الجرافات من أجل الحصول على اللوحات الجدارية والجبسية والمزخرفات من الكنائس القديمة التي تدرّ عليهم أموالاً طائلة.

وكانت المخابرات العراقية قد أكّدت أن تنظيم الدولة الإسلامية استطاع جمع ٢٣ مليون جنيه إسترليني من بيع القطع الأثرية من مدينة نبق السورية الغنية بالمقتنيات المسيحية القديمة.



«ناسا» تنذر:
عام ٢٠١٥م هو الأكثر حرارةً

أعلنت وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) أن الحر الشديد سيضرب الكرة الأرضية العام المقبل. وتستند الوكالة في توقّعها هذا إلى نتائج الأرصاد الجوية منذ عام ١٨٨٠م، خصوصاً الأرقام القياسية التي حطّمتها درجة الحرارة في الأرض في أعوام: ١٩٩٥، و١٩٩٧، و١٩٩٨، و٢٠٠٥ و٢٠١٠م.

ويرى خبراء (ناسا) أن عام ٢٠١٥م يمكن أن يكون أحرّ الأعوام إلى الآن منذ عام ١٩٩٨م، ويتوقعون قدوم موجة حر لا مثيل لها، وحلول جفاف شديد في الكرة الأرضية. وأشارت الوكالة إلى أن شهر سبتمبر ٢٠١٤م شهد متوسط درجة حرارة بلغ ١٥,٧ درجة مئوية، وهو يعدُّ رقماً قياسياً خلال الـ١٣٥ عاماً الماضية، بينما بلغ متوسط درجة الحرارة خلال الأشهر التسعة الماضية في الكرة الأرضية ١٤,٧ درجة مئوية.

من جهة أخرى، دعت الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ إلى إنهاء طريقة استخدام الوقود الأحفوري بلا أيّ قيود في أسرع وقت ممكن «إذا كان العالم يريد أن يتجنّب تغيّراً خطيراً في المناخ». وطالبت الهيئة، التي تدعمها الأمم المتحدة، بالعمل على أن يكون إنتاج معظم الكهرباء في العالم من مصادر منخفضة الكربون بحلول عام ٢٠٥٠م، وقالت: يجب التخطيط لإنهاء استخدام الوقود الأحفوري بشكل نهائي بحلول عام ٢١٠٠م، بحسب ما جاء في تقرير جديد للهيئة نشر في العاصمة الدانماركية كوبنهاجن -حسب بي بي سي- بعد أسبوع من نقاشات محتدمة بين مجموعة من الخبراء ومسؤولين حكوميين، وحذّر التقرير من أن العالم سيواجه «تداعيات خطيرة واسعة النطاق لا يمكن تغييرها» إذا لم يتّخذ إجراءً فعالاً تجاه انبعاثات الكربون. ويشير التقرير إلى أنه يتعيّن رفع حصة مصادر الطاقة المتجدّدة في قطاع الطاقة من ٣٠٪، وهي النسبة الحالية، إلى ٨٠٪ بحلول عام ٢٠٥٠م.





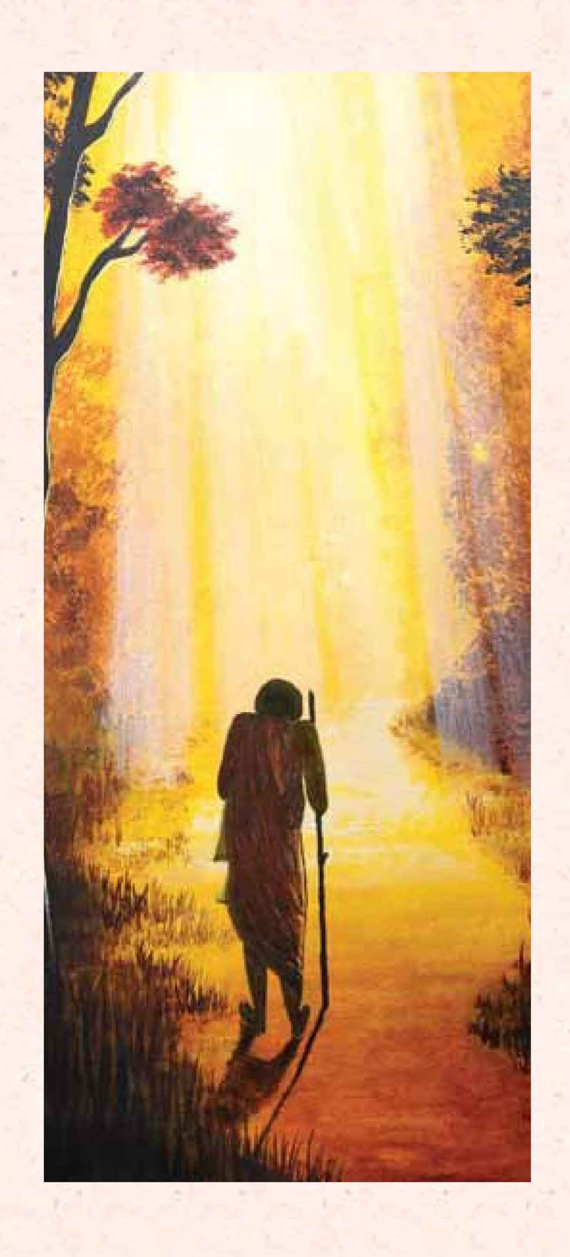
مدير متاحف «تيت» البريطانية
أقوى شخصية فنية في العالم

حقّق السير نيكولاس سيروتا -مدير متاحف وصالات عرض (تيت) للفنون التشكيلية في المملكة المتحدة- المركز الأول في قائمة أقوى الشخصيات الفنية في العالم في التصنيف السنوي الذي تعدّه مجلة (آرت ريفيو) لأقوى مئة شخصية فنية. وتمثّل جهوده في الدفع بمؤسسة (تيت) لتكون بين أبرز المتاحف وأمكنة العرض التشكيلية ضمن شبكة المتاحف والصالات الفنية المؤثرة في العالم من مسوّغات هذا الاختيار.

تولّى سيروتا إدارة مؤسسة (تيت) الفنية عام ١٩٩٨م، وشهد افتتاح متحف (تيت مودرن) المتخصّص في الفن الحديث والمعاصر عام ٢٠٠٠م. ويقع المعرض في محطة قديمة للطاقة على الضفة الجنوبية لنهر التايمز في لندن، وهو أكثر متاحف الفن المعاصر زواراً في العالم. وظلّ السير نيكولاس سيروتا (٦٨ عاماً) ضمن قائمة العشرة الأوائل منذ بدء هذا التصنيف عام ٢٠٠٢م، وهو أول ممثّل لمتحف عام يصل الى هذا المركز المتقدّم. وقالت مجلة (آرت ريفيو): إن سيروتا صُنِّف في المركز الأول هذا العام بسبب تطبيق مؤسسة تيت منذ افتتاح متحفها (تيت مودِرن) منظوراً عالمياً لا محلياً للإنتاج الفني.

واحتلّ الرسام الأمريكي كريستوفر وول المركز ٥٥ في قائمة مجلة (آرت ريفيو)، التي قالت: إن ذلك يعود إلى تأثير الفنان البالغ من العمر ٥٩ عاماً في جيل أصغر من الفنانين ممن يشعلون نار المنافسة في صالات المزادات الفنية بأعمالهم. وكانت الشيخة المياسة بنت حمد بن خليفة آل ثاني -شقيقة أمير قطر، التي ترأس هيئة المتاحف في بلادها- قد تصدّرت تصنيف العام الماضي.

من منفى إلى منفى



بلادي من يدي طاغٍ
إلى أطغى إلى أجفى
ومن سجن إلى سجن
ومن منفى إلى منفى
ومن مستعمر بادٍ
إلى مستعمر أخفى
ومن وحش إلى وحشيـ
ـن وَهْيَ النّاقة العجفا
بلادي في كهوف المو
ت لا تفنى ولا تشفى
تنقّر في القبور الخر
س عن ميلادها الأصفى
وعن وعد ربيعي
وراء عيونها أغفى
عن الحلم الذي يأتي
عن الطيف الذي استخفى
فتمضي من دجى ضافٍ
إلى أدجى.. إلى أضفى
بلادي في ديار الغيـ
ـر أو في دارها لهفى
وحتى في أراضيها
تقاسي غربة المنفى

عادل أيت أزكاغ المغرب



الفكاهة

في فلم «الأزمنة الحديثة» لتشارلي شابلن

سخرية من الآلة.. نقد للرأسمالية

بفضل الفنّ والخيال، والضحك وحده، والسخرية الناعمة والمرحة لدى هذا العبقريّ الفذ، أسطورة الأفلام الصامتة، وصاحب الفلسفة الراقية في الإضحاك، الممثّل والمؤلّف والمخرج الكوميدي البريطاني العالمي الأشهر تشارلي شابلن Charlie Chaplin (١٨٨٩- ١٩٧٧م)، استطاعت شخصياته المهزومة، الفقيرة والبسيطة، أن ترتقي إلى أعلى السلالم والمراتب؛ لأنه أراد -ربما- أن يظهرها في صور أبطال طيّبين، وهو ينفذ عميقاً إلى استقراء صورها وملامحها من أجل ملامسة عمقها الإنساني، ضمن التزامه الدائم قضايا الإنسان المُثقل بشتى أصناف العذاب، التائه في حياته بين دروب الحزن والألم والتعاسة[١]. كان تقمّصه أدوارها وهي غائبة، إلى جانب موهبته الفنية الحاضرة، عنصرين كافيين ليخلب شارلي ألباب الآخرين، وينتزع الابتسامة من كثير من الوجوه العابسة والمهشّمة، ويبعث الدفء كذلك، بل الراحة والاطمئنان في كثير من النفوس المكلومة والمتعبة؛ ليتسلّل عبر إبداعه وأفكاره الإنسانية النبيلة إلى الاستيطان في قلوب الملايين من البشر.

الذين أسعدهم في مختلف بلدان العالم من خلال فكاهته التي يلج بها أرواح متلقّيه من دون عناء يُذكر؛ فينال الاستحسان والإعجاب، ويحقّق التواصل الإيجابي والفعّال مع المعجبين من جمهور المشاهدين في كلّ مكان، وهو ما أسعفه في أن يكسب ثقتهم ومودتهم؛ فيتبوّأ -تتويجاً لهذه الثقة وذاك الإعجاب- حظوةً ومكانةً مرموقةً في تاريخ الفكاهة والضحك والكوميديا العالمية عامةً، وفي نوع الكوميديا السينمائية الصامتة خاصةً، ومكّنه كلّ ذلك من أن يُعرف بأنه أعظم فنان، وأشهر ممثّل كوميدي على الإطلاق، أنجبته السينما الصامتة في حقبتها طوال القرن العشرين.

انحياز إلى البسطاء

يستثمر شابلن فكاهته في معظم أفلامه، التي تعدّ -كما نلمحها في تعليق وجدي كامل- «أفلاماً ناقدةً ومتهكّمةً من عموم النظام الرأسمالي، الذي رأى فيه شابلن نظاماً قاهراً لإنسانية الفرد، ومجرّداً له من حقوقه الوجودية والعيش الكريم، عندما انحاز في أدائه إلى الشخصيات المتعددة التي قام بأدائها، إلى فئة البسطاء وجماهير المتشردين كضحايا أصليين لنهب المال وطغيان سلطته. ونظر شارلي إلى الآلة الصناعية كأداة دمار، بدلاً من الإعمار، وصون الكرامة، وجلب السعادة للمسحوقين من بني البشر عندما حوّلتهم إلى أرقام في ذاكرتها... تميّزت تجربته منذ البداية باستخدامه الكوميديا السوداء كسلاح لإنهاض الوعي الجماهيري وتعميقه بالنتائج الكارثية لسلطة رأس المال ودورها في مقاومة بؤس الطبقات الدنيا»[٢].

ويعتمد أداء شابلن التمثيلي في أعماله السينمائية الصامتة الخاصة به على الإشارة، والحركة، وفنّ الإيماء، وكوميديا الموقف، التي برع فيها تمثيلاً وتأليفاً وإخراجاً، إلى جانب تفرّده بمنهج الآلية الخاصّ عنده -بوصفه تقنيةً يستند إليها في توليد الهزل والفكاهة المرحة- في أدائه التمثيلي الطريف والطريّ، الساخر والناقد في الآن نفسه. وتستمد هذه الآلية حضورها في هذا السياق، وتكتسب قوتها ضمنه أيضاً؛ لكونها في موضع القانون الذي يحكم ويسود ظواهر مُضْحِك الحركات والإشارات، بحسب ما رآه الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون **Henri Bergson** (١٨٥٩-١٩٤١م)؛ إذ يقول: «أوضاع الجسم الإنساني وإشاراته وحركاته تكون مُضحكةً على قدر ما يذكّرنا هذا الجسم بمجرّد آلة»[٣].

العودة إلى الطفولة

من هنا تغدو بعض حركات شابلن مُضحكةً في ميلها إلى التقليد؛ كتقليد اللعب الطفولي مثلاً، الذي يصير مُضْحِكاً في انكسار أفق انتظارنا المفاجأة الممتعة من خلال غياب توقّعنا الطفل حينما يقلّد، إنه الطفل الذي تركه شابلن نائماً في داخله بهناءة مألوفة على نمط حميمي، يوقظه بهدوء في قلبه، ويحمله مبدعاً فوق كتفيه، ويكاد يهيمن على تمثيله كأنه طفل كبير يتبدّى بسذاجته وتلقائيته وبراءته ودهشته الدائمة في شفافيته ووداعته ومشيته وابتسامته وحركاته الرشيقة.



شارلي شابلن انحاز إلى فئة البسطاء وجماهير المتشردين كضحايا أصليين لنهب المال وطغيان سلطته، ونظر إلى الآلة الصناعية كأداة دمار

أداء شابلن التمثيلي في أعماله السينمائية الصامتة الخاصة به يعتمد على الإشارة، والحركة، وفنّ الإيماء، وكوميديا الموقف، التي برع فيها تمثيلاً وتأليفاً وإخراجاً



وثمة نقطة مهمة ستظلّ بمنأى عن الارتياب ضمن هذا المنحى؛ إذ تمثّل العودة إلى الطفولة –أقدم الذكريات وأبعدها– خيطاً ناظماً وواصلاً بين ما ينتج في اللعب وينشأ عنه من حالة الإحساس باللذة، التي يستوي في الشعور بها وإدراكها الصغير والكبير في آنٍ واحد، وتبلغ هذه اللذة ذروتها حين ينتهي اللعب بحصول صاحبه على رضا الآخر واستحسانه، الذي لا يمثّل سوى مرآة معكوسة للرضا النفسي والذاتي الذي يعتري الممثّل الكوميدي– المؤدي، ويحصل عليه في نهاية المطاف نتيجةً لأثر استحسان الآخر وإعجابه بفنه وأدائه.

وسعياً إلى معنى أكثر وضوحاً نستحضر في هذا الصدد التوصيف الذي نجده وارداً عند برغسون، حين يتوخّى التبسيط في تقديمه هذه الصورة المركبة، التي تبدو لنا مشتركةً بين لعب الطفل والرجل، وذلك في قوله: «نعود إلى أقدم ذكرياتنا، فنجد في الألعاب التي كانت تُضحك الطفل هي الصورة الأولى للمركبات التي تُضحك الرجل... فثمة نقطة تظلّ بمنجًى من الريب، وهي أن ليس من انقطاع بين لذة اللعب لدى الطفل وبين هذه اللذة نفسها لدى الرجل»[٤].

وهكذا يصبح الباعث على الضحك في هذا الإطار

سر النجاح

لم يأتِ نجاح فلم «الأزمنة الحديثة» بسبب نجاح شابلن في أفلامه السابقة، أو حتى تفوّقه ونجاحه مبدعاً لدرجة حظي معها بلقب (صديق الجميع)، وهو ما قد يفترض أن يجتذب محبةً من الناس، ويستقطب تعاطفاً منهم نتيجة لذلك، خصوصاً إذا سلّمنا، وأخذنا في الحسبان، ما ذهب إليه ذات مرة حين أكّد فكرةً قال فيها: «إن النجاح يجتذب التعاطف»[*]، وكما نضيف، فهذا النجاح ليس قطّ ثمرةً لأيٍّ مما ذُكر، وليس -فضلاً عن ذلك- شيئاً مُضافاً إلى شابلن؛ بسبب شهرته وسطوع نجمه في الكوميديا، ولا بسبب فكرة موضوعه، ولا مجهود صاحبه فحسب، بل تمّ هذا النجاح بسبب طريقة تقديمه وتناوله موضوع الفلم أولاً، ولأنه أبان فيه -ثانياً- عن ذكائه في التهكّم والسخرية من الآلة، الذي لم يخرج في صُلب رسالته من تمرير نقدٍ حادّ للعقلية الصناعية، والأنظمة الرأسمالية، ووحشية الآلة المدمرة المستنزفة للجهد البشري.

[*] شارلي شابلن، قصة حياتي، ترجمة وتقديم: كميل داغر، المركز الثقافي العربي، بيروت– الدار البيضاء، ١٩٩٤م، ص١٤٦.

متجلّياً في الكوميديا، من خلال التقليد المضحك لبعض الحركات بشكل آليّ، التي يعدّ شابلن رجلها الأول بامتياز. ونلمس هذا النوع من التقليد في تفسير برغسون، الذي يردّ حدوث الضحك فيه بقوله: «السبب في أن بعض الحركات التي لا تخطر على بالنا أن نضحك منها تغدو مضحكةً إذا قلّدها شخص آخر؛ فتقليد شخص ما هو استخراج الجانب الآليّ الذي تركه يتسلّل إلى نفسيته، وهذا هو بالتعريف ما يجعله مضحكاً؛ فلا غرابة في أن يكون التقليد باعثاً على الضحك»[٥].

أما أسلوب الآلية، التي وضعها برغسون قانوناً منظّماً لبعض أصناف المضحك؛ كالحركات والإشارات، فيكاد هذا الأسلوب أو المنهج -كما نلحظه- يهيمن على إبداعات شابلن الكوميدية ذات الطابع التمثيلي الحركي والإيمائي الميمي، التي يمثّل فلم (الأزمنة الحديثة **Modern Times/** **Les Temps Modernes**) أحد نماذجها البارزة، ونجد شابلن يشير إليه كما تحدث عنه في سيرته الذاتية الموسومة بـ(قصة حياتي **Histoire de ma vie**)[٦]، وعلى هذا الأساس سنركّز فيه، في محاولة رصدنا عيّنات من ظواهر المضحك وأساليبه وتقنياته المختلفة لدى شابلن كما تجلّت في فلمه موضوع اشتغالنا خاصةً؛ بسبب أهميته بوصفه ظاهرةً سينمائيةً أثارت عدة قضايا في مرحلة إنتاجه؛ لذلك فقد اهتمّ به شابلن في مَحْكيّ حياته، وقدّم عنه تفسيرات تخصّ ما تخلّله من أفكار وملابسات أثارها قبل العرض وبعده.

إقبال جماهيري فوق العادة

وكذلك تتّجه عنايتنا بهذا الفلم -فضلاً عن اهتمام شارلي بحكايته وإيراده حديثاً عنه في سيرته- بحكم ما عرفه من إقبال جماهيري فوق العادة، تعلّق -من جهة- بكثرة عدد عروضه وجولاته التي حلّقت في أكثر من فضاء في أوربا كلها، بل حتى في بعض مدن الدول من باقي دول العالم، التي كان يخال شابلن أنها ستمنحه فرصةً ينعم فيها بالإجازة والهدوء، والابتعاد - ما أمكنه - من أخبار الفلم التي أضحت تزعجه بفعل ما أحدثه الفلم من ضجة وصيحة مدوّية، مثل هونولولو -إحدى مدن الصين- التي قرّر السفر إليها ذات مرة، لكن المفاجأة كانت خارج توقعاته وهو في طريقه إلى الوصول إليها. وفي هذا الصدد نقدّم ما يرويه شابلن بسلاسة حول موقف مفاجئ تخلّل رحلة ذهابه إلى هذه المدينة قائلاً: «قرّرت الذهاب إلى هونولولو، مصطحباً معي بوليت وأمها، وتاركاً في المكتب تعليمات بعدم إبلاغي أيّ رسالة. أبحرنا من لوس أنجلوس، ووصلنا إلى سان فرانسيسكو تحت وابل من المطر الغزير.. لكن حين وصلنا إلى هونولولو هالني أن ألمح ملصقات كبيرة تعلن عن الأزمنة الحديثة، والصحافة تنتظرني على رصيف الميناء جاهزةً لافتراسي، وليس من وسيلة للنجاة»[٧]. ويستمد هذا الفلم تميّزه، وما لقيه من إقبال -من جهةٍ ثانية- نتيجةً لما عرفه من انتشار وترحيب على مستوى أدبيات النشر الإعلامي والنقد السينمائي قبل عرضه، وانقسمت آراء النقاد بصدد موضوعه بين معتقد أنه شيوعيّ، وآخر يقول: إنه ليبرالي، وعن هذا الاختلاف يقول شابلن: «ولا ريب أن ذلك كان بسبب ملخّص للقصة نشرته الصحف، لكن النقاد الليبراليون كتبوا: إن الفلم ليس مع الشيوعية ولا ضدها، وأنني بقيت -في الواقع- رجلاً في البور، ورجلاً في الفلاحة»[٨].

سارتر يستوحي الفلم

ونرى -من جهةٍ ثالثةٍ- أن العروض المتتالية للفلم، وازدحام القاعات حوله، تعدّ خير دليل وبرهان على نجاحه بلا جدال، بل يزيد من مساندة هذا الرأي ودعمه ذلك العنوان الذي التصق بمجلة حديثة ظهرت تزامناً مع إنتاج الفلم، ونجاحه، وذيوعه، وتلقّيه الإيجابي في

الأزمنة الحديثة Les Temps Modernes: مجلة كان يترأسها الأديب والفيلسوف الفرنسي الوجودي جان بول سارتر، وقد استوحى فكرتها من فلم الأزمنة الحديثة



كثير من المستويات وقنوات الاتصال والتواصل المختلفة، وحمل في هذه المجلة تسمية (الأزمنة الحديثة Les Temps Modernes)، التي كان يترأسها الأديب والفيلسوف الفرنسي الوجودي جان بول سارتر J.P. Sartre (١٩٠٥- ١٩٨٠م)، وقد استوحى فكرتها من فلم الأزمنة الحديثة نفسه، الذي أعجب به إلى جانب آخرين؛ بسبب كون هذا الفلم على موعد مع ما يجري من أحداث اجتماعية، ومستجدات سياسية واقتصادية أربكت الشارع الأوربي، خصوصاً بعض الدول المتضررة؛ كفرنسا، وإنجلترا، وبولونيا؛ بفعل تفاقم الأزمات نتيجة الحربين العالميتين وهيمنة الآلة الصناعية. وبالنظر أيضاً إلى استجابته لما يرجوه المثقفون الأوربيون، ويتطلّعون إليه من آفاق منتظرة تعبّر عما يؤرّقهم من أفكار ومواقف تجاه ما يجري، لم يعُدْ غريباً إعلانهم إعجابهم بشابلن، الذي تناول في مضمون عمله الفني الهموم والقضايا الساخنة نفسها في راهنيتها، التي كان بالهم مشغولاً بها قبل الفلم وفي أثناء عرضه، وتعدّت في مدارها مستويات الحوار والنقاش الهادئين إلى إثارة الجدل، بل السجال الحاد. وهكذا راقهم الفلم؛ لأن شابلن يطرحها فيه على بساط التشخيص والمعالجة، بل بالحكم والنقد مع ذلك.

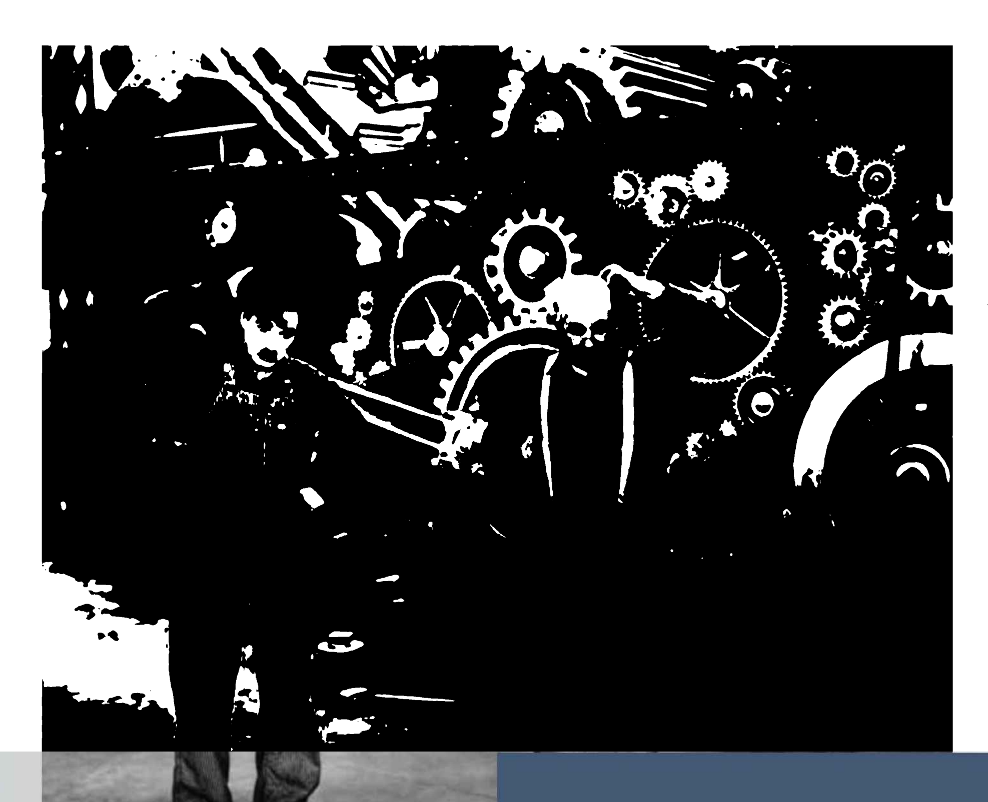
قصة من الواقع

أما فكرة فلم الأزمنة الحديثة، فقد استوحاها شابلن من قصة واقعية محزنة ومؤثّرة، انتبه لها بعمق وذكاء في إحدى مقابلاته التي أجراها سابقاً، ومنحها مراسلاً شاباً لامعاً يعمل مع صحيفة World النيويوركية، التي يحدثنا عنها شابلن في هذا النطاق بقوله: «حين علم أني سأزور ديترويت



آراء النقاد انقسمت بصدد موضوع «الأزمنة الحديثة» بين معتقد أنه شيوعيّ، وآخر يقول: إنه ليبرالي، وكتب النقاد الليبراليون: إن الفلم ليس مع الشيوعية ولا ضدها

حدّثني عن سلسلة التركيب الموجودة هناك: تلك القصة المحزنة للصناعة الكبرى، التي تجتذب من المزارع شبّاناً أقوياء يصبحون بعد أربع سنوات أو خمس من العمل على السلسلة كائنات بشرية واهنة»[٩]. ومن دون توقّف يستأنف شابلن الحديث في السياق عينه، مقراً بأن هذه القصة كانت مصدر إلهامه في هذا الفلم، متحدّثاً عن مضمونه، وكيفية استخدامه آلة التغذية أداةً ربطها بفكرته، قائلاً في هذا المنحى: «ذلك الحديث هو الذي أعطاني فكرة الأزمنة الحديثة. استخدمت آلةً للتغذية كوسيلة لكسب الوقت؛ لأجل السماح للعمال بأن يواصلوا العمل خلال ساعة الغذاء. وتنتهي متتالية المصنع بمشهد تشارلي وقد أصيب بانهيار عصبي، وقد



فكرة فلم الأزمنة الحديثة استوحاها شابلن من قصة واقعية محزنة ومؤثّرة، انتبه لها بعمق وذكاء

تطورت الحبكة انطلاقاً من تسلسل الأحداث الطبيعي. وبعد شفائه يجري توقيفه، ويلتقي سوقيةً أوقفت هي أيضاً؛ لأنها سرقت قطعة خبز. يلتقيان في سيارة شرطة مزدحمة بالجانحين، وتصبح القصة مذ ذاك قصة شخصين غفلين يحاولان تدبّر أمرَيْهما في الأزمنة الحديثة. إنهما مأخوذان في دوّامة الأزمة، والإضرابات، والاضطرابات، والبطالة. كانت بوليت ترتدي الأسمال البالية، وبكت تقريباً حتى لطّخت وجهها لتبدو متّسخة»[١٠].

ينبعث الضحك في الأزمنة الحديثة من تقنيات شابلن الآلية المعهودة في معالجة الأفكار والقضايا الأكثر جدلاً؛ إذ يترك العنان لسخريته الناقدة، وفكاهته الطريفة في الظهور، من خلال حركاته وإشاراته التي تلازم مختلف المواقف التي يواجهها عبر مشاهد الفلم المتّصلة، ومنها هذا المقطع الذي يصوّر تجربة آلة التغذية: «تجربة

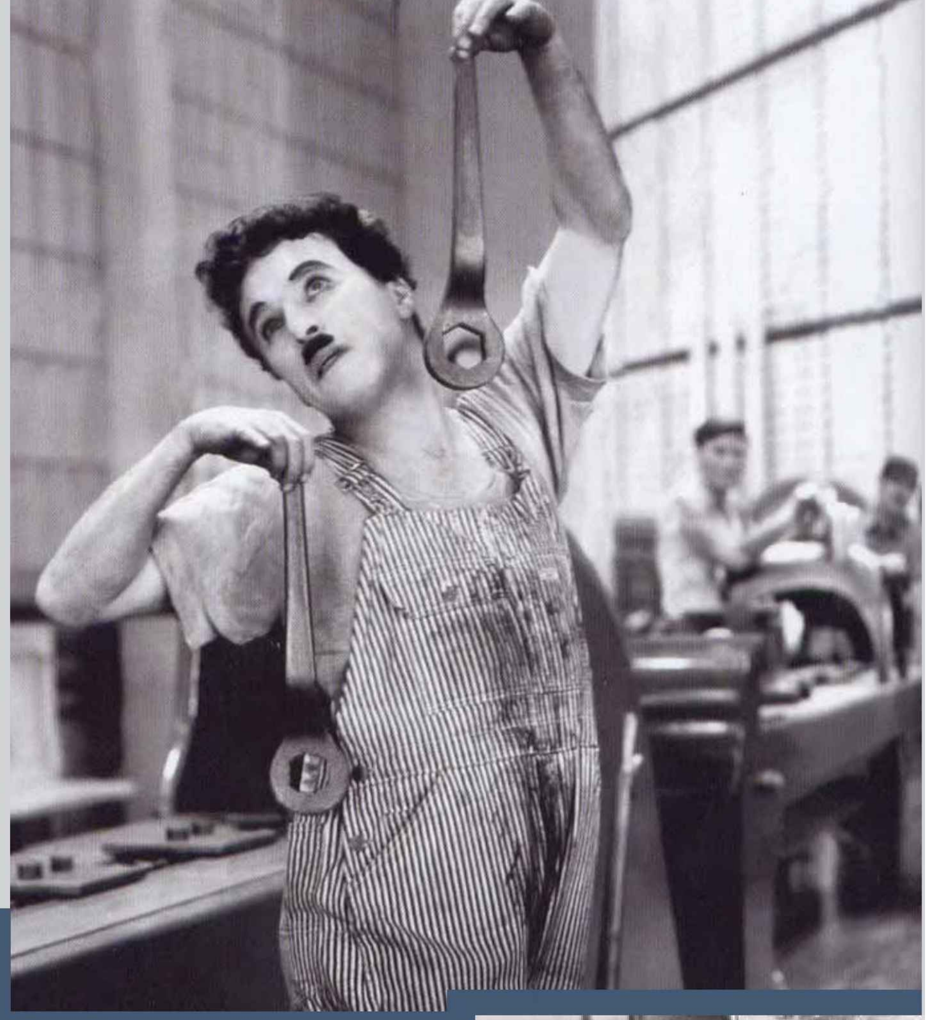
من التشرّد إلى الشهرة

وُلد تشارلي شابلن في ١٦ إبريل عام ١٨٨٩م في أحد أفقر أحياء لندن من أبوين فقيرين جمعهما الغناء في مسرح الميوزيك هول، ثم انفصل الوالدان بعد عام من ولادته، فتعيّن عليه أن يعمل وهو لم يتعدَّ خمس سنوات.

بدأ شابلن حياته الفنية منذ السادسة من عمره بغناء الأغنية الشعبية (جاك جونز) في الميوزيك هول، ثم جذبه الرقص والتمثيل الصامت الذي تعلّمه على يد فريد كارنو - صاحب مدرسة التمثيل الصامت (البانتوميم) الإنجليزية المعروفة - وكان قد التحق بفرقته (كارنو)، وكان يستوحي تمثيلياته الصامتة من حياة أهل لندن الواقعية عبر أحيائها الفقيرة.

غادر شابلن إلى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩١٣م؛ ليعمل مع ماك سنين - ملك الكوميديا في ذلك الحين - وهناك أبدع شخصية المتشرّد الصغير شارلي، التي تحوّلت إلى رمز للمسحوقين أينما كانوا، وللمعذبين والبائسين أينما وجدوا. ثم ظهر عام ١٩١٤م في صورة الصعلوك الصغير بسرواله الواسع، وحذائه الكبير، وسترته الضيقة، وقبعته، وعصاه الشهيرة، وكانت البداية من الفلم الكوميدي (أطفال يتسابقون في فينس)، وصنع أفلاماً هادفةً كانت سبباً في شهرته، منها: الملاكمة، والمتشرّد، وحياة كلب، وامرأة باريس، إلى أن وصل إلى صناعة أفلامه الطويلة.

عاش شابلن حياةً صاخبةً، وتزوّج عدة مرات، وكانت زوجته الأخيرة - أونيل ابنة الكاتب المسرحي الشهير أوجين أونيل - وأنجبت له ثمانية أطفال. توفّي في ٢٤ ديسمبر عام ١٩٧٧م عن عمر ناهز ٨٨ عاماً.



ماكينة التغذية تفشل بعد أن تعطّلت الماكينة، وابتلع شابلن وابلاً من الصامولات، بدلاً عن قطعٍ من الطعام الذي تفشل الملاعق الآلية التلقائية في تقديمه. يعود شابلن إلى ملاحقته اليومية الصامولات السريعة المرور؛ مما يجعله يتدحرج فيقع فريسة تروس الماكينات، فيدور معها، ويدور بقامته الصغيرة المتواضعة البنيان»[11].

ومع فعل الدوران الإنساني، الناتج من التدحرج كحركة مائلة إلى السقوط المفاجئ، يجد القارئ أو المشاهد نفسه في يقظته وتتبّعه أمام موقف تلقائي مضحك، يجسّد حال شخص تربكه آلة تعمل عملها، فتتحول بغتةً إلى شيء مضحك بسبب سوء استعمالها، وليس في الدور أو الوظيفة التي صُنعت من أجل قيامهما.

موضوع للتأمل

وعلى نقيض هذا الدور، ستتحوّل النظرة الطبيعية إلى آلة مكنة التغذية من شيء عادي يضطلع بدورٍ ما في الحياة، لا ننظر إليه في الأغلب كما العادة بوصفه موضوعاً للتأمل، إلى (أداة) للكشف عن التناقض الحاصل بين الصورة واللغة/ الحركة، التي تفصح بشكلٍ ما عن الجوهر الداخلي للمضمون، وتحمل كثيراً من المعاني والدلالات (الإشارات)، التي يكفي من المتتبّع إدراك بعضها لينطلق عنده الضحك، ومن ثَمَّ تصبح الأشياء التي ما فتئت تكتسب شِعريتها -والحالة هذه- تتنقل في صورتها، مهتزّةً في ثباتها، بوصفها أدواتٍ ووسائل بريئةً؛ لتنقلب بغتةً إلى شيء أمسى لا محلّ تهمة وشبهة فقط، وإنما تحوّل إلى رمز للغباء والمسخرة؛ لأنه أخفق في تأدية مهمته بشكل سليم، وأصبح يمارسها بكيفية مضطربة على نحو عنيف، وهو ما جعله موضوعاً للضحك، الذي يفتح المجال أمامه لخروج ضحكات مختلفة تبعاً لحساسية الضاحك، ومن ثَمّ بروز



شارلي شابلن يجسّد حال شخص تربكه آلة تعمل عملها، فتتحول بغتةً إلى شيء مضحك بسبب سوء استعمالها، وليس في الدور أو الوظيفة التي صُنعت من أجل قيامهما

تعليقات ساخرة متباينة المستويات، والحديث عن الموضوع وتداوله بشكل يتوجّه إليه بالتأمل فيه، والنظر إليه بجدّية، ومن هنا يغدو الشيء (آلة التغذية) هدفاً في حدّ ذاته يحتلّ فيه الشكل محلّ الجوهر.

ومن الآثار المضحكة في المقطع السابق فعلا التدحرج والدوران بسرعة آلية، بوصفهما حركتين لا إراديتين صدرتا من شابلن بسبب ملاحقته الدائبة الصامولات السريعة، من دون أن يغيّر من حركاته النمطية التي يقوم بها في هذا المشهد وهو يحرّكها بعضلات يديه بشكل سريع متصلب وآليّ، على عكس ما تتطلبه العادة من مرونة بدنية بين الحين والآخر.

ونعثر لهذه الحالة على تعليق في سياقات مماثلة، توصل فيها برغسون إلى إمكانية بعض الأوضاع والظروف التي تقتضي شيئاً آخر غير السرعة والصلابة الآلية في أن تكون علّةً للضحك؛ إذ يورد في حديثه وجهة نظر مضمونها: «لكنه لنقصٍ ما في المرونة؛ لذهولٍ أو عنادٍ في الجسد، لصلابةٍ أو لسرعةٍ مكتسبةٍ، استمرّت عضلاته في إجراء نفس الحركات، بينما كانت الظروف تقتضي شيئاً آخر... المضحك في الحالتين هو (صلابة آلية) حيث كان ينبغي أن توجد مرونة إنسانية يقظة حية»[١٢].

التكرار مبعث الضحك

وإلى جانب ذلك، تتّضح جلياً في هذا الاتجاه من خلال فلم (الأزمنة الحديثة)، وفي مسارات أخرى من إبداعات شابلن السينمائية، التي تستند إلى الحركة بصورة سريعة متكرّرة، حوافز الضحك الحقيقي والعفوي المنبعث فينا، الذي يتجسّد في الدوران بصفة مستمرة، وفي لازمة التكرار، والتشابه القائم بين الممثّل الذي يشير ويدور ويتحرك بالسرعة ذاتها وفقاً للأشياء المبتكرة والمصنوعة، التي أضحت جزءاً من طبيعة الإنسان الحديث والمعاصر، وصارت تتغلغل إلى نمط حياته، وطريقة عيشه؛ فيبعث فيها الحياة كأنها تلبّست بلبوس الإنسان، والعكس صحيح. ونجد لهذا التحديد صدًى نصادف تردّده مسموعاً في صوت برغسون، وهو يقدّم تفسيراً له، ممثّلاً بخصوص ذلك بأنك: «إذا رأيت الآن حركةً ما من الذراع أو من اليد تتكرّر هي ذاتها بصورة دورية، فلاحظتها، فتوقّعتها، فحصلت في اللحظة التي توقّعتها فيها، ضحكت على غير إرادة منك. لماذا؟ لأنك الآن بإزاء أداة تعمل بصورة آلية؛ فليس هذا بعيداً عن الحياة، ولكنه الآلية المستقرة في الحياة، والتي تقلّد الحياة. إنه المضحك... فإذا رأينا تكراراً، رأينا تشابهاً تاماً، تخيّلنا وراء الحيّ آلة تعمل... فأنتم إذن تفكّرون في نوع من أنواع الإنتاج الصناعي. إن هذا الانحراف بالحياة في اتجاه الآلة هنا هو الباعث الحقيقي على الضحك»[١٣]. وبذلك تأخذ هذه العملية بُعداً آخر من الناحية الاجتماعية التي تمسّ الآلية كنهها. ولنا العبرة في تصوّر برغسون، الذي نحسم به حديثنا عن ظواهر المضحك في هذا المسار، حينما رأى أن «الآلية الداخلة في الطبيعة، والتنظيم الآلي في المجتمع، هما النموذجان المضحكان اللذان انتهينا إليهما. ويبقى علينا بعد ذلك أن نمزجهما، فنرى المركّب الذي ينتج عنهما... هكذا ترون أن المضحك ما يزال هو نفسه، وإنما يستدق شيئاً فشيئاً، ابتداءً من الجسم الإنساني (المستحيل إلى آلة) إن صح التعبير، حتى صورة الصناعي وقد حلّ محلّ الطبيعي»[١٤].

الضحك في الأزمنة الحديثة ينبعث من تقنيات شابلن الآلية المعهودة في معالجة الأفكار والقضايا الأكثر جدلاً؛ إذ يترك العنان لسخريته الناقدة، وفكاهته الطريفة في الظهور



المراجع

(١) عادل أيت أزكاغ، تشارلي شابلن المضحك المبكي دون أية كلمات، مقال منشور في صحيفة (العرب) اللندنية، في ١١ يناير عام ٢٠١٤م، عدد ٩٤٣٥، ص١٥.

(٢) وجدي كامل، شارلي شابلن: فيلم الأزمنة الحديثة.. ذكاء التهكّم من الآلة، مجلة الدوحة، تصدر عن وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة- قطر، العدد ٦٢، ديسمبر ٢٠١٢م، ص١٣٢، ١٣٣.

(٣) هنري برغسون، الضحك: البحث في دلالة المضحك، ترجمة: سامي الدروبي، وعبدالله عبدالدايم، الأعمال الكاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٨م، ص٣٠.

(٤) هنري برغسون، الضحك: البحث في دلالة المضحك، المرجع نفسه، ص٥٣.

(٥) هنري برغسون، الضحك: البحث في دلالة المضحك، ترجمة: سامي الدروبي، وعبدالله عبدالدايم، المرجع نفسه، ص٣٢.

(٦) شارلي شابلن، قصة حياتي، ترجمة وتقديم: كميل داغر، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ١٩٩٤م. النسخة العربية المعتمدة هي المترجمة عن النصّ الفرنسي لكتاب شارلي شابلن، عنوانه: Histoire de ma vie.

(٧) شارلي شابلن، قصة حياتي، المرجع نفسه، ص٣٥٢.

(٨) شارلي شابلن، قصة حياتي، المرجع نفسه، ص٣٥٣.

(٩) شارلي شابلن، قصة حياتي، المرجع نفسه، ص٥٢.

(١٠) شارلي شابلن، قصة حياتي، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(١١) وجدي كامل، شارلي شابلن: فيلم الأزمنة الحديثة.. ذكاء التهكّم من الآلة، مجلة الدوحة، العدد نفسه، ص١٣٣.

(١٢) هنري برغسون، الضحك: البحث في دلالة المضحك، المرجع نفسه، ص١٩، ٢٠.

(١٣) هنري برغسون، الضحك: البحث في دلالة المضحك، المرجع نفسه، ص٣٢، ٣٣.

(١٤) هنري برغسون، الضحك: البحث في دلالة المضحك، المرجع نفسه، ص٤٠، ٤١.



قصة تبحث عن مُخْرج

بدأت القصة عندما فضّلت الأميرة مريم أن تعـود إلـى أهلها بقرطبـة على أن تعيش مع الخليفة الناصر في مراكش، فهل للحادث شَبَهٌ بما حصل بين الأميرة ديانا وتشارلز في العصر الحاضر؟!

هنـاك علَـمٌ مـن الأعـلام المغربيـة الكبيـرة، علَمٌ عظيـمٌ معـروفٌ، يحمـل اسـم: إبراهيم بـن الحاج الغرناطـي، مـن مواليـد غرناطة، عاش أيـام عهد بنـي مريـن: عهـد السـلطان أبـي الحسـن، وأيام ابنه السـلطان أبـي عنان. هذا العلَـم عاش بفاس قبـل أن يعـود إلـى غرناطـة؛ مسـقط رأسـه فـي أعقـاب مصرع السـلطان أبـي عنـان، ويعيش إلى جانب ملك غرناطة، الذي عهد إليه بالسـفارة لدى ملك تلمسـان. هذا العلَم الذي قام بأداء مناسك الحج مرتيـن؛ فالتقى فيها بأعلام كبـار من أمثال: المـزّي، والذهبـي، والبرزالـي. هـذا الرجـل ألّـف عشرات الكتب، وقام بتأطير عدد من كبار الفقهاء، ورجـال القضاء، من أمثال ابـن عاصم صاحب أرجوزة (التحـف)، التـي لا يخلو منها بيت مـن بيوت الغرب الإسلامي، خصوصاً بيوتات القضاة والحكام.

كان من تأليف هذا الرجل الجليل مذكّراته التي كتبها سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٥م وهو يعيش قمة أيامه مع السلطان أبي الحسن. هذه المذكرات النفيسة تحتضنها مكتبة الإسكوريال التي توجد بضاحية مدريد تحت رقم ٤٨٣ ورقم ١٧٣٤. وقد حفلت الكتب بأخبار هذا الشيخ: إبراهيم بن الحاج، وقدّمته باسمه وكنيته ولقبه على هذا النحو: أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن عبدالعزيز بن إسحاق بن أحمد بن أسد بن قاسم، الكاتب القاضي النّميري، الذي يُعرف بابن الحاج الغرناطي[١]. ولم تهتم به فقط المدونات العربية ممن اهتمت بتاريخ بني مرين، لكن الاهتمام به امتد إلى رجال الاستشراق ممن كانوا يتطلعون إلى مزيد من أخبار الأندلس، وتاريخ الغرب الإسلامي عامةً.

ودونما أن نتيه في أسماء كثير من الباحثين، الذين استهواهم نشاط الرجل على مختلف الصُّعُد، نكتفي هنا بذكر اسم زميل لنا تعرّفنا إليه من كثب، وهو الباحث الجاد السيد دوبريمار **A. L. Debremare**، الذي كان له الفضل في التنقيب عن الشيخ إبراهيم بن الحاج، بل في إعداد رسالة عنه تحت عنوان: (المغرب والأندلس في القرن الرابع عشر) من خلال مذكرات سفير أندلسي في المغرب عام ١٣٤٤ – ١٣٤٥م، وكانت مذكرات غير مسبوقة ولا ملحوقة، شائقة حقاً، ومفيدةً، وذات دلالات حضارية.

نحن نسمع عن مدينة (آنفا) في العصر الوسيط، التي آثر بها السلطان أبو عنان الرحّالة ابن بطوطة حاضرةً يقضي فيها بين الناس، والتي أصبحت في عصرنا هذا تحمل اسم (الدار البيضاء). مدينة (آنفا) التي كانت قاعدة إقليم تامسنا قبل أن تدمّرها إمبراطورية البرتغال انتقاماً من المملكة المغربية في أعقاب هجوم الجيش المغربي على مرسى (لاقُش) جنوب البرتغال، وهو ما نصصنا عليه نصاً في التاريخ الدبلوماسي للمغرب[٢].

تعدّ المذكرات التي نشرها دوبريمار من المعلومات القيمة التي لا غنى عنها لمن يهتم بتاريخ الغرب الإسلامي. لقد تناول صديقنا دوبريمار هذه المذكرات من زوايا كثيرة في عدة فصول، واستوعب ذكر المتحدثين الذين أشاروا إليها في القديم والحديث، ابتداءً ممن أشرنا إليهم إلى زميلنا الدكتور ابن شقرون[٣]. لقد وصفوا بيته بالبيت (النبيه)، ونعتوه هو خاصةً بأنه كان مليح الدعابة، طيب الفكاهة، كيف وهو صاحب كتاب (المساهلة والمسامحة في تبيين طرق المداعبة والممازحة)، وأنه بعد أن غادر مدينة غرناطة سنة ٧٣٧هـ تعرّف -بفضل أشعاره- إلى الناس، ودوّن رحلاته، وعاد إلى إفريقية (تونس) حيث خدم بعض ملوكها، واستقرّ ببجاية، قبل أن ينتقل إلى المغرب الأقصى لخدمة مليكه أبي الحسن. ولم يلبث أن عاد إلى المشرق فحجّ، وعاد ثانيةً إلى إفريقية؛ إذ أمسى بها السلطان أبو الحسن الذي عراه هناك ما عراه، وهو ما حمل إبراهيم على الاعتزال بعد أن حدث ما حدث بين الولد والوالد. وقد عاد إلى السلطان أبي عنان بعد أن تجلّت الأحداث، قبل أن يُفلت بجُريعة الذَّقن على حدّ تعبير ابن خلدون في ظروف مصرع أبي عنان، ويلتحق بمسقط رأسه غرناطة سالماً غانماً؛ ليعمل مع ملوك بني نصر. وهنا من غرناطة سافر القاضي النميري إلى تلمسان سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦ – ١٣٦٧م، فوقع مركبه في أسر العدو على أن يتم افتداؤه بما ينيف على سبعة آلاف، ويعود إلى وظيفته مع حكام بني نصر. ومما يذكر عنه أنه عُرف بطموحه، وتطلّعه، وعزة نفسه، لكن الزمان كان يُعاكسه على نحو ما. قال المتنبي:

وأتعبُ خلق الله من زاد همُّهُ
وقصَّر عما تشتهي النفسُ وجْدُهُ!!

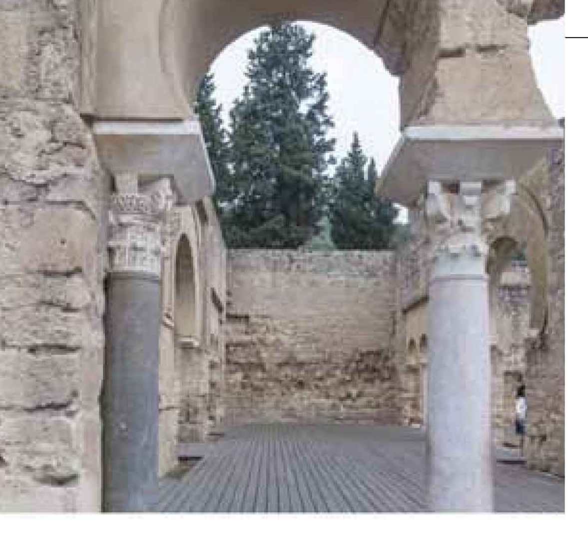
كما عُرف بـ(سلوكيته)، ومجاراته ما يظهر به الزمان، ومن ذلك قوله وقد توفّي السلطان أبو يحيى بن أبي بكر صاحب تونس، وتولّى ابنه أبو حفص بعد تصفيته أخويه:

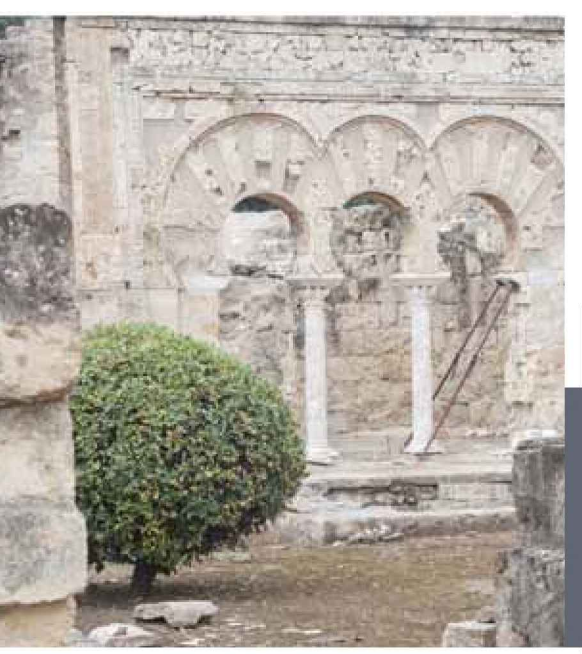
وقالوا: أبوحفص حَوَى الملكَ غاصباً
وإخوته أولى وقد جاء بالنُّكْر

عقد الطلاق

نصّ عقد الطلاق، الذي يحمل تاريخ الأول من ربيع الآخر سنة ٧٥١هـ/٨ يونيو ١٣٥٠م، وهو بذاته يترجم عما تتمتّع به المرأة في الغرب الإسلامي من مركز محترم مرموق حتى في حالات خاصة مثل هذه الحالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على محمد وعلى آل محمد، يقول عبدالله الراجي رحمته، محمد المدعو بأبي البركات ابن الحاج خار الله له، ولطف به: إن الله جلّت قدرته لما أنشأ خلقه على طبائع مختلفة، وغرائز شتى، ففيهم السخيّ والبخيل، والشجاع والجبان، والغبيّ والفطن، والكيّس والعاجز، والمسامح والمناقش، والمتكبر والمتواضع، إلى غير ذلك من الصفات المعروفة من الخلق، كانت العِشْرة لا تستمر بينهم إلا بأحد أمرين: إما بالاشتراك في الصفات أو في بعضها، وإما بصبر أحدهما على صاحبه إذا عُدم الاشتراك. ولما علم الشارع أن بني آدم على هذا الوضع شرع لهم الطلاق؛ ليستريح إليه من عيل صبره على صاحبه؛ توسعةً عليهم، وإحساناً منهم إليهم. فلأجل العمل على هذا طلّق كاتب هذا عبدالله محمد المذكور زوجَهُ الحرّة العربية المصونة عائشة، ابنة الشيخ الوزير الحسيب النزيه الأصيل الفاضل الطاهر المقدّس المرحوم أبي عبدالله محمد المغيلي طلقةً واحدةً، ملكت بها أمر نفسها دونه، عارفاً قدرَهُ، قصد بذلك إراحتها من عشرته، طالباً من الله أن يغني كلاً من سعته، مُشهداً بذلك على نفسه في صحته وجواز أمره، يوم الثلاثاء، أول يوم من شهر ربيع الثاني عام أحد وخمسين وسبعمئة».





فقلتُ لهم: كُفّوا فما رضِي الورى

سوى عُمَرٍ من بعد موت أبي بكرِ!!

وقد تولّى الحديث عن هذا الرجل، الذي تقلّب في الوظائف، وعرف المحن كذلك -كما قلنا- صديق لنا، هو الأستاذ دوبريمار، وكان ذلك من حسن حظّ الاثنين معاً.

الذي يهمّنا في موضوعنا اليوم هو نصوص مذكرات إبراهيم النميري سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤ - ١٣٤٥م، وهو في صحبة العاهل المريني السلطان أبي الحسن داخل المغرب الأقصى[٤]. في ترجمته المذكرات باللغة الفرنسية، قدّم لنا عدة فوائد عن رجالات الأندلس والمغرب، فقرأنا عن أسرة إبراهيم الحكيم الذي كان وزيراً في رندة، والذي ترجمنا له في بحثنا عن (رندة على عهد بني مرين)[٥]. وفي هذه المذكرات قرأنا عن سيدة أديبة نبيلة، كانت تقوم بدعوة سيدات فضليات إلى (صالونها) الأدبي بالعاصمة العلمية: فاس. هذا، إلى جانب حديث مفيد عن سيدة عالمة أخرى تحمل اسم (صُبح)، كانت ممّن ترجمنا لها في كتابنا عن تاريخ المرأة في الغرب الإسلامي[٦]، وحديث آخر عن صديقه بمدينة آنفا (الدار البيضاء): العلامة أبي العباس الرقاص، وعن مجلس علم بضفة وادي أم الربيع على مقربة من أزمور، وعن أحد المتصوفة التابعين للطريقة الشاذلية في (سايس) ينتظر الاجتماع بالسلطان أبي الحسن.

الأميرة ديانا والأميرة مريم.. ما العلاقة؟

أرجو أن أضيف رأياً لي حول المصير المحزن للأميرة مريم، أشرتُ إليه في عنوان حديثي هذا: أنا من أهل الفضول، الذين يتتبعون إلى الآن حيـاة الأميرة البريطانية ديانا أميرة ويلز، التي كانـت تعيش إلى جانب الأمير تشـارلز، ثـم كان ما نعـرف من فراق، ثـم كان مصرعهـا الكارثي، وسـؤال كلّ الناس في أطراف المعمورة، وكتابتهم هيمالايا من الأوراق حول الجهة التي كانت وراء مصرعها، وهـل هـي القصر الذي كان يتخـوّف من تداعيـات أن تصبح زوجة ولـي العهد، والملك المقبل، بيـن يدي شـخص آخر مـن حضارة أخرى وقـارة أخرى، وهو ما يعـدّ وصمةً في جبين بريطانيا؟!.

كلّ تلك المقولات، سـواء أكانت عن حُسـن نية أم سوء رؤية، جعلتني أضع بدوري علامة استفهام عريضة عن وفاة الأميرة مريم، التي سمعنا عن الشعر الذي نُقش على شاهد قبرها متحدثاً عن عنفوان الشباب الذي كانت تتمتع به، هل هي وفاة طبيعية أو أن ديوان الخليفة الناصر فكّر في تداعيات عودة الأميرة مريم، وأنها قد تصبح في بيت آخر تحكي وتروي عن الخليفة ما يُروى ويُحكى مما لا يشرّف المسؤولين عن الخلافة الموحدية؟! أتذكـر هنـا ما جاء في كتاب (إعمـال الأعلام فيمن بُويع قبل الاحتلام) للسـان الدين ابن الخطيب، عندما روى عن مصارع أقوام ممن يُشـتبه في إسـاءتهم إلى الحكم السائد، قال عندما أشـفق على القارئ: «وسُـوق المُلك لا يُنكر فيها أمثال هذه البضائع، ومن عُوفـي فليحمـد الله»[*]. هكذا قال لسـان الدين بلغة العصر الوسـيط، وأقـول أنا بلغة اليوم: لا أحد في القادة السياسيين يستطيع أن يدّعي العذرية السياسية.

(*) عبدالهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد الأول، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، رقم الإيداع القانوني: ٢٥/ ١٩٨٦م، المحمدية- المغرب: مطابع فضالة.

ويكون المهم عندنا في مقالنا هذا هو ما جاء في الفصل الثالث، الذي تطرب له المثاني والمثالث، حول قصر المجاز الذي -كلّنا يعرف- كان المرسى أو الميناء الأقرب مسافةً من عدوة المغرب إلى عدوة الأندلس، وهو المرفأ الذي ورد ذكره كثيراً في كتب التاريخ المغربي الأندلسي، والذي قد يُسمّى قصر الجواز، أو قصر مصمودة[٧]. قصر المجاز هذا وردت في شأنه قصة عجيبة مثيرة تبحث عن مُخرج، تتعلق بوجود شاهد قبر كان يُوجد هناك وقتئذٍ يحمل معلومات جدّ مهمة عن سيدة نبيلة كانت في عصمة الخليفة الناصر ابن الخليفة المنصور بن يوسف بن عبدالمومن مؤسس دولة الموحدين[٨]، ونفضّل أن نأتي أولاً بالنصّ العربي قبل أن نعلّق عليه.

الباب الثالث: مشاهدات المؤلف أثناء تنقلاته

أسطورة حول شوكة (شاهد) قبر من رخام بقصر المجاز

فصل: كان رحيل مولانا -أيّده الله- من منزل أويات Awiyat[9] في يوم الخميس الثالث عشر لهذا الشهر المحرم ٧٤٥هـ (١٣٤٤/٥/٢٧م)، وكان نزولنا بمنزل قصر المجاز. وأقام مولانا -أيّده الله- بهذا المنزل يوم الجمعة الرابع عشر لهذا الشهر، وصلّى صلاة الجمعة بجامع القصر (يعني: قصر المجاز).

ولما انصرفنا نبّهني صاحبنا العالم الفاضل أبو العباس بن شعيب إلى (شوكة) رخام بخارج القصر فيها أبيات شعر، فسِرْتُ إليها، وهي في موضع مقابل لباب البلد في ضفة الوادي الغربية، ونظرتُ إلى الشوكة المذكورة التي كانت في غاية الاحتفال، وخطّها من الكوفي المسند مُداخَل بتوريق، وفيها هذه الأبيات الأربعة، اثنان منها مكتوبان في جهة، واثنان في جهة مقابلة، وهي من بحر (الوافر):

تناساني الأحبة إذْ رأوني
رهـينَ جـنـادلٍ تحت التراب!
فمَن را مضجعي فليعتبرني
ولا يغترّ بـعـدي بالثياب!
ليعتبر الـذيـن رأوا شبابي
كأنّ الموت لم يكُ في حسابي!
يـزورنـي الحبيب ولا يراني
ويدعوني ولا يرجو جوابي!!

وفي رأس (الشوكة) كلمة مريم بنت ....، وفي أسفلها محمد الأسدي. قال صاحبنا أبو العباس: سمعتُ بعض العوام بالقصر (قصر المجاز) يحكي أنها -أي: مريم- كانت من أهل قرطبة، وكانت ذات حسن رائع، وأدب رفيع، فسمع الخليفة الناصر بها، فخطبها لوالدها، وانعقد نكاحها، وسيقت إليه، فلما دخلت عليه بمراكش أعجب بحسنها (ليس هذا فقط)، ولكنه خَبَر من محاسن باطنها ما أنساه ظاهرها، فلم يكن إلا أن جعل لها أن تتمنى، فلما وثقت به قالت: أتمنى أن تردّني إلى بلدي!!. قال: فعزّ ذلك عليه، ولم يمكنه إلا أنْ صرفها، فلما بلغت (قصر الجواز) توفيت فيه. قلت (القائل إبراهيم بن الحاج): سألتُ قاضي القصر الذي نذكره بعد عن هذه المرأة بمحضر المعتبرين من أهل القصر، فقال لي: كانت من أهل الأندلس.

ونرجو أن نسجّل هنا، ما دُمنا على مقربةٍ من حديث إبراهيم بن الحاج في مذكراته عن قاضي مدينة القصر الصغير، الذي وعد بأنه سيذكره بعد، أقول: نرجو أن نسجّل هنا أخبار الرحالة المغربي ابن بطوطة الطنجي عن الفقيه أبي زيد عبدالرحمن ابن القاضي أبي العباس أحمد بن خلوف، من أهل قصر المجاز، الذي قام بأداء مناسك الحج سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م ضمن مجموعة أتت إلى الحج من أهل طنجة بلدة ابن بطوطة ومن القصر الكبير[10]، فهل للقاضي المذكور عند ابن بطوطة صلة بوالد الفقيه أبي زيد عبدالرحمن؟!.

ثم أذكر أنني على مثل اليقين من أن الذي أبلغ أخبار السيدة مريم إلى الخليفة الناصر هو القاضي ابن حَوْط الله، أستاذ الخليفة الناصر وقاضيه على قرطبة ومرسية وميورقة ومدينة سلا، دفين مالقة، ربيع الأول سنة ٦١٢هـ/ يوليو ١٢١٥م. وابن حوط الله هذا هو عبدالله بن سليمان بن داود، ابن حوط الله الأنصاري الحارثي الأزدي، الذي كان يدرس كتاب سيبويه، وكان معظّماً عند الملوك، معلوم القدر لديهم، يخطب في مجالس الأمراء والمحافل الجمهورية، ولملوك الموحّدين به اعتناء كبير[11].

وإلى جانب هذا، فإنني أعتقد أن هذا الحدث وقع عندما كان الخليفة الناصر يستجمّ بمراكش في أعقاب قفوله من إفريقية (تونس) إلى المغرب، ودخوله منتصراً مراكش في ربيع سنة أربع وستمئة للهجرة/ أكتوبر ١٢٠٧م[12]؛ إذ وفدت عليه الوفود، وهنّأته الشعراء بالفتح الذي أحرزه في الشرق، وكان مما أنشده ابن مَرْج الكحل قوله:

ولما توالى الفتح من كل وجهةٍ
ولم يبلغ الأوهام في الوصف حدّه
تركنا أمير المؤمنين لشكره
بما أودع السرّ الإلهي عنده
فلا نعمة إلا تـؤدي حقوقها
علامته بالحمد لله وحـده!

وكان ابن مرج الكحل يشير في آخر شعره إلى (العلامة السلطانية) عند الموحدين؛ فقد كانت أن يكتب الخليفة بيده بخطّ غليظ في رأس المنشور: (الحمد لله وحده).

> من النساء الأندلسيات السيدة الصائمة عائشة، التي حيّرت أقطاب الفكر، وعامة الشعب، وبقيت أزيد من عشرين عاماً لا تتناول طعاماً

> أم حكيم الأندلسية خطبها جماعة من أشراف الخوارج، كان فيهم الشاعر المشهور قطري بن الفجاءة

أما ما يتعلق بالسيدة مريم هذه، فقد قُمتُ بمحاولة -بل محاولات- لأجد لها ذكراً غير القول الذي ورد في مذكرات ابن الحاج، وأن ما استشعرناه من خلال وصف شاهد القبر، وأنه في غاية الاحتفال، وأن خطّه بالحرف الكوفي المسند، وأنه ....، وأنه ....، أقول: ما شعرنا به من ذلك الاعتناء الكبير بقبر السيدة مريم هو أن الخليفة الناصر لما بلغه خبر مصير زوجته السابقة قام بواجب تسجيتها، ونصْب (الشاهد) على قبرها، «وحسن العهد من الإيمان» كما هو معروف عند أصحاب العاطفة والوجدان.

كنتُ من بين الذين اهتموا بأمر السيدات الأندلسيات ممن ازدانت بذكرهن المحافل والمجالس؛ إذ أتيتُ على ذكر معظمهن في تأليفي عن (تاريخ المرأة في الغرب الإسلامي[13])، وما زلتُ بعد صدور هذا التأليف أتتبّع أصداء

> **المنصـور كان ضعيفـاً أمام زوجتـه الرومية، التـي كانت ذات نفوذ قويّ عليه**، وهذا الأمر يفسّـره أمر والده الشـعب ببيعته ولياً للعهد وسنّه لم يتجاوز عشـر سنوات، ولم يزل مرشـحاً للخلافة إلى أن مات أبوه، واستقلّ بالأمر وسنّه يوم بُويع البيعة الكبرى العامة لم يتجاوز سبع عشرة سنة

(الفرائد) من الأندلسيات والمغاربيات ممن وقفتُ لهن على خصوصية من أمثال السيدة لبنى الغدامسية، التي أثارت وجدان الشيخ محيي الدين بن عربي، فقال فيها قصيدةً شعريةً سينيةً يحفظها الناس في ليبيا الآن، وتبتدئ هكذا:

كـــمْ رأيـــنـــا بـــرامـــةٍ
مـــنْ طـــلـــول دوارس
مـــا رأيـــنـــا مـــن غـــادة
فـــي الجـــواري الأوانـــس
مـــثـــل لبـنـى إذ أقبلت
نحـــونـــا مـــن غُـــدامـــس!
خِـــلْـتــهـــا إذ أقـبـلـت
قـــطـــعـــةً مـــن حـــنـــادس
صـــورة مـــا أرى لها
صـــورةً فـــي الكنائس!!

وقرأنا عن السيدة الصائمة عائشة، التي حيّرت -في الأندلس- رجال الحُكم، وأقطاب الفكر، وعامة الشعب، وبقيت أزيد من عشرين عاماً لا تتناول طعاماً، وكان لها بأعلى الجامع المعلّق بمدينة الجزيرة الخضراء غرفة تسكنها. وقرأنا عن (خيْرونة) تلميذة عثمان السلالجي، وسمعنا عن (نُظار) التي كتب عنها المشارقة والمغاربة، لكن السيدة مريم، التي تحدث إبراهيم بن الحاج الغرناطي عما اكتشفه عنها من أخبار في قصر المجاز، فإننا لم نجد لها ذكراً في غير مذكرات ابن الحاج.

ويشعر المرء وهو يقرأ مذكرة ابن الحاج عن (مريم الأسدية) أنه -أي: ابن الحاج- ظلّ يشعر بالرغبة في تتبّع موضوع السيدة مريم، وأنه استغرب سيدةً كانت تعيش في وضع مريح، وقرّرت أن تعود إلى حيث كانت، كأنه كان يتطلّع إلى تحقيق الأسباب التي تظلّ قابلةً لكلّ احتمال.

لقد تذكّرتُ أمر سيدةٍ أخرى يعرفها التاريخ، هذه السيدة كانت قوية الشخصية، معجبةً



بنفسها، ترى وجهها في المرآة فتبتهج بما وهبها الله من محاسن، لكنها -بالنسبة إلى مُباعلة الرجل- تبقى رافضةً كارهةً إن لم نقُلْ: ناشزةً. هذه الشاعرة هي أم حكيم، التي خطبها جماعة من أشراف الخوارج، كان فيهم الشاعر المشهور قطري بن الفجاءة، لكنها ردّتهم قائلةً:

ألا إن وجهاً حسّن الله خلقه
لأجدرُ أن يُلفى به الحسنُ جامعا
وأُكرِمُ هذا الجرم عن أن يناله
تورّك فحل همُّه أن يُجامعا[14]!!

وإلى جانب أم حكيم لا أنسى كذلك قصة الشاعرة اليهودية (قزمونة)، التي نظرت وجهها في المرآة، فرأت أنها قد بلغت أوان الزواج ولم تتزوج، فقالت شعرها المعروف:

أرى روضةً قد حان منها قطافها
ولستُ أرى جانٍ يمدّ لها يدا
فوا أسفا يمضي الشباب مضيّعاً
ويبقى الذي ما إن أسمّيه مُفْردا

لماذا لم تتجاوب الأميرة؟

وأخيراً، لا بد أن تستوقفنا الحياة الشخصية للخليفة الناصر؛ فإن عدم تجاوب الأميرة مريم مع حبّ الخليفة لا بد أن يستدعي السؤال عن حالته هو. لقد قالوا: إنه -أي: الناصر- ينحدر من أم رومية، وهو ما يعني أن والده الخليفة المنصور الموحدي كان متزوّجاً من سيدة من قارة أخرى غير إفريقية، وأنها -نتيجةً لذلك- تنتمي إلى حضارة أخرى، وهو ما يمكن أن يكون له أثر في سلوك الرجل. كما قالوا: إن المنصور كان ضعيفاً أمام الرومية، التي كانت ذات نفوذ قويّ على زوجها المنصور، وهذا الأمر يفسّره أمر والده الشعب ببيعته ولياً للعهد وسنّه لم يتجاوز عشر سنوات، وأنه لم يزل مرشحاً للخلافة، معروفاً بها، إلى أن مات أبوه، واستقلّ بالأمر وسنّه يوم بُويع البيعة الكبرى العامة لم يتجاوز سبع عشرة سنة، إلى أن أدركه أجله في العاشر من شعبان سنة ٦١٠هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٢١٣م. وأجمع كلّ المؤرخين على أن الخليفة الناصر كان شديد الصمت، وأن سبب هذه الصفة فيه يرجع إلى لُكْنةٍ كانت في لسانه تمنعه من الكلام بطلاقة؛ بمعنى أنه كان يعاني عقدةً تعترضه وهو يحاول الكلام، فهل كان هذا العائق وراء إطراقه الكثير قبل أن يخوض في الحديث، أيّ حديث؟!. لا ندري هل لبعض هذه الصفات أثر في حياته، أو بالأحرى: لها علاقة باختيار مريم العودة إلى بيتها في قرطبة؟!.

كنتُ من الذين يحزنون لمثل هذا الفراق الذي لا يُطاق، لكني -مع كلّ ذلك الحُزن- كنتُ أتصوّر مدى المصاعب التي قد تعتري الجانبين أو أحدهما، وكنتُ أستحضر الطرائق السلمية والحضارية التي تفرضها تلك المصاعب التي تنتهي إلى فراق جميل لا يضرّ بكرامة أحد من الطرفين. وأرجو أن أذكّر في هذا الحديث بما وقع بين زوج وزوجة مثقفين عالمين: أبي البركات ابن الحاج البلّفيقي، والسيدة أم العباس عائشة بنت الوزير المغيلي[15]. لقد أعجبتُ بصيغة الطلاق الذي حرّره بأسلوبه أبو البركات؛ فقد صاغه بطريقة تكشف -من طرف خفيّ- بعض أسباب سوء التفاهم الذي قد يقع بين زوج وزوجته مما لا يكون في أغلب الأحيان باختيار واحد منهما، ويكون سبباً نشأ عن عدم تنازل أحدهما للآخر، وهنا ينبغي التفكير في الحلّ الذي يرتكز على العقل.

الصورة في بداية المقال تعبيرية.

الهوامش والمراجع

(١) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، ج١، ص٣٤٢، وأحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، تحقيق: إحسان عباس، المجلد ٧، ص ١٠٨، ١٠٩، وما بعدهما.

(٢) عبدالهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج٧، ص١٥٦، رقم الإيداع القانوني: ٢٥/ ١٩٨٦م.

(٣) ابن الحاج النمري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسطنطينة والزاب، دراسة وإعداد: محمد بن شقرون، بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م، ص٣٥، وما بعدها.

(٤) ابن شقرون، فيض العباب، ص٤٢.

(٥) مجلة الأكاديمية، العدد ٢٩، ٢٠١٢م، ص١٩٩-٣٢٤. وقد أهديتُ البحث إلى أستاذي الدكتور أحمد مختار العبادي عميد الدراسات الأندلسية بجامعة الإسكندرية، ونشرته هذه الجامعة، وأعاد نشره معهد الدراسات الإسبانية والبرتغالية بمدينة العرفان بالرباط عام ٢٠١٢م.

(٦) المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، نشر: الفنك، الدار البيضاء، بمساهمة مؤسسة فريدريك إيبرت (ألمانيا)، ص١٤٨، ١٤٩.

(٧) ابن صاحب الصلاة، المنّ بالإمامة على المستضعفين، تقديم وتحقيق: عبدالهادي التازي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م ص١٢٨، تعليق ١.

(٨) دوبريمار، ص١٢٣، الترجمة الفرنسية، ص٢٠.

(٩) أويات: موقع جغرافي على مرحلة من قصر المجاز، وقد حاولنا أن نصل إلى تحديده مستعينين بقراءة طوبونيمية، ويبدو أن الاسم اختفى من ذاكرة الناس في المنطقة. انظر بحثنا حول قصر المجاز في مجلة الأكاديمية، عدد ٢٣، ٢٠٠٦م.

(١٠) رحلة ابن بطوطة، تحقيق: عبدالهادي التازي، نشر: أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، المجلد الثاني، ص١٥١، تعليق ٢٩٦.

(١١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تقديم وتحقيق: محمد عبدالله عنان، ج٣، ص٤١٦، ٤١٧، مكتبة الخانجي، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، والناصري السلاوي: الاستقصاء، طبعة البيضاء، دار الكتب، ١٩٥٤م، ج٢، ص١٩٤.

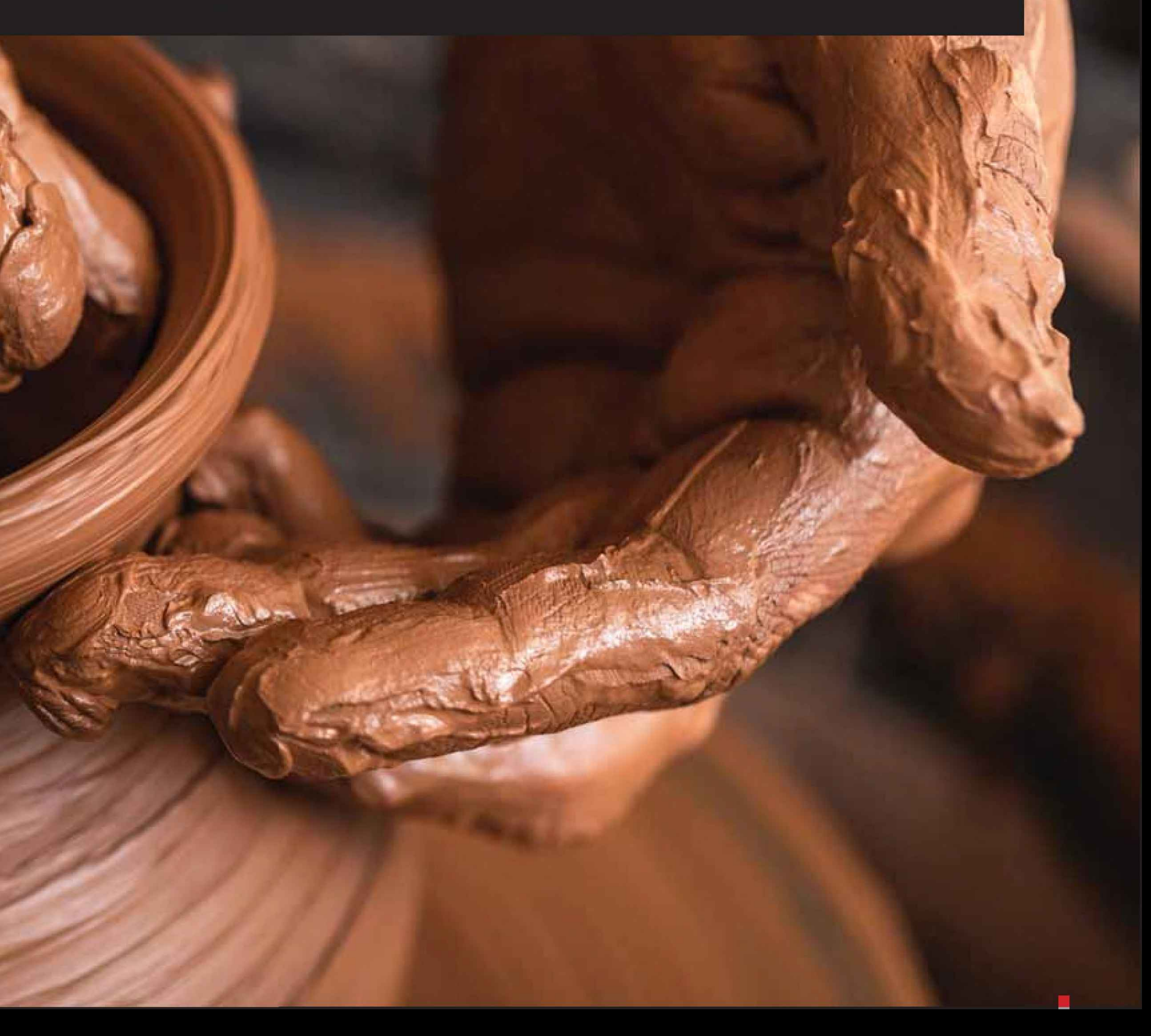
(١٢) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم: محمد الفاسي، مطبعة سلا، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ص١٩٨.

(١٣) عبدالهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، نشر: الفنك، الدار البيضاء، بمساهمة مؤسسة فريدريك إيبرت، ١٩٩٠م.

(١٤) حفلت كتب التراث بالحديث عن أم حكيم صاحبة قطري بن الفجاءة الخوارجي المذهب. المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مع الترجمة الفرنسية، طبعة باريس، ١٨٥٩م، ج٥، ص٣٧٣-٣٨٩، وعباس الجراري، في الشعر السياسي، الطبعة الثانية، رمضان سنة ١٤٠٢هـ/ يوليو ١٩٨٢م.

(١٥) عبدالهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص١٧-٢٠.

فنّ الخزف من أروع ما ترك الفنان في العالم الإسلامي القديم بأصالة خاصة، وإبداع متميّز؛ فهو فنّ خرج من رؤية فنية لها استقلالها. وقد اكتشفت قطع الخزف الإسلامي القديم في الفسطاط وسامراء والرقة والمدائن، وتبيّن أن هذه الأواني إنما صُنعت للزينة، أو لرجال الحكم. واشتُهرت هذه المدن بصناعة الخزف من صحون وأطباق وأوانٍ؛ لذلك عُدَّت الحضارة العربية الإسلامية -إلى جانب الشرق الأقصى- من أكثر حضارات العالم التي اهتمت بهذا الفن. كما اشتهرت إيران بهذا الفنّ، لكنه انتشر في البلاد العربية في عهد العباسيين؛ إذ تعود أقدم النماذج المهمة إلى بداية الحكم العباسي؛ فقد تمكّن الخزّافون في العراق من الاستفادة من العلوم المزدهرة لاختراع تقنيات جديدة في ظلّ الخزف وتزيينه، منها -مثلاً- تقنية الخزف ذي البريق المعدني، وهي تقضي بوضع غشاء رقيق من المعدن فوق قشرة الخزف الملونة أو الشفافة. وانتشرت هذه التقنية في أنحاء العالم الإسلامي كافةً، وانتقلت من الأندلس إلى إيطاليا في القرن الرابع عشر.



الخزف والزجاج والقاشاني

وجماليات الفن الإسلامي



جماليات الفن الإسلامي

الخزف طين مشويّ بأشكال مصبوبة أو مكوّنة مغطاة بدهان أزرق وأخضر أو بدهان ذي بريق معدني بإضافة أملاح الحديد والأنتمو إليه، وغالباً ما يكون الخزف مرسوماً فوق الطلاء أو تحت الطلاء، أو مرسوماً بالبريق المعدني، ويُصنع عادةً من طَفْل أصفر مغطًى بطبقة غير شفافة من الميناء القصديرية، ترسم عليها الزخارف بالأكاسيد بعد حرقها. وكان الخزّافون أيضاً يشقّون سطح الخزف، فتحدث عليه فراغات صغيرة يملؤونها بالألوان. ولا تعود أهمية الخزف الإسلامي إلى تقنياته فقط، بل أيضاً إلى رسوماته التي تختصر جمالية الفنّ الإسلامي. ومع أن الخزف الإسلامي أقلّ صلابةً من البورسلين الصيني إلا إنه يتميّز في التزجيج القصديري بدفء ونعومة في الملمس، ويتميّز في لون الفخار المزجّج بطلاء رصاصي بلمعان براق، ويتميّز في آنية الفرات **FRIT** بلمعان باهت، والأهم من كلّ ذلك تمكّن الفنان من وحدته الزخرفية وصياغتها بإحكام على كلّ خامة استخدمها في إبداع متجدّد. وقد خرجت لنا حفريات زاره **Sara** وهرتزفيلد **Hersfeld** في سامراء أروع أمثلة من الأواني ذات البريق المعدني. وفي جامع القيروان ١٣٩ بلاطة تشكّل إطار محراب الجامع الكبير،





جرة من بواكير صناعة الخزف في العصر الإسلامي من القرن ١هـ/ ٧م

لعلها صُنعت بطريقة القرطاس Borbotine، التي تنتج من دفع عجينة ليّنة من ثقب قمع أو قرطاس، فتشكّل رسوماً نافرة. ومن الخزف ما يُنسب إلى الرقة في سورية، وهي ترجع إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين؛ أي: إلى العهد السلجوقي والأتابكي. وقد عُثر على أنواع كثيرة من خزف الرقة ذي البريق المعدني وذي الزخارف المرسومة، ومن الأنواع الأخرى من خزف الرقة نوع رُسمت زخارفه باللون الأسود تحت طلاء أزرق فيروزي[1]. وهناك الأواني المرسومة بعدة ألوان، مثل صحن عثرت عليه بعثة الباحث أولغ غرابار في آثار قصر الحير الشرقي، أُنجز في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، وهو من مجموعة متحف تدمر. وهناك بعض المنحوتات الخزفية الصغيرة، التي تمثّل حيوانات أو شخصيات، ومنها – على سبيل المثال – منحوتة على شكل امرأة مقتعدة الأرض، وقد طُلي جسدها بقشرة زرقاء فيروزية. وفي المتحف الوطني بدمشق نماذج من خزف الرقة والرصافة بجميع أنواعه، وقد استمرت صناعة الخزف في مصر وسورية في العهد الفاطمي وفي عصر الأيوبيين والمماليك.

ثلاث مراحل مميزة

ويمكن تقسيم الإنتاج الخزفي الإسلامي ثلاث مدد: المدة الأولى الإنتاج الخزفي من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر الميلادي، وكيف استطاع الفنان أن يخرج في الدولة العباسية من إسار الخزف الصيني صناعةً بصياغة الخزف ذي البريق المعدني، وهو ما أعطاه حريةً في التراكيب التي شكّلها على الخامة، وانتقل هذا الأسلوب إلى مصر الفاطمية، ومنها إلى سورية، ثم وصل إلى الأندلس غرباً، وإيران شرقاً. والمدة الثانية من القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر الميلادي، وفيها يمكن تبيّن استقلالية الخزف الإيراني في المقاطعات الشرقية، أو في تركيا، بعيداً من المؤثر الصيني. ولعل المدة الثالثة التي ظهرت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين تمثّلت في إحياء الفنان الإيراني تقنيةً خزفيةً مصريةً تُعرف بعجينة الفريت Frit، هذه التقنية أعطت الفنان قدرةً تشكيليةً أوسع، ثم جاء أسلوب الرسم تحت طلاء التزجيج؛ ليعطي بدوره الفنان الخزفي حرية حركة أخرى، مع استمرار الإبداع بالأسلوب القديم من استخدام الرسم فوق التزجيج أو البريق المعدني[2].

أبعاد اجتماعية

وفي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي







إبريق خزفي مزدان بخط فارسي ودوائر زخرفية من القرن ٧هـ/ ١٣م

إبريق من الفخار مزدان بأشكال زخرفية هندسية ذات ألوان متعددة من القرن ٧هـ/ ١٣م

القطع الثلاث من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

كان الخزف الأندلسي ذو البريق المعدني موضع تقدير كبير في كلّ أوربا والشرق الإسلامي؛ فقد وُجدت قطع كاملة منه في الغرب حتى صقلية وشلزويج- هولشتين Schleswig- Holstein، بينما اكتشفت منه قطع كثيرة في أكوام القمامة في الفسطاط بمصر. ومن هنا لا نندهش إذا علمنا أن الأطباق والصحون والزهريات الخزفية ذات البريق المعدني المصنوعة في بلنسية والمزينة بشارات النبل قد أصبحت في القرن التاسع وأوائل القرن العاشر للهجرة (عام ١٦١٥م) رموزاً لارتفاع المكانة الاجتماعية يتمنّاها الجميع، ولم يقتصر اقتناؤها على الأسر الإسبانية، بل حازها أيضاً نفر من أصحاب الذوق الرفيع من الأوربيين، أمثال: أدواق بيرغنديا وآل مديتشي في فلورنسا، وملوك نابولي، والبابا ليو العاشر(٣).

الخط العربي يزين الخزف

وهناك تأثير مباشر بصورة كبيرة مارسه الفخّار الإسلامي، خصوصاً الأنواع الأندلسية منه، المطلية بالقصدير المزجّج وبما يُسمَّى (السجرامنتو Sgraitoff)؛ أي: الزخارف ذات البريق المعدني؛ فقد وجدت هذه الأنواع والزخارف في صناعة الفخار الإيطالي الناشئة التي لم تلبث أن بلغت شأواً غير عادي من الازدهار(٤). وكانت بعض أشكال الزخارف على الآنية الخزفية؛ مثل: القصاع الصغيرة، والزهريات، والقدور، وأواني العقاقير المسماة (البرللي Albarelli)، إضافةً إلى وحدات زخرفية معينة، قد اقتُبست بالفعل من الخزف الإسلامي. كما أن المؤثرات الفنية الخاصة بأساليب الزخرفة، التي نشأت أصلاً في الشرق الإسلامي، ثم تطورت في الأندلس، قد أضيفت إليها تحسينات جديدة في المراكز الصناعية الإيطالية المختلفة(٥). وثمة أوانٍ خزفية يتميّز بها الخزّافون المصريون والسوريون من غيرهم، وهي تَسِمُ الفنّ المملوكي بسمات

الفنـان في الدولة العباسـية اسـتطاع أن يخرج من إسـار الخزف الصيني صناعةً بصياغـة الخـزف ذي البريـق المعدنـي، وهو ما أعطاه حريةً في التراكيب التي شكّلها على الخامة

أهمية الخزف الإسلامي لا تعود إلى تقنياته فقط، بل أيضاً إلى رسـوماته التي تختصر جمالية الفـنّ الإسـلامي، ومـع أنه أقـلّ صلابةً من البورسـلين الصينـي إلا إنـه يتميّـز فـي التزجيج القصديـري بدفء ونعومة في الملمس





خاصة ومميزة، ونعني بتلك الأواني تلك التي اعتمدت زينتها على الخط العربي، خصوصاً الثلث المملوكي، الذي يظهر بشكل نافر على الأواني، مؤكداً الطابع النبيل للحرف العربي. وكان الخط العربي قد بدأ يزيّن كثيراً من الصناعات الفنية الأخرى التي أبدعها الفنان المسلم من المعادن؛ مثل: النحاس، أو البرونز المطعم بالذهب والفضة، التي نعرفها من خلال الطاسات والصحون والصواني والمقالم والمحابر والمباخر التي تحتفظ بها متاحف العالم بوصفها قطعاً فنيةً رائعةً منقطعة النظير[٦].

ويلاحظ البحاثون عند دراستهم الخزف تحت ظروف الحكم المملوكي وفرة توقيعات الخزفيين على الأواني التي يصنعونها، وتشير إلى أن عادة التوقيع قديمة؛ إذ نجدها في مصر منذ الحكم الفاطمي، كما هو الحال -مثلاً- مع الصحون والأقداح التي تحمل أسماء كلّ من: مسلم، وسعد، وإبراهيم. وفي زمن المماليك شاع مثل هذا النوع من التوقيع الذي رمز به الحرفيون إلى فنونهم. وعلى أيّ حال، فإن وجود توقيعات الفنانين أو غيابها لا يحدّدان قيمة العمل الفني؛ لأن الفنون الإسلامية لا تعبّر عن مشاعر الفنان الذاتية في كثير من الأحيان، ولا تريد أن تروي لنا أو تؤرّخ للأحداث العامة، بل هي تقوم على أسس وعناصر تترجم فلسفةً جماليةً خاصةً عبّرت عن علاقة روحية بالله وبالطبيعة.

تحف فنية من القاشاني

أما القاشاني، الذي يُنسب إلى مدينة قاشان الإيرانية، التي ازدهرت فيها هذه الحرف الفنية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وكان في طليعة الحرفيين الذين عملوا فيها أبو القاسم عبدالله بن أبي طاهر القاشاني، فيُعدُّ من الفنون التطبيقية الإسلامية العريقة؛ إذ ساد في أكثر من مرحلة، وشهد تطورات متلاحقة؛ فقد ارتبط بالعمارة فزيّنها وجمّلها، وحرّك كتلها ومساحاتها وفراغاتها الداخلية بلوحات بديعة، شكّلتها بلاطات خزفية مرصوف بعضها إلى جانب بعض. كما تجسّد هذا الفن في شكل حرف وصناعات استعمالية وصل بعضها إلى مصافّ التحف الفنية الرفيعة، بوصفها عناصر تشكيلية وقيماً تعبيرية ودلالية وتقانية.

وتتألّف لوحات القاشاني من مجموعة ألواح أو بلاطات متعددة الأشكال والقياسات، يُرصف بعضها إلى جانب بعض بشكل مدروس؛ لتؤلّف في النهاية منظراً عاماً مشكّلاً من رسوم وزخارف وتشكيلات هندسية أو نباتية مطعّمة أحياناً بالهيئات المشخصة لطيور وحيوانات. وقد تقتصر لوحات القاشاني على الكتابات، وأبرز الألوان التي استعملت في القاشاني الإسلامي هي الأزرق والزهري.

ومثل أغلبية الفنون التطبيقية والحرف والصناعات اليدوية الإسلامية أدّى الخط العربي دوره الأساسي في تشكيل البيئة الزخرفية الرئيسة في عملية تزيين العمارة والحرف والصناعات التطبيقية الإسلامية وتزويقها على اختلاف خاماتها وموادها ووظائفها، ومن ذلك القاشاني الذي تميّز بالجمع الموفّق بين الزخارف والتشكيلات المستوحاة من الكتابة العربية، أو المشكّلة منها، أو المحيطة بها. وهذه الزخارف والتشكيلات ذات بريق معدني ملوّن بالأزرق والفيروزي، وتستوي مع الخلفية أو تبرز عنها بنفور بسيط. وقد سادت الرسوم والأشكال الهندسية والنباتية المنمّقة الأسلوب في الخزف والقاشاني العباسي، وتطعّمت بالخطوط والكتابات العربية، ومن شواهد هذا الأسلوب المتقن زبدية يضمّها متحف دمشق الوطني، عليها كتابات تقول: إنها صنعت في

الفنان الإيراني أحيا تقنيةً خزفيةً مصريةً تُعرف بعجينة الفريت Frit، هذه التقنية أعطت الفنان قدرةً تشكيليةً أوسع، ثم جاء أسلوب الرسم تحت طلاء الترجيج

الأطباق والصحون والزهريات الخزفية ذات البريق المعدني المصنوعة في بلنسية والمزينة بشارات النبل أصبحت رموزاً لارتفاع المكانة الاجتماعية يتمناها الجميع





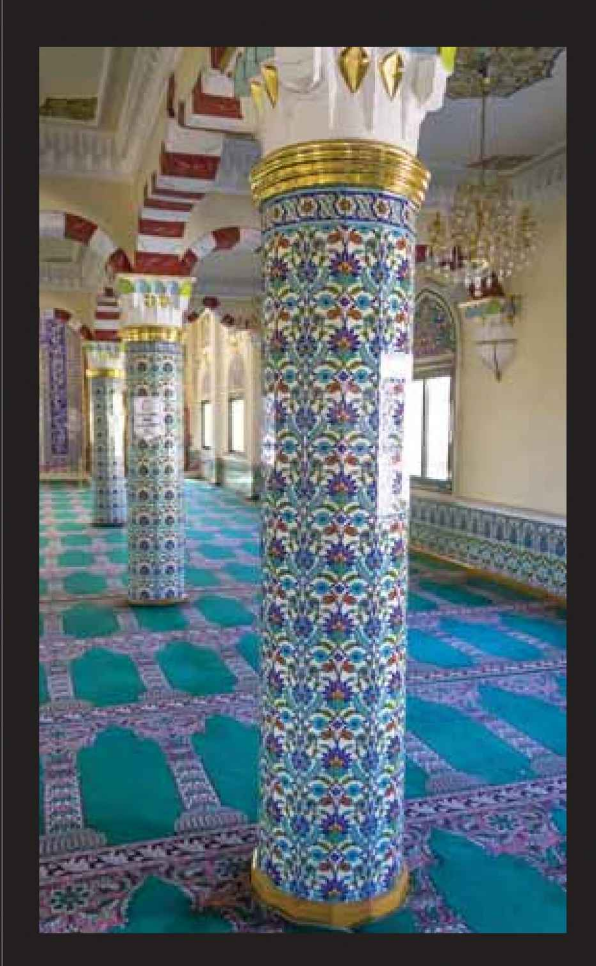
المؤثرات الفنية الخاصة بأساليب الزخرفة، التي نشـأت في الشـرق الإسلامي، ثم تطـورت فـي الأندلـس، أُضيفت إليها تحسـينات جديدة في المراكز الصناعية الإيطالية المختلفة

الحيرة بين النهرين، وتحمل خصائص تشكيلية تكاملت فيها القيمة الجمالية والدلالية بالقيمة الوظيفية، وهي سمة عامة تنسحب على الفنون الإسلامية بجميع أشكالها وضروبها، خصوصاً التي اعتمدت على معطيات الخط العربي وقدراته التشكيلية والدلالية المتفردة في زخرفتها وتنميقها وتزويقها.

مراكز فنية

أُنتج أغلب الخزف العباسي في سوسة وسامراء، وفي وقت مبكر في الحيرة، وهو خزف إسلامي قلباً وقالباً، ويعتقد أن سوسة وسامراء هما أول من أنتجه بصيغة راقية؛ بغية إرضاء أذواق الخلفاء العباسيين المرفهة، ثم تحت رعاية الخلفاء الفاطميين الذين جاروهم في الذوق والرفاهية. كما كانت الرقة في سورية من أهم المراكز التي أنتجت الخزف والقاشاني في العصور الإسلامية المبكرة، وكانت لهذه المراكز صلات كثيرة مع المراكز الأخرى في البلاد العربية والإسلامية، وقد حافظت الرقة على دورها الريادي في إنتاج هذه الحرف والصناعات والفنون إلى أن دمّرت على يد المغول عام ١٢٥٩م[٧].

وفي الأندلس ذاعت شهرة الخزف المالقي، كما ظهر الزليج (زليخو)، وهو طلاء خزفي. لكن صناعة الزجاج في العهد الفاطمي بلغت شأواً عالياً في مصر وسورية، وأهم ما فيها الزجاج برسم البريق المعدني وألوان الميناء، واستخدم الزجّاجون أطباقاً من الألوان المائلة إلى الخضرة أو الحمرة. وفي المتاحف العالمية نماذج من الزجاج الفاطمي المُحلّى برسوم نافرة ملوّنة بحيوانات أو زخارف نباتية، وثمة زجاج مذهّب ومطليّ بالميناء كانت دمشق وحلب من أهم مراكز صناعته. ويذكر القزويني (١٢٠٣- ١٢٨٣م) تقدّم صناعة هذا الزجاج، ويصف ما في أسواق دمشق من أكواب وأوانٍ بديعة. وقد انتقلت مصنوعات دمشق إلى أسواق القاهرة، ومنها إلى العالم كله. وهكذا حملت صناعة الزجاج اسم دمشق غالباً، ومن أبهى المصنوعات



الفنـون الإسـلامية لا تعبّـر عن مشـاعر الفنان الذاتية في كثير من الأحيان، بل هي تقوم على أسس وعناصر تترجم فلسفةً جماليةً خاصةً عبّرت عن علاقة روحية بالله وبالطبيعة

لوحـات القاشـاني تتألّف من مجموعة ألواح أو بلاطات متعددة الأشكال والقياسات تُرصف معاً بشـكل مدروس فتؤلـف منظراً عاماً مشكّلاً من رسوم وزخارف وتشكيلات هندسية

الزجاجية (المشكاة) التي تحمل دائماً اسم دمشق، مع أن بعضها كان يُصنع في القاهرة في عهد الملك بيبرس والناصر قلاوون[٨].

ثورة في فن الزجاج

وكان لفنّ الزجاج دور مهم، تمثّل في اختراع تقنية جديدة تقضي بتذهيب الزجاج وطلائه بالميناء. ومن المعروف أن صناعة الزجاج قديمة جداً؛ إذ ترجع إلى زمن المصريين القدماء؛ فقد عثر المنقّبون في قبور الفراعنة، مثل تحتمس الأول، التي تعود إلى ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد، على أقدم نماذج من الزجاج، لكن اختراع تقنية نفخ الزجاج في القرن الأول من الميلاد في الحوض الشرقي من المتوسط أحدث ثورةً في تاريخ هذا الفن؛ إذ مكّن من إنجاز أوانٍ زجاجية متفاوتة الأحجام والأشكال، وقد عرف هذا الفنّ انتشاراً واسعاً خلال مدة الإمبراطورية الرومانية. أما في العالم العربي الإسلامي، فإن أجمل الأواني





استعمال التذهيب فوق الطلاء أو الحفر والتخريم والمينا مثّل دقةً ومهارةً فائقةً عند الفنان المسلم؛ إذ تمكّن من تحويل قطع الخزف إلى لوحات فنية

الفنّ الإسلامي عرف أنواعاً متعددة من الزجاج والبلور، استعمل الفنان المسلم في صناعتها أكثر من أسلوب صناعي؛ مثل: القالب، والنقع، والقطع

الزجاجية مصنوعة في مصر وسورية، وهي منجزة خلال الحكم الأيوبي، ثم المملوكي. وتعود أهمية هذه المرحلة إلى توصّل معلّمي الزجاج في المدن السورية؛ مثل: دمشق، وحلب، والرقة، إلى اختراع تقنية حرفية جديدة مكّنتهم من تذهيب الزجاج كما ذكرنا من قبل، واستعمال مواد الميناء الملونة بصورة مغايرة لم نعهدها من قبل في الحضارات السابقة. وتقضي هذه التقنية بوضع المينا، وهو على شكل بُدرة، بواسطة ريشة على سطح الزجاج، وفي الوقت نفسه بالإمكان تذهيب الزجاج بواسطة ورقة ذهبية أو غُبار ذهبي يلتصق بالزجاج بواسطة الزئبق، وتقتضي هذه التقنية الجديدة أيضاً أن يسخن الزجاج في الأفران الخاصة مرتين: الأولى إلى أن يتم الحصول على الشكل المراد للآنية، والثانية إلى أن يلتصق الذهب والمواد الملونة.

فن التذهيب

يمثّل استعمال خامات غالية؛ كالذهب والفضة، في طلاء هذا الخزف الذي عُرف بالبريق المعدني، صفةً خاصةً انفرد بها الخزف الإسلامي. كما مثّل استعمال التذهيب فوق الطلاء أو الحفر والتخريم والمينا دقةً ومهارةً فائقةً عند الفنان المسلم؛ إذ تمكّن من تحويل قطع الخزف إلى لوحات فنية أبدع فيها بدرجة إبداعه نفسها في المخطوطات واللوحات المنفصلة. وكان كلّ ما يستعمله الإنسان المسلم في حياته اليومية من فناجين وأقداح وكؤوس وصحون وسلاطين وأكواب

وأباريق ومسارج وسائل لإثارة إعجابه ودهشته وبهره. وترجع أقدم النماذج العربية المعروفة من الزجاج المذهّب والملوّن إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، وهي مصنوعة في سورية التي كانت مدنها -كما مرّ بنا- من أشهر مراكز فنون الزجاج في العالم. ومن هذه النماذج كأس موجودة حالياً في متحف مدينة شارتر الفرنسية، تتميّز بزينتها المستندة إلى أشكال هندسية صافية ملوّنة بالأزرق، تتوّجها عبارات ذهبية مكتوبة بخط النسخ، وهي تغطي الكأس من كلّ الجهات.

وأنتج فنّانو الزجاج السوريون خلال القرن الثالث عشر الميلادي نماذج جميلةً موزّعةً على أشهر متاحف العالم، منها قنّينة صغيرة مصنوعة في حلب نحو عام ١٢٥٠م، وهي من مجموعة المتحف البريطاني، وترجع أهميتها إلى اعتمادها أكثر من ثمانية ألوان مختلفة من المينا، وهو ما يجعلها تحفةً فنيةً في تاريخ فنّ الزجاج في العالم.

إعجاب أوربي

ونلاحظ -إضافةً إلى تنوّع أشكال الأواني الزجاجية وأحجامها- تنوّع الصور المرسومة عليها؛ فبعض الكؤوس -مثلاً- حوت رسوماً شبيهة - إلى حدٍّ كبير - برسوم المخطوطات المعاصرة لها، ومنها كأس من مجموعة متحف والتر جاليري للفنون في مدينة بالتيمور بالولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ تُشاهد عليها رسوم لأبنية تعلوها القباب الملونة بالأزرق والأحمر، وتطلّ من نوافذ تلك الأبراج تارةً وجوه بشرية، وتارةً أخرى مصابيح ملوّنة ومعلّقة في أعلى كلّ نافذة. وتختصر رسوم هذه الكأس جمالية فنّ التصوير الإسلامي، من حيث رفضها مبدأ المحاكاة الطبيعية والتجسيم، مؤكدةً التسطيح، وإلغاء مبدأ البُعد الثالث، وهي صفات جمالية نادى بها الفنّانون الغربيون المحدثون منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومنهم الفنان الفرنسي الشهير ماتيس، الذي تأمّل طويلاً في الفنون الإسلامية، وأعلن إعجابه بها، حتى إنه لم يتردّد في الذهاب خصيصًى إلى مدينة ميونيخ عام ١٩٠٦م لمشاهدة معرض خاصّ عنها، وهي تأمّلات نجد صدًى مباشراً لها في لوحاته[٩].

لاقى نوع آخر من الأواني الزجاجية رواجاً كبيراً في تلك الحقبة، إنها المصابيح الملونة والمذهبة التي كانت تُعلّق في سقوف الجوامع بواسطة السلاسل، وهي تعتمد على شكل واحد، وكانت تزيّن بكتابات تعتمد على خط الثلث المملوكي، وتضم آيات قرآنية وتعبيرات تمجّد السلطان؛ مثل: «عزّ لمولانا السلطان الملك العادل»، وإلى جانب الخط كان تُرسم على تلك المصابيح أيضاً الفروع النباتية والأزهار، ومنها زهرة اللوتس، وشعارات السلاطين المماليك، مثل الكأس.

عرف الفنّ الإسلامي -إذاً- أنواعاً متعددة من الزجاج والبلور، استعمل الفنان المسلم في صناعتها أكثر من أسلوب صناعي؛ مثل: القالب، والنقع، والقطع، وغيرها. كما كتب في بعض الأحيان أسماء الخلفاء بخطّ كوفي جميل، ومن أبرزها ما وصلنا من مشكاوات زجاجية مزخرفة بالمينا كانت تستخدم لإضاءة المساجد، وكان الفنان يبذل جهداً كبيراً في توزيع المساحات توزيعاً جمالياً، وتوزيع الألوان؛ فتنعكس على المكان، وتجعل منه بوتقةً للألوان المختلفة؛ لبهر الداخل إلى المكان وإثارة إعجابه.



الهوامش والمراجع

(١) عفيف البهنسي، جمالية الفن العربي، ص١٩٧، ١٩٨.

(٢) أوليفر واطسون، كنوز الفن الإسلامي، ترجمة: غادة حجاوي قدومي، نشر: فليب ويلسون، لندن، ص٢٦.

(٣) أ. و. فروتنجهام A. W. Frothingham الأواني الخزفية الإسبانية ذات البريق المعدني، نيويورك، عام ١٩٥١م.

(٤) ب. راكهام B. RAKHAM، دليل الخزف الإيطالي، ص١، ٢، ٨٢، لندن، عام ١٩٣٣م.

(٥) ريتشارد إتنجهاوزن، أثر فنون الزخرفة عند المسلمين في الفنون الأوربية، تراث الإسلام، ج١، عام ١٩٨٨م، ص٤٦٨.

(٦) من أهم هذه القطع قطعة فنية مهمة وأثيرة ومعروفة لدى المهتمين بالفنون الإسلامية، حتى إن أحدهم جعل لها كتاباً برمته صدر منذ عدة سنوات في باريس، وهي طاسة كبيرة من مجموعة اللوفر، كانت تستعمل في عمادة ملوك فرنسا، واستعملت في عمادة أحد أمراء أسرة نابليون عام ١٨٥٦م. وتعود شهرة هذه الطاسة إلى الشخصيات الكثيرة والرسومات المنقوشة التي تزيّنها، والتي صُنعت بشكل دقيق وجميل، وعليها توقيع الفنان محمد بن الزين، الذي أبدعها. انظر: أوراس مخلوف، فنون الزجاج والخزف المعدني، مجلة الوحدة، العدد ٥٦، بيروت، مايو ١٩٨٩م.

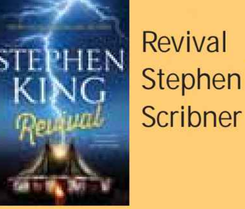
(٧) محمود شاهين، الخزف والقاشاني الإسلامي، مجلة الفيصل، العدد ٣٢، الرياض، إبريل عام ٢٠٠٣م.

(٨) عفيف البهنسي، جمالية الفن العربي، ص١٩٩.

(٩) أوراس مخلوف، فنون الزجاج والخزف والمعادن، مجلة الوحدة، ص١١٧.

أكثر الكتب رواجاً في سـبتمبر وأكتوبر ٢٠١٤م

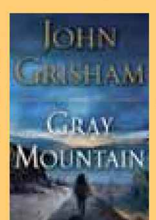
ببلشـرز ويكلي
PUBLISHERS WEEKLY



Revival
Stephen King
Scribner

الكتاب: الإحياء
المؤلف: إستيفن كنج
الناشر: إسكربنر

يفقد أحد القساوسة عائلته في حادث مروري، فيفقد إيمانه، وينخرط في بحث مجنون عن سرّ الكهرباء، بوصفها مدخلاً لاستكناه سر الوجود



Grey Mountain
John Grisham
Doubleday

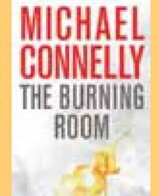
الكتاب: الجبل الرمادي
المؤلف: جون جريشام
الناشر: دبلداي

تعالج الرواية الهوة القائمة بين الأعمال المكتبية الروتينية والحياة الواقعية بكلّ شرورها وأهوالها.

Dreamers and Deceivers
Glenn Beck
Threshold

الكتاب: الحالمون والمخادعون
المؤلف: جلين بيك
الناشر: ثرشهولد

قصص حقيقية للأخيار والأشرار، الذين ساهموا في تشكيل خريطة التاريخ الأمريكي.



The Burning Room
Michael Connelly
Little Brown

الكتاب: الغرفة المحترقة
المؤلف: مايكل كونللي
الناشر: ليتل براون

معالجة موسوعية حاذقة لتداخل الإعلام والجريمة وفساد السياسيين والشرطة في لوس أنجلوس.

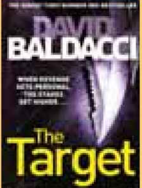
صنداي تايمز
THE SUNDAY TIMES



Gone Girl
Gillian Flynn
Phoenix

الكتاب: البنت التي ذهبت
المؤلف: جيليان فلين
الناشر: فونيكس

أكثر الروايات رواجاً الآن في كلّ أنحاء العالم، وقد حُوِّلت إلى فلم تألّق فيه بن أفليك وروزامند بايك.



The Target
David Baldacci
Pan Books

الكتاب: الهدف
المؤلف: ديفيد بلداشي
الناشر: بان بوكس

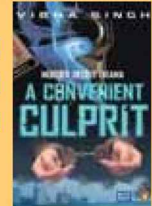
يسأل الكاتب هل كان وقت القتل هو وقت الموت نفسه.



The Humanities Crisis
Paul Jay
Palgrave

الكتاب: أزمة العلوم الإنسانية
المؤلف: بول جي
الناشر: بلجريف

يرى الكاتب أن أزمة العلوم الإنسانية تعبّر عن أهمية الجانب النفعي لهذا النوع من العلوم.



A Convenient Culprit
Vibha Singh
Penguin India

الكتاب: الجاني المناسب
المؤلف: فبها سينغ
الناشر: بنجوين الهند

لمحة إلى الصراعات التي لا تعرف الرحمة في قلب المجتمع الهندي حول الثروة والجاه والمكانة الاجتماعية.

يعرّف هذا الباب بالقوائم الصادرة عن مجلات ودوريات وصحف ودور نشر عن أكثر الكتب انتشاراً كلّ شهر أو شهرين حسب سياسة كلّ مؤسسة. وبدءاً من هذا العدد ستزوّد (الفيصل) القارئ بأهم الآثار الروائية وغير الروائية التي وجدت طريقها إلى إحدى القوائم المذكورة. ومع أن هذه القوائم تغلب عليها الأعمال الغربية إلا أنها تضم أحياناً بعض الأعمال المنقولة عن لغات أخرى؛ لأن المعيار الأساسي لترتيب الكتب وتصنيفها هو عدد النسخ المبيعة فعلياً، المرصودة ليس من مالك حقوق الطبع فقط، وإنما من سلطات مراقبة الدخل والضرائب في كلّ دولة.

ليبراري جورنال
LIBRARYJOURNAL

الكتاب: مدينة الجنادل
المؤلف: كريج ديفيدسون
الناشر: جري وولف

Cataract City
Craig Davidson
Gray Wolf

يحكي الكتاب عن مدينة مهدّدة بالخروج عن مساراتها الطبيعية، والانزلاق نحو الجريمة.

الكتاب: مدن مدهونة
المؤلف: ألكسيا بودذوذسكي
الناشر: ماك إسويني

Painted Cities
Aalexia Budziszwski
Mac Sweeny

قصة باريو، التي تقع قرب شيكاغو، وتمثّل مسرحاً للحداثة والجريمة المنظّمة، وفي الوقت ذاته تمثّل أرضاً خصبةً لمهاجر صغير يدّعي القدرة على التعامل مع الموتى.



الكتاب: نحن والنظام الشمسي
المؤلف: كريس نورث
الناشر: بيجاسس

How To Read The Solar System
Chris North
Pegassus

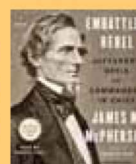
يعدّ هذا الكتاب دليلاً جديداً للمهتمين بعلم الفلك، والفهم العميق لنظام مجموعتنا الشمسية.

الكتاب: لآلئ السماوات الجنوبية
المؤلف: أوك سلوتجراف
الناشر: فايرفلاي

The PEARLS OF THE SOUTHSERN SKIES
Auke Slotegraaf
Firefly

الكتاب هو حصيلة جهود طويلة لعلماء من جنوب إفريقية رصدوا درب التبانة ومجموعة النجوم الرئيسة من مواقع جنوب خط الاستواء.

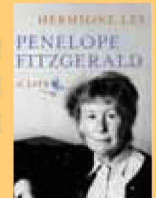
نيويورك تايمز
The New York Times



الكتاب: المتمرّد المُحاصر
المؤلف:جيمس ماكفيرسون
الناشر: بنجوين

The Embattled Rebel
James Mac- Pherson
Penguin Press

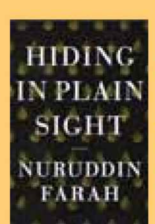
يحكي الكتاب قصة جفرسون ديفس أحد أهم قادة التمرد ضد لنكولن ومعارضي تحرير الرقيق، والداعين إلى إقامة دولة مستقلة في الجنوب الأمريكي.



الكتاب: بنيلوب فيتزجرالد
المؤلف: هرميون لي
الناشر: كينوف

Penelope Fitzgerald
Hermion Lee
A. Knopf

آخر محاولة لتقديم سيرة الكاتبة البريطانية بنيلوب فيتزجرالد، التي نُشرت لها رواية بعد أن بلغت الستين من العمر، واشتهرت بعد تجاوزها الثمانين.



الكتاب: الاختفاء في وضح النهار
المؤلف: نور الدين فرح
الناشر: ريفرهيد بوكس

Hiding in Plain Sight
Nuruddin Farah
Riverhead Books

هذه الرواية عن الإرهاب في الصومال، الذي أرغم الآلاف على البحث عن الأمان في كلّ أركان الدنيا، أو ما يسميه الكاتب: الاختفاء جهاراً نهاراً عن ذواتهم.

الكتاب: قوة العادة
المؤلف: تشارلز دوهيج
الناشر: راندم هاوس

The Power of Habit
Charles Duhigg
Random

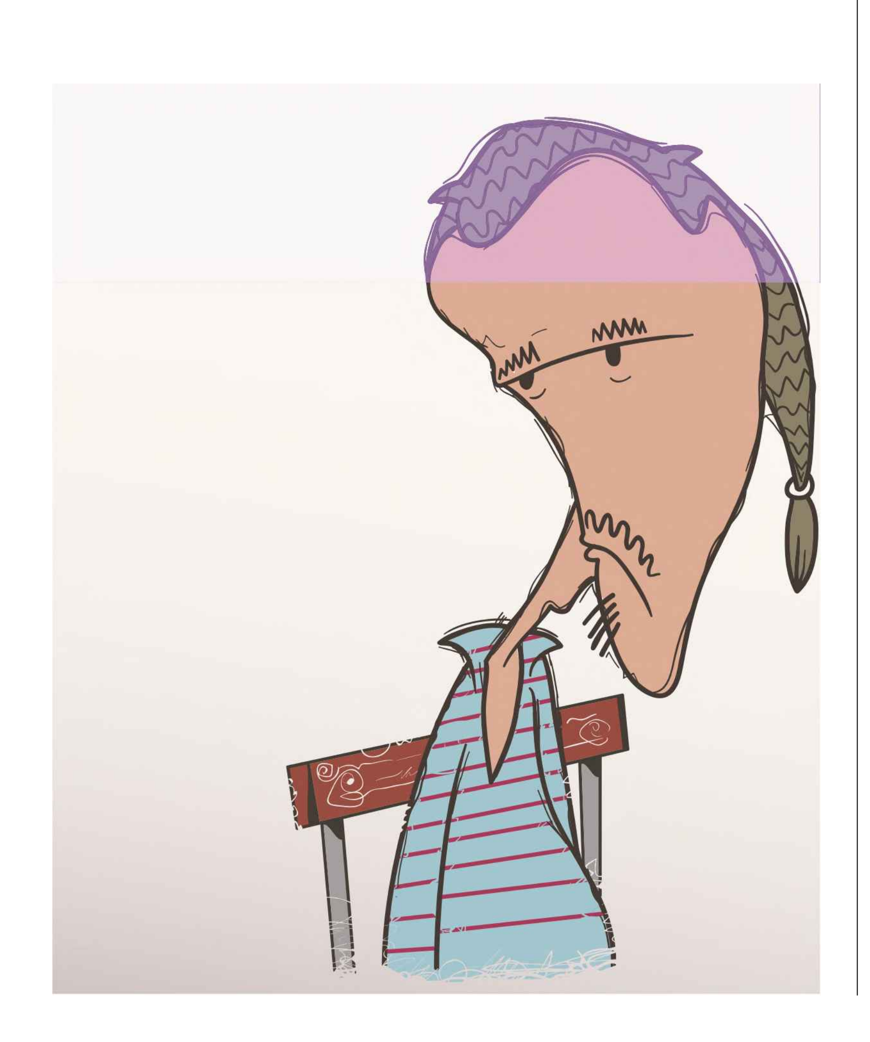
دراسة علمية لآليات العادة: كيف تنشأ؟ وكيف يمكن تجاوزها؟.

الرمل

.. الآن في أقصى نهايات النهاية
والمدى قفرٌ
ولا معنى لصحراء المتاهة غير هذا
الرمل
في حالاته الأولى
رخواً.. رماداً
مستغرقاً في التيه

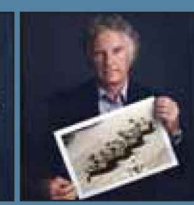
***

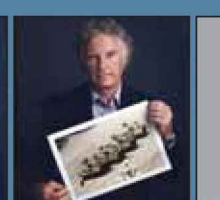
.. الآن في أقصى نهايات النهاية
تجتاحني ريح رمادية
ويغمرني غبار فادح
وأكون في منفاي وحدي
وحدي تماماً
تلوح لي في الأفق ذاكرة الأسى
والأولين
لكنني وحدي هنا
ولستُ معنياً بترميم العلاقة بين
أندلس الغياب وجنة المنفى
ولستُ معنياً بما يرضي الصديق
وما يثير حفيظة الأعداء
فلا سواي الآن في هذا السديم
اللانهائي
المنتشي بغواية النسيان
والممتد من أرض الهنا.. حتى هناك
من الولادة حتى آخرة الهلاك
حيث المدينة أمعنت في غيّها
وتدثّرت بالرمل في حالاته الأولى
رخواً.. رمادياً
مستغرقاً في التيه
.. أنا لستُ معنياً بشيء غير أشيائي
أسئلتي القديمة والجديدة والقريبة والبعيدة
وما تبقّى من ضلالات القصيدة



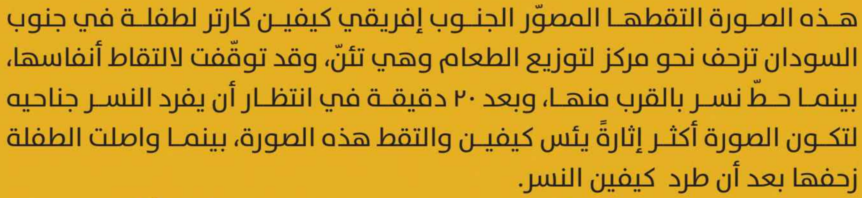






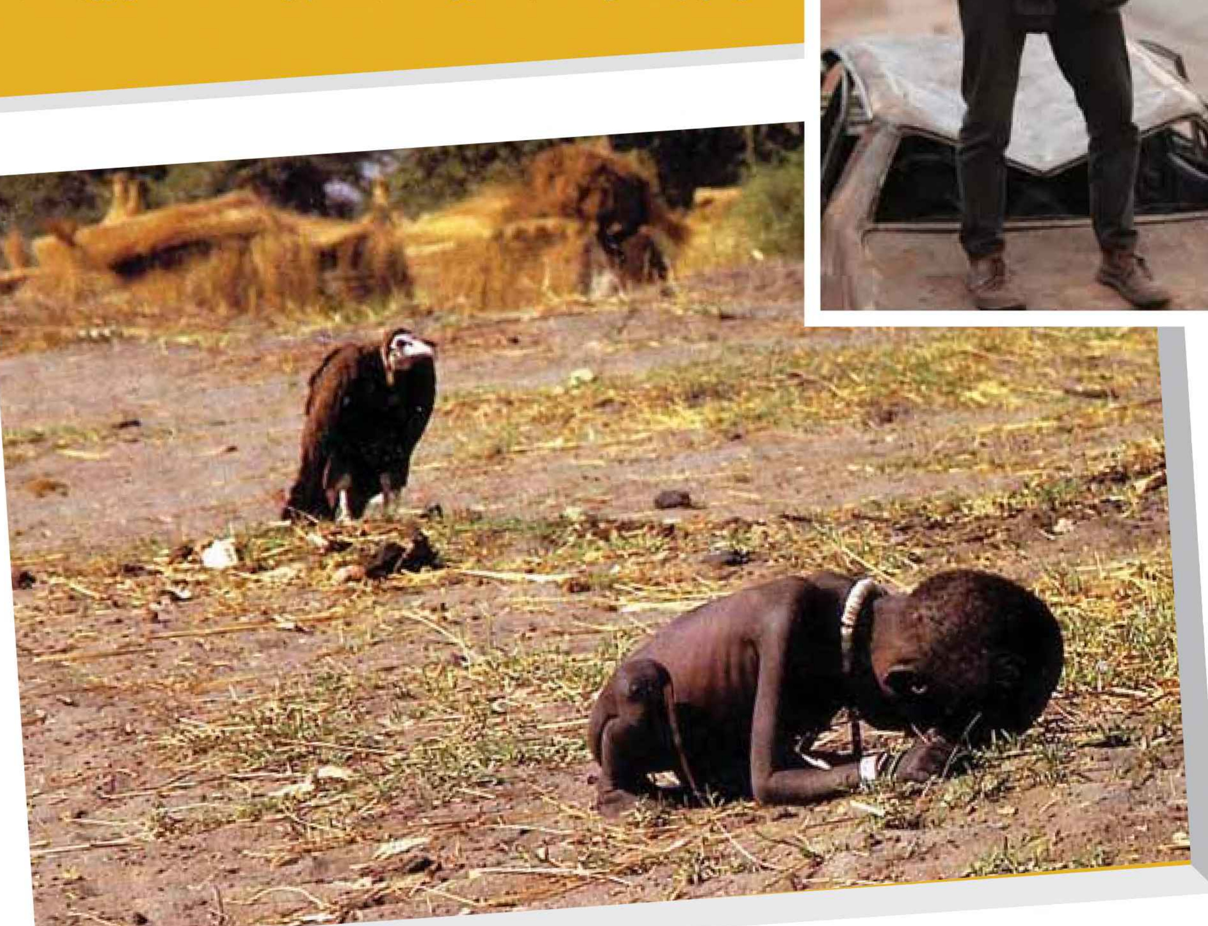


كيفين كارتر



هـذه الصـورة التقطهـا المصوّر الجنـوب إفريقي كيفيـن كارتر لطفلـة في جنوب السودان تزحف نحو مركز لتوزيع الطعام وهي تئن، وقد توقّفت لالتقاط أنفاسها، بينمـا حـطّ نسـر بالقرب منهـا، وبعد ٢٠ دقيقـة في انتظـار أن يفرد النسـر جناحيه لتكـون الصورة أكثـر إثارةً يئس كيفيـن والتقط هذه الصورة، بينمـا واصلت الطفلة زحفها بعد أن طرد كيفين النسر.

انتحـر المصوّر، الـذي نال جائزة بوليتزر للتصوير الصحفي، بعد ثلاثة أشـهر من نيل الجائزة، بعد أن عبّر عن عجزه عن مساعدة من يحتاجون إلى العون، وهو الذي عاصر فظائع التمييز العنصري في بلاده، وكان أوّل من قام بتصوير أسلوب الإعدام علناً بالحـرق Necklacing في جنوب إفريقية في أواسـط الثمانينيات، وكان المعدوم هو الرجل الأسود ماكي سكوزانا الذي اتُّهم بإقامة علاقة مع زوجة ضابط شرطة.



Kevin Carter

حسين حسن حسين | هيئة التحرير

أطباء بلا حدود..

منظّمة «أطباء بلا حدود» كيان فرض وجوده على مستوى العالم بالمبادئ الإنسانية التي يتمسّك بها، وهي الحيادية، وعدم التحيّز، والاستقلالية. كانت انطلاقة هذه المنظّمة في سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م من خلال مبادرة قادها أطباء وصحفيون شعروا بمعاناة الإنسان في صراعات ونزاعات قد لا يكون له يد فيها، وإن كان يكتوي بنيرانها، ويعيش مآسيها، وفي حالات كثيرة لا يجد من يعينه.

الإنسانية بلا حدود



المنظمة تؤدي عملها الإنساني بحيادية تامة، وتقدّم مساعداتها إلى كلّ محتاج من دون أيّ تمييز بسبب الجنس أو العرق أو اللون أو المعتقد الديني

مبادئ المنظمة

تركّزت مهمة هذه المنظمة في المساعدات الطبية الطارئة، مع نقل مشاهد المعاناة الإنسانية، وإعلانها للعالم؛ حتى يتفاعل معها، ويسعى إلى وضع حدٍّ لها. وتحتفظ المنظمة، وهي تؤدي عملها الإنساني بالحيادية التامة؛ فهي لا تدخل طرفاً في أيّ نزاع، وتقف على مسافة واحدة من كلّ الأطراف المتصارعة، وتقدّم مساعداتها الإنسانية إلى كلّ محتاج من دون أيّ تمييز بسبب الجنس أو العرق أو اللون أو المعتقد الديني. وضماناً للحيادية وعدم التحيّز فإنها تمنع منعاً باتاً السلاح في مرافقها، والمسلحون الذين في حاجة إلى خدماتها عليهم أن يتركوا أسلحتهم خارج المستشفى داخل صناديق مغلقة؛ ليأخذوها عند خروجهم. وحفاظاً على استقلاليتها، تحرص المنظمة على الاستقلال المالي، الذي يضمن البعد من أيّ ضغوط سياسية؛ لذلك يعتمد تمويلها على المتبرّعين من القطاع الخاصّ أو الأفراد أو تبرّعات الجهات الخيرية في العالم. وتلتزم المنظمة الشفافية في أدائها، وتصدر كلّ عام تقارير مفصّلةً عن أنشطتها، مع التقارير المالية الدقيقة التي تبيّن مصادر الدخل، وأوجه الصرف.

المكاتب وفريق العمل

توجد للمنظمة مكاتب في ١٩ بلداً، وتتوزّع مشروعاتها في ٦٥ بلداً، ولها خمسة مراكز لإدارة عمليات الإغاثة تتحكّم بشكل مباشر في المشروعات الميدانية، وتحدّد المساعدات اللازمة، ومكانها، وزمانها، والمدة التي تستغرقها برامجها. وتتّحد أدوار المكاتب الأخرى في توظيف المتطوعين،

وجمع التبرعات، ومساندة الشعوب التي تتعرض للخطر وتعيش المعاناة. يتكون الفريق الميداني للمنظمة من أطباء، وممرضين، وإداريين، وعلماء في الأوبئة، وتقنيي مختبرات، واختصاصيين في الصحة العقلية والنفسية، وخبراء في الخدمات اللوجستية والمياه والصرف الصحي. ولأهمية معرفة بيئة العمل، تحرص المنظمة على أن يكون أغلب أعضاء الفريق الميداني من الموظفين المحليين في البلدان التي تقع فيها الأزمات، على أن يكونوا من المحايدين الذين لا علاقة لهم بأطراف الصراع، ولا يتجاوز الفريق الدولي نسبة ١٠٪ من مجموع الموظفين.

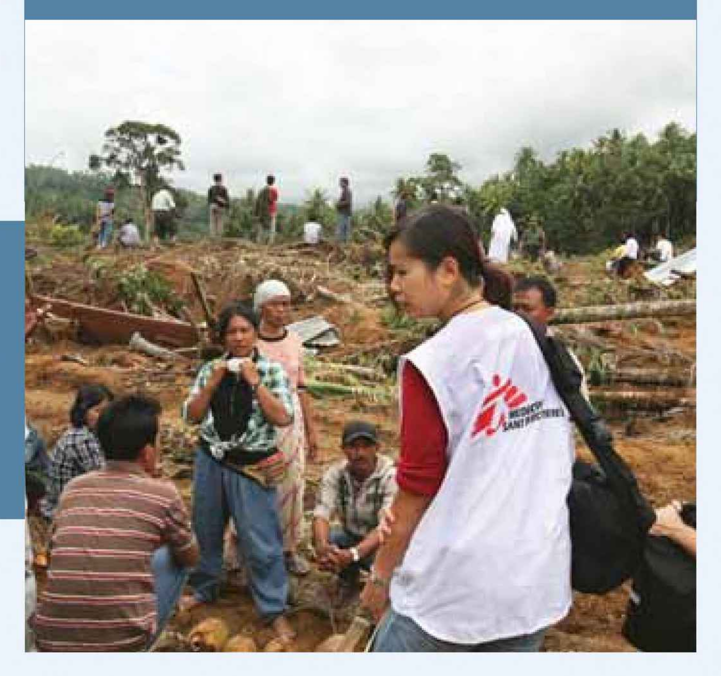
أعمالها تتحدث عنها

استطاعت منظمة (أطباء بلا حدود) أن تكون رصيداً كبيراً من العمل الإنساني تميّز بكونه ملموساً ويتابعه العالم. ويبدو من الصعب حصر الأعمال الجليلة التي قامت بها المنظمة، لكن بعض النماذج يعطي صورةً عنها، وعن مسيرتها في خدمة الإنسان أينما كان ما دام في حاجة إلى عون.

سياسة النفس الطويل في علاج الأوبئة

تمثّل محاربة الأوبئة جزءاً مهماً من نشاط المنظمة، وقد قامت بدور كبير في مواجهة أوبئة: الكوليرا، والتهاب السحايا، والحصبة، والملاريا، وغيرها من الأمراض المعدية في كثير من أنحاء العالم. وجاء فيروس نقص المناعة الطبيعية (الإيدز) ليشكّل تحدياً كبيراً في القرن الماضي، وشاركت المنظمة في البحث عن علاج لهذا المرض الفتاك، وعلاج المصابين به، والتوعية بخطورته. ومن الأوبئة التي شاركت المنظمة في مكافحتها داء السلّ الذي يفتك بالمصابين بالإيدز. وتتمتّع المنظمة بالنفس الطويل في علاج الأمراض والأوبئة؛ فعلى سبيل المثال: تسهم في إيجاد أدوية الخط الثاني في حال اكتساب الفيروسات المسببة

المنظمة تحرص على الاستقلال المالي، الذي يضمن البعد من أيّ ضغوط سياسية؛ لذلك يعتمد تمويلها على المتبرعين من القطاع الخاص أو الأفراد







المناعة ضد أدوية الخط الأول، مثل تحسين وسائل تشخيص داء السل وعلاجه بعد أن ظلّ البحث في هذا المجال مهملاً منذ ستينيات القرن الماضي. وتسهم المنظمة في علاج الأمراض المهملة، مثل: الكالازار (داء الليشمانيات)، ومرض النوم (داء المثقبيات الإفريقي)، ومرض شاغاس، وهذه الأمراض لا تجد اهتماماً كبيراً مع أنها تصيب كثيرين في دول فقيرة، ولا يجدون العلاج، فتنتهي حياتهم تحت وطأة أحد هذه الأمراض. وقد أطلقت المنظمة في عام ١٩٩٩م مبادرة توفير الأدوية للأمراض المهملة (DNDi)، واستقطبت في سبيل ذلك نخبةً من الباحثين والأطباء وشركات المستحضرات الصيدلانية؛ ليعملوا على اكتشاف وسائل بديلة لتطوير الأدوية. كما تبنّت في عام ٢٠٠٧م مبادرة بالتعاون مع شركة سانوفي- أفنتيس لإيجاد دواء فعال وسهل الاستخدام لعلاج داء الملاريا.

الأغذية الجاهزة لعلاج سوء التغذية

قادت المنظمة ثورةً حقيقيةً في علاج سوء التغذية من خلال تبنّيها الأغذية الجاهزة لعلاج الأطفال الذين يعانون هذه الحالة، وبلغ عدد الذين استفادوا من هذه المبادرة في عام ٢٠٠٦م ١٥٠ ألف طفل. وهذا الغذاء عجائن مكوّنة من الحليب المكثف بالمواد الغذائية والفول السوداني، ومعزّزة بالأملاح المعدنية والفيتامينات والمواد الغذائية التي يحتاج إليها الأطفال في مرحلة النمو السريع، وهو يغني عن وجود الأطفال في المستشفى؛ مما يوسّع نطاق العلاج، ويجعله في متناول عدد كبير من الأطفال. وتظهر بجلاء أهمية هذا العلاج إذا أدركنا أن هناك ٢٠ مليون طفل يعانون يومياً سوء التغذية الحادّ حسب إحصائيات اليونيسيف.

المنظمة تدرك أنها تعمل في ظروف استثنائية تتطلّب جاهزيتها لمواجهة هذه الظروف؛ لذلك أنشأت قسماً خاصاً للدعم اللوجستي والطبي



الكوارث الطبيعية

مع أن العمل في أمكنة الكوارث الطبيعية لا يتعدى ٥٪ من نشاط المنظّمة إلا أنها عالجت أوضاعاً إنسانيةً سيئةً في عدد من الدول التي عانت الزلازل، والفيضانات، والأعاصير، وغيرها، كما حدث في باكستان، والهند، والمكسيك، وبنجلاديش، وميانمار، وغيرها. وتعود محدودية نشاط المنظمة في نطاق الكوارث الطبيعية إلى أن الاحتياجات الأساسية تكون في أغلب الأحيان محصورةً في إعادة الإعمار والتطوير.



الرعاية الصحية حقّ للجميع

ترفع المنظمة هذا الشعار وهي ترصد معاناة فئات كثيرة في العالم بسبب الحرمان من الرعاية الصحية اللازمة، ومن هذه الفئات أطفال الشوارع، والمهاجرون غير الشرعيين، والأقليات، والمشرّدون، واللاجئون، والسجناء، والعاطلون عن العمل، والأشخاص المصابون بالإيدز أو داء السل، ومدمنو المخدرات، وغيرهم. ولا يقتصر هذا الحرمان على مواطن الصراع والأزمات، وإنما يشمل أيضاً مجتمعات مستقرة تمارس الإقصاء من الرعاية الصحية على بعض هذه الفئات. وتقوم الفرق الطبية التابعة للمنظمة بتقديم خدمات الرعاية الصحية والاجتماعية بالتنسيق مع السلطات المحلية ومنظمات المجتمع المدني.



التكيّف مع الواقع

تدرك منظمة (أطباء بلا حدود) أنها تعمل في ظروف استثنائية تتطلّب جاهزيتها لمواجهة هذه الظروف؛ لذلك أنشأت قسماً خاصاً للدعم اللوجستي والطبي، يقوم بالابتكار والتطوير، وكان من نتاج هذا التوجه تطوير معدات وتجهيزات طبية تسمح للفرق الميدانية بالقيام بعمليات العلاج والإنقاذ في الميدان فوراً، بل قامت المنظمة بابتكار غرفة عمليات جراحية كاملة، وأجهزة لتشخيص الأمراض والأوبئة بطريقة فعالة، وتقديم العلاج اللازم للمرضى في أسرع وقت ممكن؛ فعلى سبيل المثال: يختصّ إيبيسنتر **Epicentre**، وهو فرع تابع للمنظمة، بالبحوث العلمية للأوبئة، ويساعد الفرق الميدانية على فهم الاحتياجات الطبية والغذائية، وتحسين وسائل العلاج، وتطوير مبادرات الرعاية الطبية العالية الجودة.

مع دور المنظمة الإنساني الذي يشهد به العالم إلا أن منسوبيها يتعرّضون لمخاطر القتل والإصابة في مواطن الصراع

ومع الدور الإنساني لهذه المنظمة الذي يشهد به العالم إلا أن منسوبيها يتعرّضون في بعض الأحيان لمضايقات كثيرة من عدة جهات؛ فهم عرضة للقتل والخطف والإصابة في مواطن الصراع، ومع هذا يمضون في عملهم إيماناً برسالتهم، بل هناك متطوعون يتحمسون للعمل تحت مظلة المنظمة، وهم يدركون تماماً صعوبة مهمتهم ومخاطرها الجمة، ويعرفون أنهم لا يستطيعون المطالبة بأيّ تعويض غير ما تقدّره المنظمة، التي حملت العالم على احترامها وتقديرها بأدائها المتميز، والروح الإنسانية التي تلهم كثيرين وتحمّسهم للسير في دروب الخير والعطاء للإنسانية بلا أيّ تمييز.



■ أثار مصطلح الخط السوداني جدلاً بين الباحثين الغربيين الذين كتبوا في الخط العربي منذ أن ابتكر هذا المصطلح المستعرب الفرنسي أكتاف هوداس في بحثه الذي نشره عام ١٨٨٦م تحت عنوان: Essai sur L'Ecriture Maghrebine[1].

وقد ميّز هوداس الخط السوداني من غيره بثخانته ويبوسته؛ فحروفه أكثر ثخانةً من حروف الخطوط الأخرى، وتمتاز بلونها الأسود الأدكن، وتراوح بين الدقة والثخانة، والجرات العمودية أدقّ من الجرات الأفقية المبسوطة، وفيه مبالغة في الحركات وضبط الحروف بالشكل، وتنساب الحروف المتطرفة تحت السطر بليونة ودقة وتقوير[2]، ثم يذكر بعد ذلك أن هذا الخط فيه غموض؛ لأن شكل الحروف ليست خاصةً بأسلوب كتابي دون آخر[3].



الخط السوداني.. بساطة وقساوة وغموض

اتفاق واختلاف

يمثّل هوداس على الخط السوداني بخمسة أبيات من قصيدة البردة للبوصيري، وواقع الحال أن هذه الأبيات لا تمثّل الخط السوداني تمثيلاً جيداً كما تبيّنه اللوحات التي سيشار إليها، خصوصاً في رسم الكاف والصاد وغيرهما؛ فهذا المثال أليق بالخط المغربي المعتاد. ويشترك الخط السوداني مع الخط المغربي في بعض السمات، ويختلف عنه في أخرى؛ ففي كليهما توضع نقطة واحدة تحت الفاء، ونقطة واحدة فوق القاف، لكن الفاء والقاف في الخط السوداني ترتفعان فوق السطر من دون استدارة، وتشاركهما في ذلك العين. والنون في الخط السوداني منسابة تحت السطر إلى اليسار مع تقوير، والكاف المتطرفة ممتدة باستقامة على السطر،

والهاء مرتفعة على شكل مستطيل في وسطه خط مستقيم عمودي. وليس للصاد والضاد سنّ، والجزء العلوي منهما ممتدّ باستدارة يسيرة على السطر، والجزء السفلي على السطر. وهمزة الواو مهملة على طريقة من يسهّلون الهمزة، وتوضع نقطة على همزة القطع وهمزة المد. أما الهمزة المتطرفة فيُستعاض منها بنقطة كبيرة، وتهمل أحياناً نقطتا الياء المتطرفة. وترسم السين بأسنان مرتفعة على السطر عمودياً، أما السين المتطرفة فتنساب تحت السطر باتجاه اليسار مع تقوير. وترسم الميم في أول الكلمة فوق السطر مربعة الشكل، مفتوحة الوسط، كالفاء والقاف. والباء في (بسم) ترسم قائمةً فوق السطر، ورأسها العلوي مائل قليلاً إلى اليسار. وعلى الجملة، فالحروف المتطرفة تنساب تحت السطر مائلةً إلى اليسار برسم دقيق، على عكس الحروف الثخينة الممتدة على السطر، ويفصل بين الآيات بثلاث نقط مثلثة الشكل.



غرب إفريقية لا السودان

عرض **Deroche** هذا الخط، وذكر أن المخطوطات القرآنية التي كُتبت بالخط السوداني لم تُعرف إلا حديثاً؛ أي: منذ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، ويرى أن الخط السوداني يذكّر بالخط المغربي، وأنه المحافظ عليه، ويمثّل على ذلك بمخطوطة جامعة ليدز رقم ٣٠١[٤]. وتذكر شيلا بلير أن مصطلح الخط السوداني جاء –نتيجةً لفهم هوداس– على أنه يعني بلاد السودان؛ أي: أرض الشعوب السوداء في غرب إفريقية، بما فيها السنغال، ونيجيريا، وإثيوبيا، والصحراء الجنوبية، وليس المقصود به ما يُعرف اليوم بدولة السودان العربية. كما يُعرف هذا الخط بالتمبكتي؛ لأنه نشأ في تمبكتو عاصمة مالي[٥]. وتنقل شيلا عن هوداس تقسيمه الخط المغربي أربعة أنواع: القيرواني نسبةً إلى القيروان في تونس، والأندلسي نسبةً إلى الأندلس، والفاسي نسبةً إلى فاس في المغرب، ثم السوداني، وتشترك هذه الخطوط في بعض السمات[٦]. وتعترض شيلا على هذا التقسيم الجغرافي؛ لأن الأنواع التي ذكرها هوداس –مع اختلافها في الرسم– لا تعدّ سمةً على الموقع الجغرافي؛ لوجود بعض المخطوطات مكتوبةً بنوعين من الخطوط، كما هو الحال في مخطوطة (شهاب الأخبار) للقضاعي، التي نُسخت سنة ١١٧٢– ١١٧٣هـ[٧]. ويبدو أن شيلا لم تتنبه لما قاله هوداس عن حالات يرسم فيها الناسخ الحرف بثلاث صور أو أربع في الصفحة الواحدة[٨]، وقد يكون هذا سبباً في صعوبة التمييز بين أنواع الخط المغربي. وترى شيلا أن الخط الذي أطلق عليه اسم (سوداني) أجدر بأن

■ **بوجيرت: قد يكون الخط السوداني نشأ موازياً للمغربي، لكنه مستقلّ عنه**، وينبغي أن يُدرس على أنه مشابه له، وأشار إلى ما كتبه بيفار عن العلاقة بين الخط المغربي والسوداني



يُدعى (خط غرب إفريقية)، وأشارت إلى مخطوطة تعدّ فريدةً في هذا الباب، ولم تضعْ صورةً لها، لكنها تشير بذلك إلى فصل سابق في كتاب (The Meaning of Timbuktu)؛ ففي الفصل الرابع من هذا الكتاب لوحة لفاتحة القرآن[٩]، وهي مخطوطة جامعة ليدز رقم ٣٠١ المشار إليها آنفاً، وقد درسها أدريان بروكت Adrian Brockett في بحثه الموسوم بـ: Aspects of the Physical Transmission of the Quran in 19th -century Sudan: Script، Decoration، Binding and Paper[١٠]. ثم ذكرت شيلا مثالين آخرين على الخط في غرب إفريقية: أحدهما مخطوطة قرآنية كُتبت لـملان القاضي بن الحسين من بورنو سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، والمثال الثاني قرآن كُتب سنة ٩٧٥هـ/ ١٥٦٨ للشريف سلطان المغرب مولاي عبدالله بن محمد[١١]. وتذهب شيلا الى القول: إن الخط في غرب إفريقية مشتقّ من الخط المغربي، لكن العلماء لم يصلوا إلى نتيجة تبيّن من أيّ الأنواع المغربية كان اشتقاقه، وتذكر أن بيفار Bivar سمّى الخط من غرب إفريقية (إفريقي)، ويعني بذلك تونس وغرب الجزائر، واستدلّ بما قاله ابن خلدون[١٢]، وتقول: إن كلام بيفار غير مقنع؛ لأسباب تاريخية، وأخرى تتعلّق بأسلوب الكتابة، وحجّتها في ذلك أن المرابطين الذين أدخلوا المذهب المالكي وغيره إلى الساحل الإفريقي لم يحكموا إفريقية -الموطن المزعوم للخط الإفريقي- وإن كانوا قد استوردوا مخطوطات من تونس، ثم إن الأسلوب الذي ترقّى في القرن العاشر في تونس كان مختلفاً؛ فهو أقرب إلى خط المشرق[١٣].

موازٍ ومستقل

أقول: ليس الأمر كما قالت شيلا؛ فالمرابطون حكموا جميع الشمال الإفريقي والأندلس، ومنشأ حركتهم من القيروان بقيادة شيخهم عبدالله بن ياسين، ومنهم يوسف بن تاشفين محرّر الأندلس من ملوك الطوائف. ومما قالته شيلا: إن خط المصاحف الذي كان مستعملاً في

الخط الإفريقي فرع من الخطوط المغربية

درس بروكت مخطوطة جامعة ليدز رقم ٣٠١، وذكر أنها مكتوبة بخط يدوي إفريقي عريض أدكن بحبر أسود صيني، ويحاكي خطّها خط مصحف الحاضنة[١]، الذي اشتقّت منه جميع الخطوط السودانية الغربية. ويشترك بعض الشيء مع الخط الإفريقي المغربي الشمالي بسمة ليست متقنة؛ فخط مخطوطة ليدز أكثر أناقةً. ويقول: إن خط مخطوطة ليدز يختلف عن الخط المغربي الفاسي؛ إذ يشبه أحياناً الخط الكوفي القديم، وهو ما يؤكد النظرية التي تقول: إن الخط الإفريقي يعدّ فرعاً مبكراً لجميع الخطوط المغربية. وثمّة اختلاف آخر بين خطّ مخطوطة ليدز (من غرب إفريقية) والخط المغربي الفاسي، يتمثّل في جرات بعض الحروف كالدال والذال، ويعدّ ذلك أنموذجاً على الخط الإفريقي من بورنو[٢]. وذكر بروكت في الحاشية رقم (٢) أن السودانيين يُطلقون على هذا الخط الكوفي، ويسمّيه شعب الهوسا (العجمي)؛ لوجود عدة أشكال من الخطوط في غرب السودان؛ لذا فخطّ نسخة غرب إفريقية (ليدز) يُسمَّى (إفريقي) تبعاً لابن خلدون وبيفار[٣].



(١) مصحف الحاضنة: نسبةً إلى حاضنة الأمير المعز بن باديس، كتبه علي بن أحمد الوراق.
(٢) Brockett, pp.45-46.
(٣) حاشية (٢)، ص٥٢.

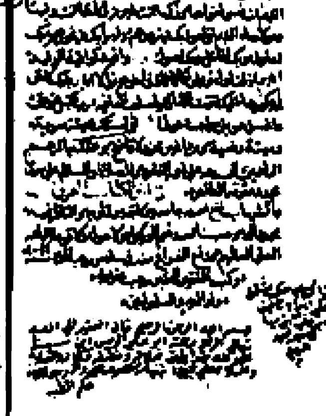


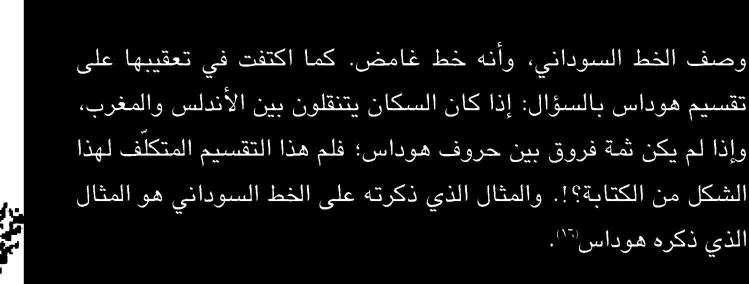
غرب إفريقية يشترك مع الخط المغربي المستعمل في المغرب والأندلس في عدة سمات. ومن الباحثين الغربيين الذين عرضوا الخط المغربي والسوداني بوجيرت Boogert في مقالته الموسومة بـ: Some Notes on Maghribi Script؛ إذ يشير فيها إلى ما ذكره هوداس من اشتقاق المغربي من الكوفي، وأن المغربي تحوير للخط الكوفي، وأن هوداس يستعمل الكوفي قسيماً لخط النسخ، وهو ما دعا هوداس إلى القول باشتقاق السوداني من المغربي الذي نشأ في تمبكتو[١٤]. ويعقب بوجيرت على ذلك بقوله: قد يكون السوداني نشأ موازياً للمغربي، لكنه مستقلّ عنه، وينبغي أن يُدرس على أنه مشابه للمغربي. وأشار إلى ما كتبه بيفار عن العلاقة بين الخط المغربي والسوداني[١٥].

وممّن عرض الخط المغربي وأقسامه، ولاسيما السوداني، المستعربة الإسبانية لارا كابتان Lara Captan في بحثها الموسوم بـ: Searching for the Origins and Development of Maghribi Script، لكنها لم تأتِ بجديد في أمر الخط السوداني؛ إذ اكتفت بالنقل عن هوداس في

■ الخط المغربي أربعة أنواع: القيرواني نسبةً إلى القيروان في تونس، والأندلسي نسبةً إلى الأندلس، والفاسي نسبةً إلى فاس في المغرب، ثم السوداني

■ شيلا: خط المصاحف الذي كان مستعملاً في غرب إفريقية يشترك مع الخط المغربي المستعمل في المغرب والأندلس في عدة سمات





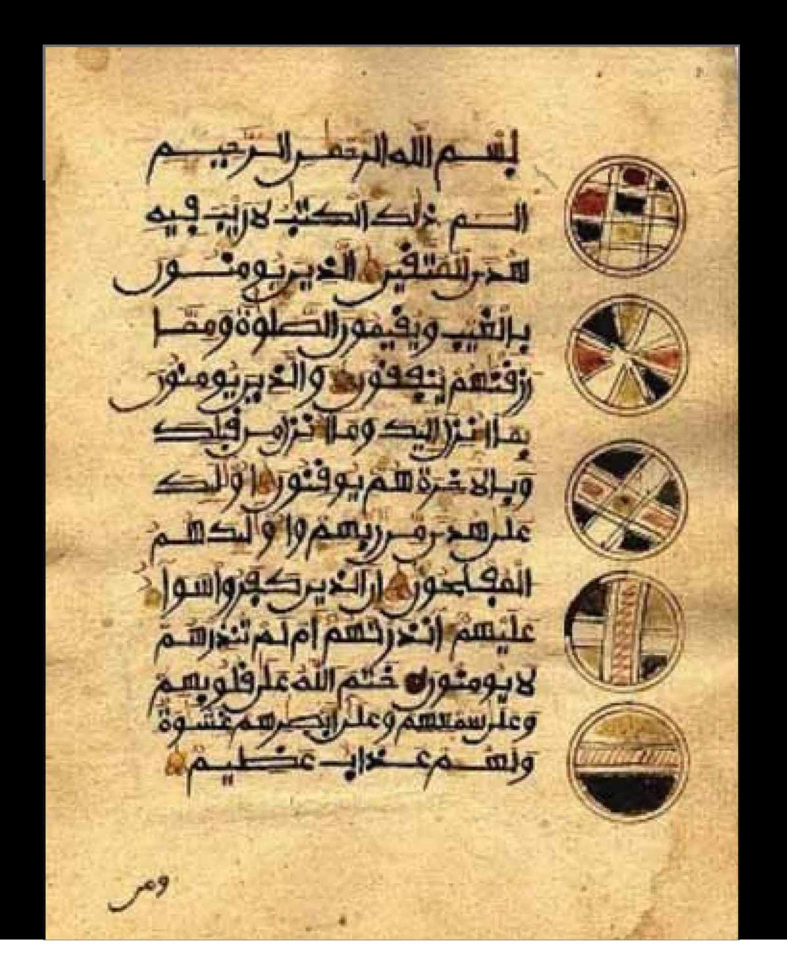
وصف الخط السوداني، وأنه خط غامض. كما اكتفت في تعقيبها على تقسيم هوداس بالسؤال: إذا كان السكان يتنقلون بين الأندلس والمغرب، وإذا لم يكن ثمة فروق بين حروف هوداس؛ فلم هذا التقسيم المتكلّف لهذا الشكل من الكتابة؟!. والمثال الذي ذكرته على الخط السوداني هو المثال الذي ذكره هوداس[١٦].

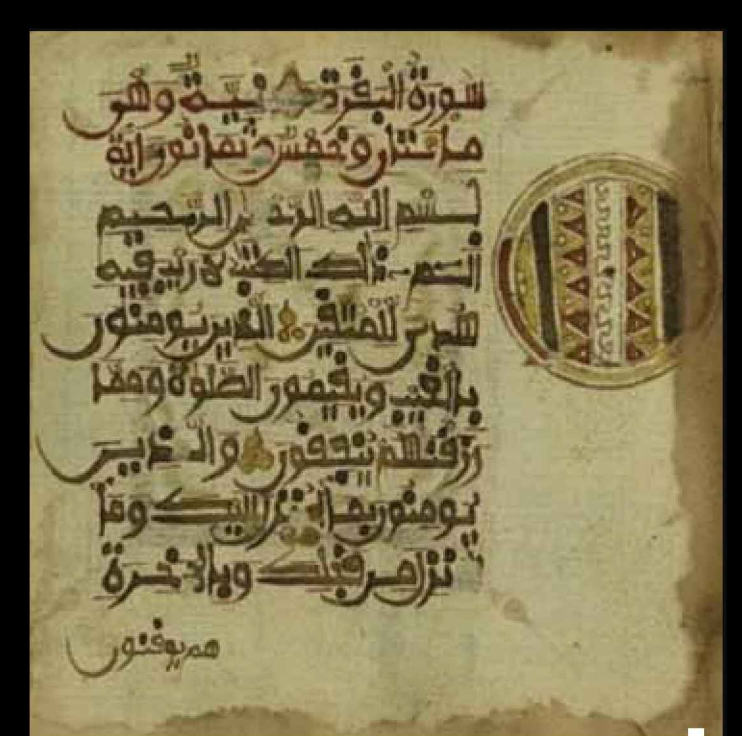
دراسات عربية غير متعمقة

أما الباحثون العرب، فلم يدرسوا الخط السوداني، وعلاقته بالمغربي، دراسةً متعمقةً في حدود ما لديّ من مصادر؛ فمحمد المنوني لم يذكر الخط السوداني في كتابه عن الوراقة المغربية، وفي بحث محمد بن شريفة (نظرة حول الخط الأندلسي) مجرّد إشارة إلى مقالة هوداس[١٧]. وفي القسم الغربي من كتاب (المخطوط العربي وعلم المخطوطات) أثبت أحمد شوقي بنبين -منسّق الكتاب- مقالة ديروش **Deroche** عن هوداس، ولم يذكر مقالة هوداس نفسه[١٨]. وتحدث عمر أفا، ومحمد المغراوي في كتابهما (الخط المغربي: تاريخ وواقع وآفاق) عن انتشار الخط المغربي في غرب إفريقية، ووصفوا الخط السوداني وصفاً لا يدلّ على إلمام تامّ بأشكال هذا الخط المختلفة وما كتب فيه من بحوث؛ إذ قالوا: «تتميّز حروف الخط السوداني بكونها بسيطةً وغليظةً ويابسةً، تعكس بساطة الحياة في الصحراء الإفريقية وقساوتها، ولكنها تحتفظ -مع ذلك- ببقاء السمات البارزة للخط المغربي، خاصةً منه الخط المبسوط، كما تتشابه عناصره مع نماذج فرعية مغربية، مثل الخط الدرعي والصحراوي»[١٩]. والمثال الذي ذكره أفا والمغراوي على الخط السوداني لوحة من سورة النساء، وكتبا تحت اللوحة: «الخط السوداني بملامح الخط المبسوط المغربي، مصحف شريف، الآية ١٣٠ من سورة النساء»[٢٠]، والصواب ١٢٩-١٣٤ من سورة النساء.

وواقع الحال أن هذا المثال لا يصلح ممثّلاً للخط السوداني، ولا للمغربي المبسوط؛ فالمغربي المبسوط أجمل من هذا المثال، ويتّضح في حروفه البسط. وفي كتاب (مصوّر الخط العربي) لناجي زين الدين المصرف، شكل (٢٤٦)، مثال على الخط السوداني مكوّن من البيتين الأولين من مثال هوداس؛ أي: من قصيدة البردة، وقال في كتابه (بدائع الخط العربي)، ص٤١: «أما الخط السوداني، فغليظ ثقيل كما تلاحظ نماذجه في كتابنا: موسوعة الخط العربي منذ أقدم العصور»[٢١]. وقد وقع ناجي زين الدين في

■ **يبدو أن شيلا لم تتنبه لما قاله هوداس عن حالات يرسم فيها الناسخ الحرف بثلاث صور أو أربع في الصفحة الواحدة،** وقد يكون هذا سبباً في صعوبة التمييز بين أنواع الخط المغربي







نموذج يمتاز بالجمال والزخرفة

■ استطعتُ -بفضل الله تعالى- الحصول على نسخة كاملة من القرآن الكريم مكتوبةً بالخط السوداني من متحف ولترز للفن في بلتيمور بميريلاند، مكوّن من ٩٤١ لوحةً تعدّ مثالاً للجمال والزخرفة، ومصدر النسخة الصحراء الجنوبية بغرب إفريقية، وكُتبت في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وهي مكتوبة بحبر أسود أدكن، والنقط باللون الأحمر، وأسماء السور بحبر ضارب إلى الحمرة.

خطأ في كتابه (مصور الخط العربي)، ص٢٤٦، شكل(٦٩٩)؛ إذ كتب تحت مخطوطة ليدز ذات الخط السوداني الإفريقي: «صفحة نادرة من مصحف إفريقي كُتب بخط متطوّر من الكوفي الأول من القرن ١٣هـ/ ١٩م»، ولم يذكر أن هذا الخط المتطوّر من الكوفي هو السوداني، وهو أمر عجب من خطاط يُتقن فنّ الخط، وله فيه باع طويل. ونقل إياد خالد الطباع ما جاء في كتاب (مصوّر الخط العربي) عن هوداس[٢٢].



الهوامش والمراجع

(١) مقالة هوداس من الإنترنت، موقع scribd.

(٢) هوداس، ص١٠٩، ١١٠.

(٣) المرجع نفسه، ص١١٠.

(٤) The Encyclopedia of the Quran, vol.3, p.270.

(٥) Sheila S. Blair, Arabic Calligraphy in West Africa, in: The Meaning of Timbuktu, p.60.

(٦) المرجع نفسه، ص٦٠.

(٧) المرجع نفسه، ص٦١.

(٨) هوداس، ص١٠٧، ١٠٨.

(٩) The Meaning of Timbuktu, chapter 4, pp.45-57.

(١٠) Adrian Brockett, Aspects of the Physical transmission of the Quran in 19th -century Sudan: script, decoration, binding and paper, in: Manuscripts of the Middle East, vol.2 (1987). Pp.45-67.

(١١) شيلا، ص٦٢، ٦٧.

(١٢) المرجع نفسه، ص٦٦. قابل بمقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبدالسلام الشدادي، ١٦٩/٥.

(١٣) شيلا، ص٦٦.

(١٤) N. van den Boogert, Some Notes on Maghribi script, in: Manuscripts of the Middle East, vol.4 (1989), p.30.

(١٥) المرجع نفسه، ص٣١.

(١٦) Lara Captan, Searching for the Origins and Development of Maghribi script, 2011, Barcelona, p.37.

(١٧) محمد بن شريفة، «نظرة حول الخط الأندلسي»، ضمن كتاب: المخطوط العربي وعلم المخطوطات، ص٧٤.

(١٨) المخطوط العربي وعلم المخطوطات، تنسيق: أحمد شوقي بنبين، القسم الغربي، ص٧٥.

(١٩) عمر أفا، ومحمد المغراوي، الخط المغربي: تاريخ وواقع وآفاق، ص٦٧.

(٢٠) المرجع نفسه، ص٦٨.

(٢١) لم أستطع الاطلاع عليه.

(٢٢) إياد خالد الطباع، المخطوط العربي: دراسة في الزمان والمكان، ص٢٥، ٣٠.

محمود الحرشاني | تونس



سيدي بوزيد..

أميرة الجنائن والبساتين في تونس الخضراء

في الوسط الغربي للبلاد التونسية تقف مدينة سيدي بوزيد عروس الوسط، وأميرة الجنائن والبساتين، تحرسها غابات الزيتون، وبساتين اللوز، من كلّ جانب. يمكن الوصول إليها عبر مدينة القيروان على مسافة ثلاث ساعات، انطلاقاً من تونس العاصمة، تحدّها شرقاً ولاية صفاقس، وشمالاً ولاية القيروان، وجنوباً ولاية قفصة، وغرباً ولاية القصرين. اشتهرت هذه المدينة على مرّ تاريخها بحقولها الغنّاء، وبساتينها الخضراء، وهي وارثة أمجاد إقليم قمودة في العهود السابقة.

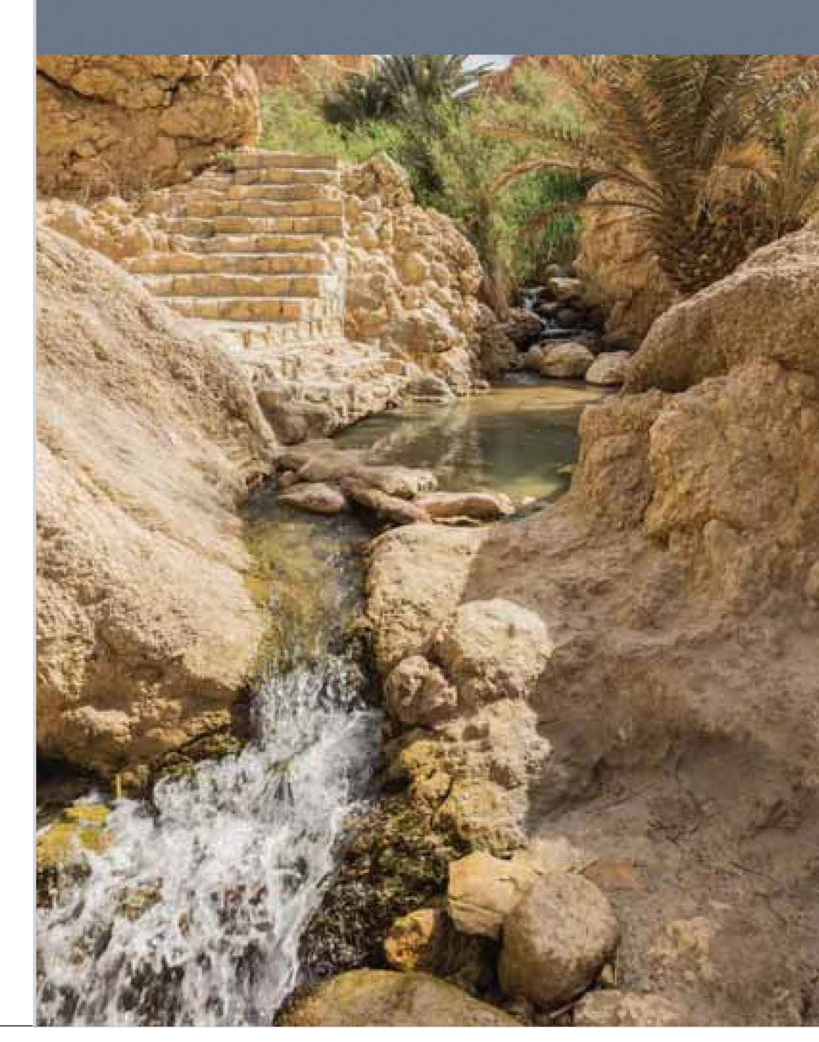
حديثة الإنشاء والتكوين؛ إذ يعود تاريخ نشأتها إلى بداية القرن الماضي، عندما انتقل إليها العمران مع بداية عام ١٩٠١م. ولا توجد في هذه المدينة اليوم بقايا أربطة، أو حصون، أو قصور، على غرار ما نجده في عدد من المدن الأخرى، وأقدم بناياتها الموجودة بها اليوم يرجع تاريخها إلى بداية القرن العشرين، وأغلب سكانها جاؤوا إليها من المناطق المجاورة الأخرى، واستقروا بها، ومارسوا بها أنشطةً مختلفةً، مثل الأنشطة التجارية والزراعية.

وقبل هذا التاريخ كان مركز العمران الأساسي فيها هو تجمّع الصداقية القريب منها، ومع بداية نشأة المدينة بدأت تستقطب وفوداً كثيرة من السكان من عدد من المناطق الأخرى، حتى غدت من أهم المدن التونسية، وتطوّر عدد سكانها، وتركّزت فيها المرافق الحضارية والاقتصادية والمصالح الإدارية، وأُنشئت بها بلدية عام ١٩٥٨م، ومنذ عام ١٩٧٥م أصبحت سيدي بوزيد عاصمةً لولاية تجمع مجموعةً من المعتمديات التي انطلقت بها الولاية في بداية تكوينها، وهي تسع معتمديات: سيدي بوزيد، والمكناسي، والرقاب، وسيدي علي بن عون التي كانت تابعةً لولاية قفصة، وأولاد حفو التي كانت تابعةً للقيروان، وجلمة التي كانت تابعةً لولاية القصرين، والمزونة التي كانت تابعةً لولاية صفاقس. ثم تطور عدد هذه المعتمديات بعد ذلك بإضافة معتمديات جديدة، هي: بئر الحفي، والسوق الجديد، والسبالة، ومنزل بوزيان، حتى غدت ولاية سيدي بوزيد من كبرى ولايات الجمهورية التونسية من حيث المساحة وعدد السكان، وتوافر فيها كثير من المصالح الإدارية والمرافق الحضارية، مثل: المنشآت التربوية، والمعاهد الثانوية، والدور الثقافية، وتحسّنت شبكة الطرق التي تربطها مع الولاية المجاورة، وأصبحت حركة العمران فيها تقوم وفق أمثلة تهيئة عمرانية متطورة.

عمق حضاري

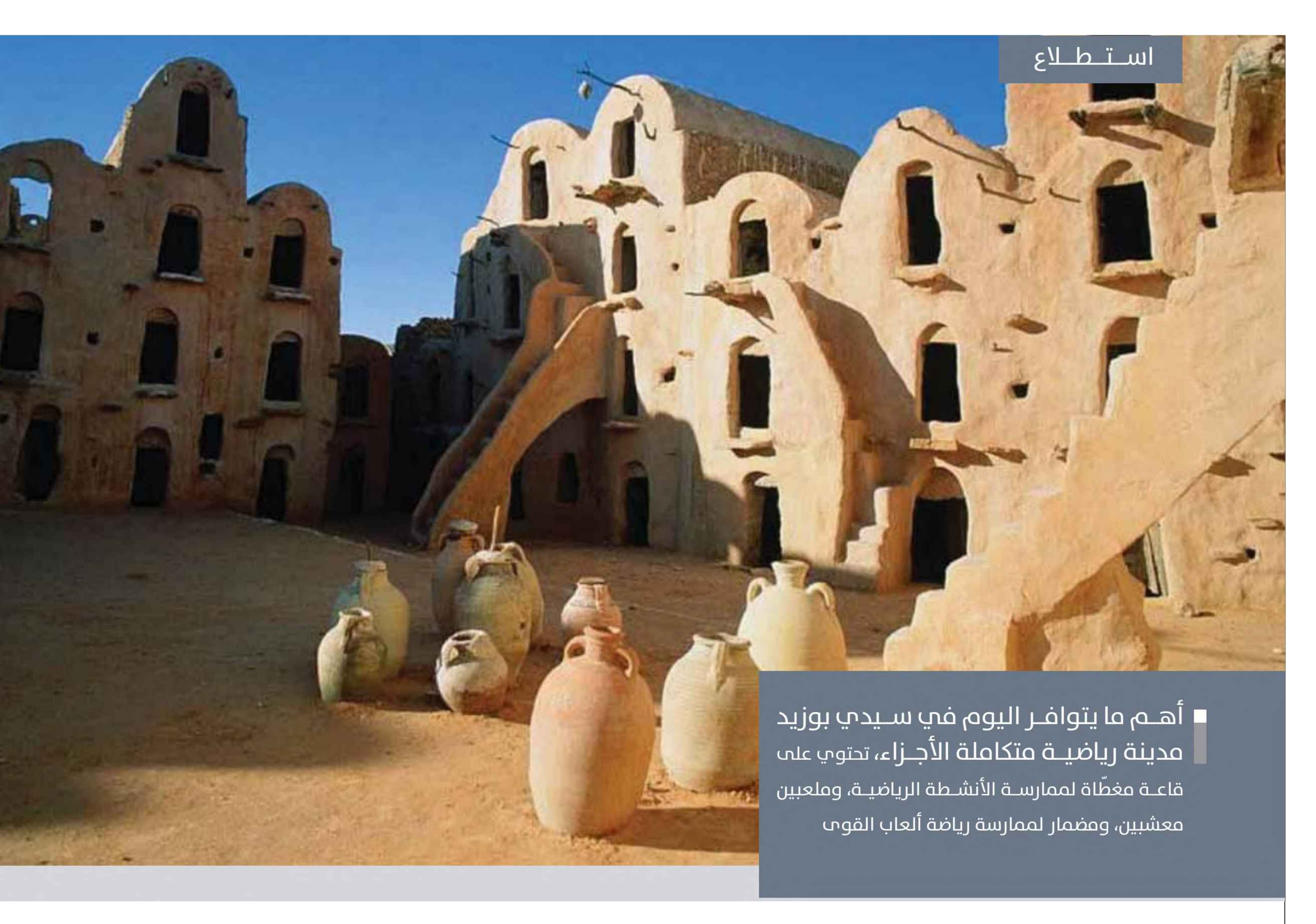
عُثر على كثير من الحفريات والنقوش الأثرية، التي تدلّ على ازدهار العمران في مدن قمودة في العصور القديمة، مثلما أثبتته حفريات منشير الحنانشة بمدينة بئر الحفي، وحفريات منشير البارود بجلمة، والحفريات التي اكتُشفت في سيدي علي بن عون وفسقية السماوي بهذه المنطقة. وورد ذكر الإقليم فيما كتبه البكري، والرحالة التيجاني، ودلّت كثير من الحفريات والنقوش الأثرية التي تمّ اكتشافها في جهة المكناسي، والقلال، ومنزل بوزيان، والهيشرية، على ما كان قائماً في هذه المنطقة من عمران، وإن لم يبقَ لنا من هذه الآثار سوى بعض المعالم، مثل القطر الأحمر في منزل بوزيان.

التوهامي الهاني ذكر أن مناطق إقليم قمودة غنية بالآثار، وذكر منها هنشير البارود الذي يوجد في معتمدية جلمة، وهي آثار رومانية تتمثّل في لوحات فسيفساء وكمية من الفخار



تطور عمراني

مَن يزر مدينة سيدي بوزيد اليوم يلاحظ هذه الحركية الكبيرة التي تعيشها في مجال البناء والتعمير، وجلّ البنايات فيها بنايات أفقية، كما بدأت بعض البنايات ذات الطابع العمودي تأخذ مكانها ضمن النسيج العمراني للمدينة، ويعود ذلك إلى حرص السكان على استغلال الفضاءات المتوافرة للتوسّع العمراني أمام تطور عدد السكان، وازدياد حجم النشاط الثقافي والتجاري، وهو ما أصبح يحتّم وجود سكان جُدُد يأتون إليها من جهات أخرى. وتطوّر عدد شبابها المتخرّج في الجامعات، الذي يحرص على الاستقلال باتخاذ مسكن خاصّ مباشرةً بعد الحصول على عمل، والاطمئنان على مستقبله واستقراره العائلي. وترعى الدولة هذه المسيرة التي تعيشها مدينة سيدي بوزيد، بالحرص على إقامة منشآت ثقافية وتعليمية وصحية ورياضية يحتاج إليها السكّان. ومن أهم ما يتوافر اليوم في هذه المدينة مدينة رياضية متكاملة الأجزاء، تحتوي على قاعة مغطّاة لممارسة الأنشطة الرياضية،



■ أهـم ما يتوافـر اليوم في سـيدي بوزيد مدينة رياضيـة متكاملة الأجـزاء، تحتوي على قاعـة مغطّاة لممارسـة الأنشـطة الرياضيـة، وملعبين معشبين، ومضمار لممارسة رياضة ألعاب القوى

آثار رومانية

ذكر التوهامي الهاني أن مناطق إقليم قمودة غنية بالآثار، وذكر منها هنشير البارود الذي يوجد في معتمدية جلمة، وهي آثار رومانية تتمثّل في لوحات فسيفساء وكمية من الفخار. وتمثّل الآثار حمامات رومانية، وأربعة أحواض مزخرفة بالفسيفساء، وبئراً رومانية، وبقايا قنوات الفخار لجلب المياه، وبقايا جدران علوها ٢٠سم، وكان اسم هذا الموقع قديماً هو (تاقامودا). وكذلك هنشير النابر في معتمدية بئر الحفي، ويحتوي على ٢٠ معصرة، وخزان، وقوس نصف قسيمة، وعدة أحواض ماء، ومعلم مربع الشكل، وبقايا جدران، وعدد كبير من الحجارة المنقوشة. ويوجد أيضاً هنشير الحناشة في معتمدية بئر الحفي كذلك، وبه آثار لحمامات رومانية، ولوحات فسيفساء، وعدة مقابر جماعية، وهي تشبه الكنائس الموجودة في سبيطلة، ويضم كذلك بقايا جدران لمنازل وأكواش لصنع الفخار. كما يوجد هنشير سيدي علي بن المكي، وهو قرية صغيرة بها معاصر زيوت، وبقايا لمساكن، وكنيسة بيزنطية، ولوحات من الفسيفساء.

وفي سيدي علي بن عون توجد فسقية ضخمة، تشمل حنايا رومانية، وفسقية كبيرة الحجم لجمع الماء، تتوسّطها ساعة لمعرفة الوقت. ويوجد هنشير الصنب في منطقة الهيشرية، وبه قرية عتيقة، ومعاصر، وأحياء سكنية، وحوض ماء، ومعلم مستطيل الشكل. كما وجدت آثار كثيرة في عدد من المناطق التي يتكوّن منها الإقليم.

الذي يعنينا من كلّ ذلك هو ما كان عليه الإقليم من ازدهار عمراني، وزراعي خاصةً؛ إذ كان ينتج كثيراً من الخضراوات والغلال، ويصدرها إلى الأقاليم الأخرى. ويرجع ذلك إلى خصوبة الأراضي التي يتكون منها الإقليم؛ فهي أراضي شاسعة تُسقى بمياه وادي الفكة، وقد عُرف أبناء هذه الجهة منذ القدم بقدرتهم على استثمار المياه التي يجلبها هذا الوادي بإقامة سدود لتوزيع مياهه لريّ المناطق المجاورة، وهو ما أكسب هذا الإقليم قديماً وحديثاً خاصيةً زراعيةً واقتصاديةً مميزةً، وهي خاصية ما زال محافظاً عليها إلى اليوم؛ إذ تعدّ ولاية سيدي بوزيد من أهم المناطق الزراعية، وتنتج كميات كبيرة من الخضراوات والغلال، وتتعايش فيها اليوم الزراعة التقليدية مع الزراعة العصرية التي تعتمد على المياه، ومؤخراً بدأت بها تجارب رائدة في مجال الزراعة البيولوجية المتطورة، مثل زراعة السكوم، والجوجونا، والتفاح، واللوز، والخوخ البدري.

مدينة حديثة

إذا دخلنا مدينة سيدي بوزيد وجدناها مدينةً

حديثة الإنشاء والتكوين؛ إذ يعود تاريخ نشأتها إلى بداية القرن الماضي، عندما انتقل إليها العمران مع بداية عام ١٩٠١م. ولا توجد في هذه المدينة اليوم بقايا أربطة، أو حصون، أو قصور، على غرار ما نجده في عدد من المدن الأخرى، وأقدم بناياتها الموجودة بها اليوم يرجع تاريخها إلى بداية القرن العشرين، وأغلب سكانها جاؤوا إليها من المناطق المجاورة الأخرى، واستقروا بها، ومارسوا بها أنشطةً مختلفةً، مثل الأنشطة التجارية والزراعية.

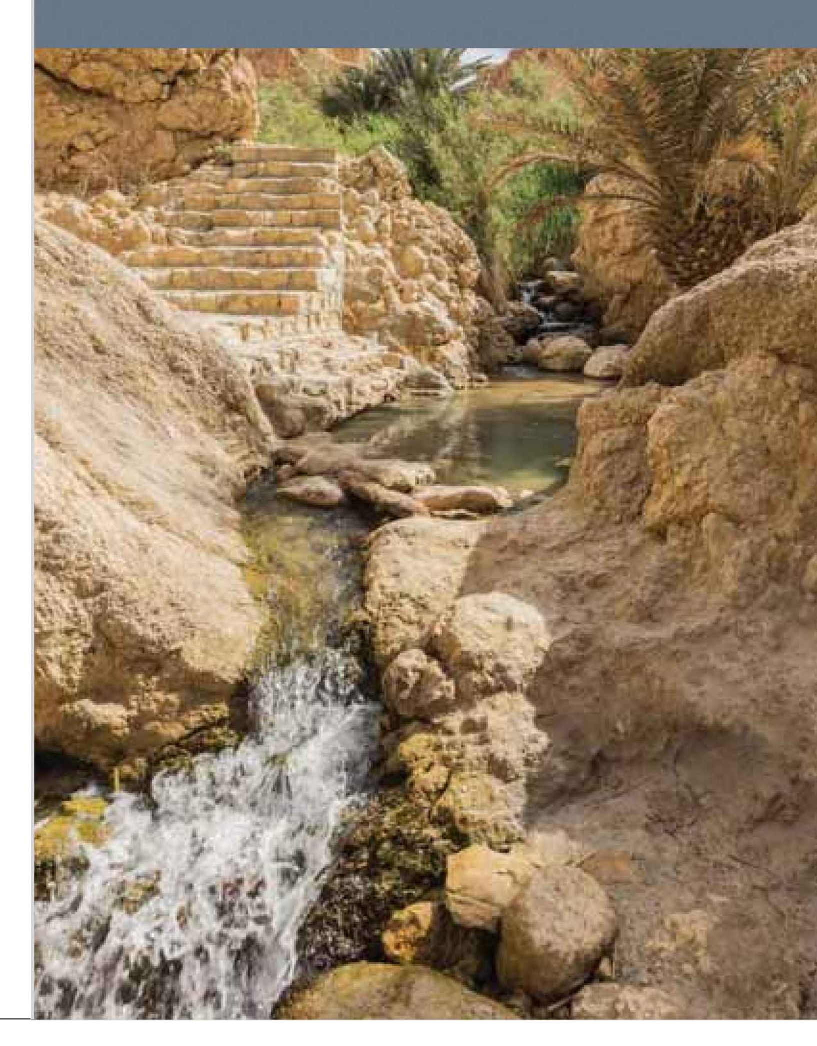
وقبل هذا التاريخ كان مركز العمران الأساسي فيها هو تجمّع الصداقية القريب منها، ومع بداية نشأة المدينة بدأت تستقطب وفوداً كثيرة من السكان من عدد من المناطق الأخرى، حتى غدت من أهم المدن التونسية، وتطوّر عدد سكانها، وتركّزت فيها المرافق الحضارية والاقتصادية والمصالح الإدارية، وأُنشئت بها بلدية عام ١٩٥٨م، ومنذ عام ١٩٧٥م أصبحت سيدي بوزيد عاصمةً لولاية تجمع مجموعةً من المعتمديات

عمق حضاري

عُثر على كثير من الحفريات والنقوش الأثرية، التي تدلّ على ازدهار العمران في مدن قمودة في العصور القديمة، مثلما أثبتته حفريات منشير الحنانشة بمدينة بئر الحفي، وحفريات منشير البارود بجلمة، والحفريات التي اكتُشفت في سيدي علي بن عون وفسقية السماوي بهذه المنطقة. وورد ذكر الإقليم فيما كتبه البكري، والرحالة التيجاني، ودلّت كثير من الحفريات والنقوش الأثرية التي تمّ اكتشافها في جهة المكناسي، والقلال، ومنزل بوزيان، والهيشرية، على ما كان قائماً في هذه المنطقة من عمران، وإن لم يبقَ لنا من هذه الآثار سوى بعض المعالم، مثل القطر الأحمر في منزل بوزيان.

التي انطلقت بها الولاية في بداية تكوينها، وهي تسع معتمديات: سيدي بوزيد، والمكناسي، والرقاب، وسيدي علي بن عون التي كانت تابعةً لولاية قفصة، وأولاد حفو التي كانت تابعةً للقيروان، وجلمة التي كانت تابعةً لولاية القصرين، والمزونة التي كانت تابعةً لولاية صفاقس. ثم تطور عدد هذه المعتمديات بعد ذلك بإضافة معتمديات جديدة، هي: بئر الحفي، والسوق الجديد، والسبالة، ومنزل بوزيان، حتى غدت ولاية سيدي بوزيد من كبرى ولايات الجمهورية التونسية من حيث المساحة وعدد السكان، وتوافر فيها كثير من المصالح الإدارية والمرافق الحضارية، مثل: المنشآت التربوية، والمعاهد الثانوية، والدور الثقافية، وتحسّنت شبكة الطرق التي تربطها مع الولاية المجاورة، وأصبحت حركة العمران فيها تقوم وفق أمثلة تهيئة عمرانية متطورة.

التوهامي الهاني ذكر أن مناطق إقليم قمودة غنية بالآثار، وذكر منها هنشير البارود الذي يوجد في معتمدية جلمة، وهي آثار رومانية تتمثّل في لوحات فسيفساء وكمية من الفخار



تطور عمراني

مَن يزر مدينة سيدي بوزيد اليوم يلاحظ هذه الحركية الكبيرة التي تعيشها في مجال البناء والتعمير، وجلّ البنايات فيها بنايات أفقية، كما بدأت بعض البنايات ذات الطابع العمودي تأخذ مكانها ضمن النسيج العمراني للمدينة، ويعود ذلك إلى حرص السكان على استغلال الفضاءات المتوافرة للتوسّع العمراني أمام تطور عدد السكان، وازدياد حجم النشاط الثقافي والتجاري، وهو ما أصبح يحتّم وجود سكان جُدُد يأتون إليها من جهات أخرى. وتطوّر عدد شبابها المتخرّج في الجامعات، الذي يحرص على الاستقلال باتخاذ مسكن خاصّ مباشرةً بعد الحصول على عمل، والاطمئنان على مستقبله واستقراره العائلي.

وترعى الدولة هذه المسيرة التي تعيشها مدينة سيدي بوزيد، بالحرص على إقامة منشآت ثقافية وتعليمية وصحية ورياضية يحتاج إليها السكّان. ومن أهم ما يتوافر اليوم في هذه المدينة مدينة رياضية متكاملة الأجزاء، تحتوي على قاعة مغطّاة لممارسة الأنشطة الرياضية،



ولاية سيدي بوزيد من كبرى ولايات تونس من حيث المساحة وعدد السكان، ويتوافر فيها كثير من المصالح الإدارية والمرافق الحضارية

وملعبين معشبين، ومضمار لممارسة رياضة ألعاب القوى. ونجد في هذه المدينة شبكةً من المعاهد الثانوية يؤمّها نحو ثلث سكان الولاية طلباً للعلم والمعرفة. كما يتوافر بها اليوم معهد عالٍ للدراسات التكنولوجية، وهو أول مؤسسة تعليم عالٍ في هذه المنطقة.

أصالة الفروسية

لأبناء منطقة سيدي بوزيد ولعٌ خاصٌ بالفروسية؛ إذ تعدّ تربية خيول الفروسية من تقاليد كثير من أبنائها، وتقام فيها عدة مهرجانات تمثّل الفروسية فقرةً من فقراتها الرئيسة، مثل: مهرجان سيدي علي بن عون، ومهرجان سيدي خليف. ودخلت ضمن التقاليد الزراعية في المنطقة تربية الخيول العربية الأصيلة، خصوصاً في منطقة المكناسي، التي يُقام بها سنوياً مهرجان الجواد العربي الأصيل، ويأتيه الزوّار من كلّ أنحاء الجمهورية التونسية، واكتسب هذا المهرجان شهرةً كبيرةً. كما تشتهر سيدي بوزيد بتربية الأغنام، وتربية البقر الحلوب، وهو ما أهّلها إلى أن تحتلّ مكانةً مهمةً في إنتاج الحليب، إلى جانب إنتاجها المتنوّع من الخضراوات والغلال والزيتون واللوز. وما زالت بعض الآثار القديمة قائمةً في مناطق كثيرة، مثل: قصر خليفة الزناتي بالمكناسي، وهو قائد بربري تصدّى للغزو الهلالي لما قدم الهلاليون إلى تونس، والقصر الأحمر في منزل بوزيان، وعدد من النقوش الأثرية الأخرى التي عُثر عليها مؤخراً، وتدلّ على ما كانت عليه هذه المنطقة من نمو وازدهار، ولا تزال بعض الزوايا قائمةً شاهدةً على العمق التاريخي لهذه المنطقة، مثل: زاوية سيدي علي بن عون، وهو وليّ صالح مشهور عُرف بالتقوى والورع، قدم من الساقية الحمراء في المغرب الأقصى، وقام بدور كبير في نشر الدين الإسلامي، ومقاومة التطرف خلال القرن العاشر للهجرة، واشتهر بالدعوة إلى تعمير الأرض، وزاوية سيدي بوزيد، وهو أيضاً وليّ صالح قدم واستقرّ بالمنطقة التي توجد بها زاويته اليوم، وزاوية سيدي خليف.

ومن الخصائص العمرانية الأخرى التي نلاحظها في المنطقة اعتماد القباب في تسقيف المنازل، خصوصاً القديمة منها، وبناء مواجل لتجميع المياه حذو المساكن، خصوصاً في الريف. ولا تزال بعض المدارس القديمة قائمةً إلى اليوم، وهي مدارس بُنيت في الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، وبعضها ما زال يؤدي وظيفته إلى اليوم، وأهمها مدرسة الجمهورية في سيدي بوزيد.

أفضل أنواع التين

وتشتهر المنطقة بإنتاجها أصنافاً متنوّعة من التين؛ فقد ذكر البكري أن تين هذه المنطقة من أفضل أنواع التين التي كانت تنتجها إفريقية، وكانت حقول تينها متشابكةً دليلاً على كثرتها، وتنوّع أصولها. وقال البكري في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري متحدثاً عن غناء إقليم قمودة: «ومن مدينة قفصة إلى فج الحمار، وبه فندق وماجل للماء، إلى الهروبة، وهي آخر قرى قمونية، إلى مدينة مذكود (أو مذكورة)، وهي أم أقاليم بلد قمونية، بها جامع وحمامات وأسواق ومساجد كثيرة، وعدة فنادق، وآبار عذبة بعيدة الرشاد، حوله شار كثيرة من جميع الأصناف، أكثرها شجر التين، يفوق تين إفريقية، ومنها يحمل زبيباً إلى القيروان؛ فيكون أغلى من سائر التين ثمناً، وأكثر طلباً، وهي غابة من شجر التين لا تظهر لمن قصدها حتى يبلغها. ومن مدينة مذكور إلى جمنوس الصابون قرية كبيرة آهلة، وبها آبار وشجر الزيتون، وبها جامع وسوق عامرة وحمام، وفيها قصر كبير، وهو مخزن لجماعة أهلها، وبها غدير ما كبير، وبها قرى كثيرة عامرة». وظلّ إنتاج التين من أهم المنتجات الزراعية في هذه الربوع إلى اليوم، وكذلك بعض ما ظهره البكري بخصوص حفر المواجل لتجميع المياه.

منارة ثقافية

على امتداد تاريخها، كانت قمودة مركزاً ثقافياً مهماً، وبرز عدد من أبنائها في مجالات العلوم والثقافة والفكر، ومن علمائها قديماً: أبو بكر القمودي، الذي اشتغل في ضرب السكة في عهد الأغالبة، وأبو جعفر القمودي، والسكدلي الشاعر، ومن رجالها وعلمائها حديثاً: الحسين بوزيان، والمهدي بن الناصر، وصلاح الدين العمامي، الذي يعدّ من كبار علماء تونس المعاصرين في مجال الهندسة الريفية

تربية خيول الفروسية من تقاليد كثير من أبناء سيدي بوزيد، وتقام فيها عدة مهرجانات تمثّل الفروسية فقرةً من فقراتها الرئيسة

رواد النهضة في سيدي بوزيد

يمكن الإشارة إلى أسماء مجموعة من الرواد الذين قامت على كواهلهم النهضة الأولى التي عرفتها مدينة سيدي بوزيد في حقبة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، مثل: عمارة كردوس، وعلي العمامي، وعلي الصالح العزري، والشيخ علالة الزعفوري، والشيخ العربي بوزيان، والشيخ القاضي الطيب بن مصباح، والشيخ القاضي ناصر بن الناصر، والشيخ القاضي والمحامي الشهير بعد ذلك محمد المهدي بن الناصر، الذي يعدُّ من روّاد الإصلاح في تونس.









وتوزيع الس¿ه، ومن أدبائها وشعرائها وكتّابها المعاصرين: الطبيب اللبيب الباحث في علم الاجتماع، ومحمد الصغير أولاد أحمد الشاعر المعروف، والتوهامي الهاني، وعبدالقادر بلحاج نصر الكاتب الروائي التونسي، والكاتب الصحفي محمود الحرشاني، والمنصف الهرابي الباحث في العلوم الزراعية، والدكتور محيي الدين حمدي، والدكتور عبدالباقي الدالي الخبير في شؤون الإعلام والاتصال. كما برز عدد من أبنائها بتفوّقهم في مجال الصحافة والإعلام والنشر، ومن علمائها المعاصرين: الباحث عبدالحميد العبيدي، الذي اكتشف دواءً لمعالجة نوع من أنواع مرض السل، وهو يعمل الآن في الولايات المتحدة الأمريكية. ولا يمكن أن نأتي في هذا البحث السريع على كلّ الأسماء.

لا تزال بعض المدارس القديمة قائمةً إلى اليوم في سيدي بوزيد، وبعضها ما زال يؤدي وظيفته، أهمها مدرسة الجمهورية

منطقة سيدي بوزيد أدت دوراً مهماً وبارزاً في حركة التحرير التي أفضت إلى استقلال تونس؛ إذ دفعت بعدد من أبنائها إلى الجهاد والاستشهاد

دورها في حركة التحرير

أدت منطقة سيدي بوزيد دوراً مهماً وبارزاً في حركة التحرير التي أفضت إلى استقلال تونس؛ إذ دفعت بعدد من أبنائها إلى الجهاد والاستشهاد، وكانت جبالها ومناطقها مسارح لمعارك ضارية خاضها أبناؤها بكلّ بسالة مع الاستعمار الفرنسي، ومن أشهر المعارك التي دارت رحاها في هذه المنطقة معارك: قارة حديد، وجبل قبرار، وجبل سيدي عيش، وجبل الخشم، وجبل المالوسي. وها هي ذي اليوم تعيش ربوع سيدي بوزيد في عهد تونس الجديد مع التغيير المتواصل بكلّ كفاءة واقتدار، وبعد سنوات من الركود تعرف اليوم هذه المدينة نهضةً عمرانيةً واقتصاديةً وزراعيةً كبيرةً، وقد أُنشئت بها المؤسسات التربوية، التي يبلغ عددها ٥٠ معهداً بين معاهد ثانوية ومدارس كثيرة، وأكثر من ٣٦٠ مدرسةً ابتدائيةً، كما أُنشئت بها شبكة من دور الثقافة والشباب، وبدأت بعض المصانع تُنشأ بها، وهي ذات طابع تحويلي للإنتاج الزراعي الذي تنتجه المنطقة خاصة، مثل معامل إنتاج الطماطم وتحويلها، ومعامل إنتاج العلف. ويبقى الطابع الزراعي هو السمة البارزة لاقتصاد هذه المنطقة؛ إذ تنتشر المزارع والحقول بشكل مكثف، وأُدخلت التتنيات العصرية لبلوغ نسب عالية في الإنتاج، خصوصاً في مجال الحبوب المروية، وزراعة الباكورات، وإدخال نوعيات جديدة من الزراعات، مثل: زراعة العنب، والخوخ، وغراسة الزيتون، واللوز، والفستق. ويستوعب القطاع الزراعي عدداً كبيراً من اليد العاملة في هذه المنطقة من الرجال والنساء. ولحماية المدينة من أخطار الفيضانات التي يسبّبها باستمرار وادي الفكة، أنجزت بها برامج حماية في إطار مشروعات رئاسية أقرّها رئيس الدولة.

زوايا ومقامات

تشتهر مدينة سيدي بوزيد بعدد من الزوايا التي ما زالت قائمةً بها إلى اليوم، ومن أشهر هذه الزوايا: زاوية الوليّ الصالح سيدي بوزيد،

وزاوية الوليّ الصالح سيدي علي السايح، وزاوية سيدي منصور، وزاوية سيدي الجيلاني. ويتردّد الناس، خصوصاً المريدين، على زيارة هذه الزوايا بانتظام؛ التماساً لبركات أصحابها من الأولياء الصالحين. وتشهد زاوية سيدي علي السايح مساء كلّ يوم خميس إقامة ما يُسمى بـ(الحضرة)، وكذلك الأمر بالنسبة إلى زاوية الوليّ الصالح سيدي بوزيد. وتمثّل هذه المقامات مزارات لعدد كبير من الناس، كما تُقام بها المدائح والأذكار الدينية. ومن خصائص هذه الزوايا أنها ملتقى لطرائق صوفية متعددة؛ كالطريقة القادرية، والطريقة التيجانية، وغيرهما. وتساهم هذه الزوايا في إثراء المخزون التراثي الفكري للمدينة، خصوصاً فيما يتّصل بالأغاني الصوفية، والمدائح، والأذكار التي يردّدها الناس في مقامات أولياء السُنَّة الصالحين.

عقبة بن نافع مرّ من هنا

يذكر كثير من الروايات أن عقبة بن نافع مرّ في طريقه إلى القيروان بمدينة سيدي بوزيد، وقد يكون أناخ بها رحله، واستراح قليلاً؛ بسبب بُعد مدينة سيدي بوزيد، أو ما كان يُسمَّى سابقاً بـ(إقليم قمودة) مئة كيلومتر من مدينة القيروان. ويذكر بعض الباحثين أن عقبة بن نافع قد يكون أناخ رحله في مكان قرب وادي الفكة حيث كثرة عيون المياه، وتوافر الفاكهة والغلال في طريقه إلى القيروان. ومثل عقبة بن نافع، فإن بعض الروايات تذكر أن العبادلة السبعة لما جاؤوا مع قوافل الفتح الإسلامي من شمال إفريقية مرّوا بهذه المدنية في طريقهم إلى سبيطلة القريبة من سيدي بوزيد على بعد ثلاثين كيلومتراً، وهي المدينة التي اتّخذها جرجير عاصمةً لملكه. ويذكر كثير من البحوث القديمة والحديثة ما تُشتهر به هذه المدينة والأقاليم المحيطة بها من ثراء في مجال المياه، وهو ما ساهم في إكماب هذا الإقليم خاصيةً زراعيةً قديماً وحديثاً. ويعبر وادي الفكة، الذي لا تكاد تنقطع مياهه، المناطق الخصبة في هذا الإقليم، ويساهم في إخصابها؛ إذ تنتشر على ضفافه المزارع والبساتين التي تُروى بواسطة مياه هذا الوادي، ويشتغل عدد كبير من سكان المنطقة بالزراعة، ولهم فيها تقاليد راسخة منذ أقدم العصور. كما تمتاز المنطقة بكثرة المناطق المتخصّصة في رعي الأغنام والبقر وتربيتهما، ومن أشهر فصائل الأغنام التي تُربَّى في سيدي بوزيد فصيلة النجدي، وهو من فصائل الأغنام التي تمتاز بكثرة لحومها وحليبها، إلى جانب عدد من الفصائل الأخرى. أما تربية الأبقار، فهي حديثة نسبياً في المنطقة، لكنها بدأت تترسّخ.

إن الزمن يختصر كلّ مسافاته في مدينة سيدي بوزيد، أو قمودة، التي قال فيها شاعرها:

أرض الكرم والجود يا قمودة
أرض المحبة
أرض الوفاء والخير
ثابتات عهوده



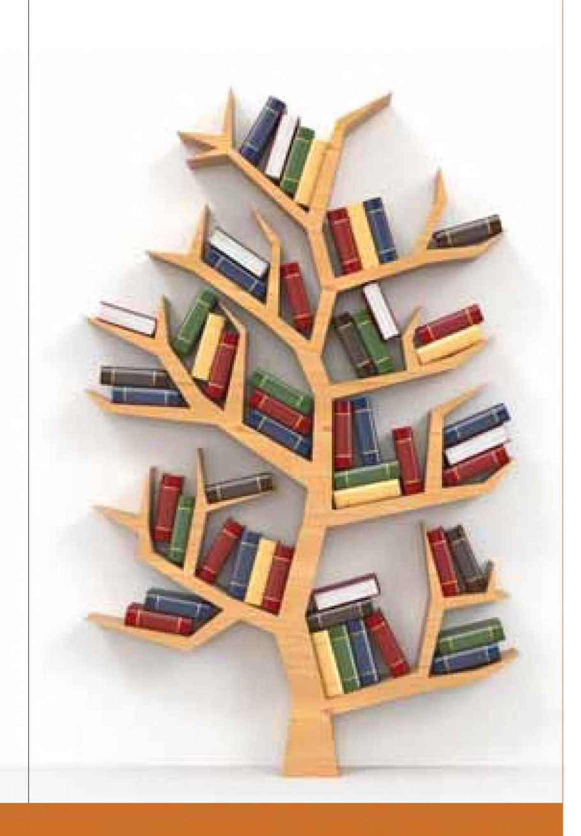


الصناعات التقليدية

تشتهر مدينة سيدي بوزيد بكثير من الصناعات التقليدية، مثل: صناعة البرنس، وصناعة الكليم، وصناعة المرقوم، وهي كلها من الصناعات الصوفية. ويتميز كليم سيدي بوزيد بألوانه الزاهية، وجمالية صُنعه، ومنذ سنة أصبح يُقام مهرجان سنوي للكليم في هذه المدينة؛ للتعريف بهذا المنتج الذي تنتجه المرأة الريفية، إلى جانب إنتاج أنواع أخرى، مثل الزربية. ولا يمكن لمن يأتي إلى سيدي بوزيد ألاّ يتذوق بعض أكلاتها التقليدية الشعبية التي عُرفت بها، خصوصاً أكلة الكسكسي بلحم الخروف (الكسكسي بالمسلان)، واللحم المفور (يوضع اللحم في كسكسي فوق قدر، ويُطهى اللحم بواسطة البخار بعد وضع البهارات اللازمة على اللحم)، واللحم في الفرن تحت الأرض (يُوضع في إناء من الفخار).

المراجع

(١) أبو القام محمد كرو، موسوعة حصاد العمر، ومجلة الفكر.
(٢) التهامي الهاني، كتاب (قمودة: تاريخها وأعلامها).
(٣) محمود الحرشاني، مجموعة مقالات صحفية.
(٤) مسعود الشابي، بحث منشور في مجلة (مرآة الوسط).
(٥) إبراهيم العبيدي، بحث منشور في مجلة (مرآة الوسط).
(٦) مجموعة منشورات مختلفة أصدرتها ولاية سيدي بوزيد.





تفاصيل

عبد الله الكويليت

- الحزن: حالة رفض جوّانية لحدثٍ عارٍ يرفض المجاملة.
- الانتظار هو الوقوف على قدم واحدة في سُلّم الوقت.
- ابن وفيّ لك أيتها الصحراء، أرقب السماء في انتظار مطر ضنين ينتشلنا من اليتم والكآبة ومجاهدة المعتاد.
- للبوصلة إيمانها وصلاتها؛ فقبلتها شمال.
- لماذا نقول: ينكسر الضوء على الماء؟! ربما هو يستحمّ، أو هو في حالة عشق.. إننا بهذا التعبير الفظّ نكسر صورةً جميلةً.
- العقول المغلقة لا تنفعها جوازات السفر.
- كثيرون يتحدثون عن (اليقين) بوثوقية عجيبة ومغالية في الإفراط، بينما هم يطاردون (ظلّ اليقين) أينما استدار.
- سأتجسّس على صمتي؛ لكي أعرف كيف يفكّر بي!
- متى يكفّ الصمت عن الثرثرة المتواصلة؛ فأنا أسمعه كلما سكت؟!
- أحلامنا لا ظلال لها، أما كوابيسنا فلها حنجرة قادرة على الصراخ...
- الموت هو سائل المساواة الوحيدة في أواني العمر المستطرقة!
- تنفجر الفقاعة غضباً عندما تُلمس خصوصيتها!
- اللامبالاة والسخرية تنتهيان إلى كونهما هروباً مبطّناً، وقلقاً يزحف في نفق الكلمات!
- الجمال والحبّ والدين هي الملابس التي تحمي الأرواح العارية القلقة من الجنون.. هناك من يلبس ثوباً واحداً منها، أو ثوبين، وهناك من يلبسها كلها.
- مهما كانت الديانة التي نعتنقها، ومهما تمظهرنا بالمثالية والورع والصدق والأمانة، فإننا نعجز - على رغم كلّ ذلك- عن التخلّي عن أقنعتنا التي تسترنا!!
- العبقرية: كلمة وجودية فضفاضة اخترعها الأذكياء لتلافي الاعتراف بهزيمتهم النكراء أمام الموت!
- لا يوجد ما هو جوّاني أو خارجي في لحظة الانتحار، يوجد السقوط في الانقطاع والتلاشي.. بوصلة اليأس حين تشير إلى نفسها بتشكّك متكرّر!
- في ساحة العدم تبحث أسئلتنا عن مخرج لأقرب ضفة نافذة.
- عند باب المستحيل يتجمهر شحاذو الأمل...
- غامض كالأمل.. نزق كاللذة...
- العمر يمضي، والقلق يوازيه، وينظر إليه من ضفته الأخرى.. ما بينهما وجودك الهامشي والحزين المختطف في لحظة تاريخية عابرة!





تنظم

برنامج كفالة طفل يعاني من التوحد للأسر المحتاجة

يمكنكم تخفيف معاناتهم عن طريق :

- كفالة طفل مصاب بالتوحد لكي يلتحق بمركز الجمعية السعودية الخيرية للتوحد وقدرها (١٨,٠٠٠) ريال سنوياً.
- نصف كفالة (٩٠٠٠) ريال .
- كفالة لأكثر من حالة (تحدد حسب العدد) .

يتم تمويل البرنامج بدعمكم عن طريق التبرعات والهبات والزكاة

- بعد دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة المحتاجة من قبل المختصين.



تقدم الجمعية السعودية الخيرية للتوحد :

- التشخيص والتقييم للقدرات ومستوى الأداء.
- الخدمات التربوية المتخصصة.
- الخدمات التأهيلية المتخصصة.
- الخدمات الاجتماعية.
- التدريب على التواصل.
- تعديل السلوك.
- التدريب على الاستقلالية.
- الرحلات والزيارات الترفيهية والتعليمية.
- المواصلات من المنزل إلى المراكز والعكس (قدر الإمكان).
- التوعية والتدريب للأسر حول الكيفية المثلى للتعامل مع الحالات في المنزل والمدرسة.

هاتف : ٢١٢٠٠٥٠ - ٤٤١٣٠١٠ فاكس : ٢١٢١٠٠٨
ص ب ٦٩٢٩٦ الرياض ١١٥٤٧ P.O Box 69296 Riyadh11547
Tel ٤٤١٣٠١٠ – ٢١٢٠٠٥٠ Fax ٢١٢١٠٠٨


جمعية
الأطفال
المعوقين
Disabled Children's Association


جمعية وطن



